جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

صورة المستعمر في الشِّعر العربي الحديث في الأردن وفلسطين في الفترة الواقعة بين (1921-1956م)

إعداد الطالب

فالح رافع فالح الهواري

إشراف الدكتورة

ريم المرايات

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللُّغة العربيّة- تخصص أدب

جامعة مؤتة 2014م

الآراء الواردة في الرِّسالة الجامعيّة لا تُعبِّر
بالضَّرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة

بسم الله الرحمن الرحيم

MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (١٤)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب فالح رافع الهواري الموسومة بـ:

صورة المستعمر في الشعر العربي الحديث في الاردن وفلسطين في الفترة الواقعة بين (١٩٢١-١٩٥٦)

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في **اللغة العربية**.

القسم: اللغة العربية.

	التوقيع	التاريخ	
د. ريم اخليف المرايات		22/12/2014	مشرفاً ورئيسا
أ.د. محمد علي الشوابكة		22/12/2014	عضواً
د. طارق عبدالقادر المجالي		22/12/2014	عضواً
أ.د. ابراهيم عبدالرحيم السعافين		22/12/2014	عضواً

عميد الدراسات العليا
د. علي الضمور

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي: ٦١٧١٠
تلفون: ٠٣/٢٣٧٢٣٨٠-٩٩
فرعي 5328-5330
فاكس ٠٣/٢ 375694
البريد الإلكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهداء

إلى اللذين يرمقانني بأمل
إلى اللذين أحمل اسميهما تاجاً على مفرقي أبد الدَّهر– إلى والديَّ.
إلى الَّذين أشدُّ بهم أزري– إخوتي وأخواتي.
أهدي هذا الجَهد المتواضع.

فالح رافع الهواري

شكر وتقدير

عِرفاناً بالجميلِ ووفاءً لمَنْ تعهَّدَ هذا البحث ورعاهُ وتقصَّى جوانبَهُ وتتبَّعَ أجزاءَهُ، أتقدَّمُ بوافر الشُّكر وجزيل الامتنانِ، إلى الدكتورة ريم المرايات، المشرفة التي أغنت البحثَ بتوجيهاتِها السَّديدة، وطوَّقتني بمنِنٍ لن تُنسى.

وثناءٍ عَطِرٍ على أولئِكَ الذين احتملوا قراءةَ البحثِ وتجشَّموا العناءَ في الإعداد لِمُناقشتِهِ، إلى لجنة المناقشة رئيساً وأعضاءً، أُقدِّمُ موفورَ الاحترامِ وعظيمَ الشُّكر.

والله ولي التوفيق،،،،

فالح رافع الهواري

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	أ
الشكر والتقدير	ب
قائمة المحتويات	ج
الملخص باللُّغة العربية	د
الملخص باللُّغة الإنجليزية	هـ
المقدمة	1
التمهيد	3
الفصل الأول: القضايا والمضامين	**12**
1.1 الأرض	12
2.1 المقاومة	20
3.1 البطولة والشهادة	31
4.1 الاستلاب	39
5.1 المثقف والسلطة	44
6.1 الاستقلال والحرية	60
الفصل الثاني: صورة المستعمر في الشعر العربي الحديث في الأردن وفلسطين في الفترة الواقعة بين 1921–1956م	**65**
الفصل الثالث: التشكيل الفني	**89**
1.3 بناء القصيدة	89
2.3 اللغة والأسلوب	98
3.3 الصورة الفنية	136
الخاتمة	148
المراجع	151

الملخّص

صورة المستعمر في الشِّعر العربي الحديث
في الأردن وفلسطين في الفترة الواقعة بين (1921–1956م)

فالح رافع الهواري

جامعة مؤتة، 2014م

عنيت هذه الدراسة بإيضاح صورة المستعمر في الشِّعر العربي الحديث في الأردن وفلسطين في الفترة الواقعة بين (1921–1956م)، وضمَّتْ تمهيداً وثلاثةَ فصولٍ.

تناولت في التمهيد وعد بلفور الذي أعطى اليهود حق إقامة دولة في فلسطين، وضمَّ الفصل الأول القضايا والمضامين التالية: (الأرض، والمقاومة، والبطولة والشهادة، والاستلاب، والمثقف والسلطة، والاستقلال والحرية).

والفصل الثاني: صورة المستعمر في الشعر العربي في الأردن وفلسطين خلال الفترة نفسها.

أمَّا الفصل الثالث: فكان للتشكيل الفني من حيث: بناء القصيدة، واللغة والأسلوب والذي شملت الرَّمز، والتَّناص، والتكرار، والصورة الفنيّة.

وقد خلصت الدراسة إلى عددٍ من النتائج، أهمها تفاني شعراء تلك المرحلة في إثارة الوعي حول القضايا الوطنية، وإدانة الاحتلال، واستثارة الحميّة للدفاع عن الوطن، والشهادة في سبيله؛ لأنَّ ذلك هو الحل الوحيد لطرد المحتلّ الذي يستهدف الأرض، والإنسان، ومستقبل الأجيال الجديدة.

Abstract

The Image of Colonialist in Modern Arabic Poetry in Jordan and Palestine during the Erea in phase between (1921-1956 AD)

Faleh Rafi' Al-Hawwari

Mu'tah University, 2014

This study aimed to investigate the image of the colonialist in modern Arabic poetry in Jordan and Palestine during the era (1921-1956 AD). This study included an introduction and three chapters.

In the introduction, the research provided a discussion or Belfour Declaration that gave the Jews the right of establishing their own state in Palestine. The first chapter included concepts and issues such as land, resistance heroism, martyrdom, power, as well as independence and freedom.

The second chapter, discussed the image of the colonialist in the Arabic poetry in Jordan and Palestine during the same period.

The third chapter discussed the technical formation including, the construction of poem, style language and style including symbolism intertextuality repetition and image.

This study reached to a number of finding.

The poets' dedication during that era to promote the awareness concerning the national issues to condemn the occupation and to expel the occupier.

.

المقدِّمة:

الحمدُ لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على عبده الأمين.

تناولت في هذه الدراسة صورة المستعمر في الشعر العربي الحديث في الأردن وفلسطين في الفترة الواقعة بين 1921–1956م، بهدف تقصِّي هذه الصورة في الشعر الأردني والفلسطيني، والوقوف على القضايا والمضامين التي تناولها الشعراء في تلك الحقبة، ذات العلاقة بهذه الصورة موضوع البحث. خاصة في الحقبة المذكورة التي شهدت بدايات الاستعمار، الذي اتخذ شكل الانتداب في الأردن، والاحتلال في فلسطين. وهدفت الدراسة أيضاً إلى الوقوف على التشكيل الفني لهذه الصورة.

وتأتي أهمية هذه الدراسة، من الأسباب التي حفَّزتني للقيام بها، وهي أنَّ أدب الأردن وفلسطين لا يجوز إغفاله؛ لأنه جدير بدراسات مستقلة، تكشف اتجاهاته، وتجلو فرائده، وروائعه، فقد كان الأردن ضمن بلاد الشام قبل معاهدة سايكس– بيكو، الأدب الأردني والفلسطيني، ثمَّ أضحى ما هو عليه الآن، وهذا جعل الباحثين يمرُّون على الأدب الأردني الفلسطيني على عجل، في حين حالت الظروف القاسية التي مرَّت بها فلسطين قبل النكبة وبعدها، دون تسليط الأضواء الكاشفة على أدبها. مثلما أنَّ حبي لوطني الأردن ولفلسطين المجاهدة، قد أملى عليَّ اختيار هذا الموضوع، الذي وجدت في إعداد رسالة جامعية عنه يحمل بعض الوفاء لما نذرت نفسي لخدمته.

وقد طوَّفت في دواوين الشعراء لهذه الحقبة من الزمن، وكان عرار شاعر الأردن من أهم شعرائها في شرق الأردن، في حين برز الشاعران إبراهيم طوقان، وعبد الرحيم محمود على الضفة الأخرى المحتلة من فلسطين، ولهذا ارتكزت هذه الدراسة في جانب كبير منها على الإنتاج الشعري لهؤلاء الشعراء الثلاثة.

ووقفت على الدواوين التالية: "صوت الجياع" للشاعر خليل زقطان، وديوان "الأفغاني" محمود عبد الحميد، وديوان "الدموع" لمؤيد إبراهيم المازني، وديوان "مشاهد الحياة" لإسكندر الخوري البيتجالي، وديوان "الطليعة" للشاعر إبراهيم الدباغ، وديوان "ابتسام الضحى" للشاعر حسن البحيري، وغيرها.

ولقد عبَّر شعراء الحقبة موضوع الدراسة عن آمال أمّتهم وآلامها، وهم الذين ترعرعوا بين ظهرانيها، ونبتوا في أرضها، وافترشوا ترابها، والتحفوا سماءها.

ولم تغمط الدراسة الشعراء العرب حقّهم، وهم الذين أحبوا الأردن وفلسطين وتفاعلوا مع الأحداث الدائرة فيهما، والذين عاشوا على تراب الوطن، ونطقوا بحاله، واستلهموا جوانب محنته، وزخرت دواوينهم بما آل إليه، ومنهم فؤاد الخطيب، وخير الدين الزركلي، والشاعر اللبناني وديع البستاني.

وجاءت هذه الدراسة في تمهيدٍ وثلاثة فصول، تقفوها خاتمة، وتناولت في التمهيد وعد بلفور، وافتراءات الصهيونية وادِّعائها حق إقامة وطن قومي لها في فلسطين.

واشتمل الفصل الأول على القضايا والمضامين التالية: الأرض والمقاومة، والبطولة والشهادة، والاستلاب، والمثقف والسلطة، والاستقلال والحرية.

وتناولت في الفصل الثاني صورة المستعمر في الشعر العربي الحديث في الأردن وفلسطين، خلال الفترة نفسها (1921–1956م)، وقد بُحث من خلال جملة المواقف السياسية، والاجتماعية، والثقافية، وسعي المستعمر لتدمير هوية الأمّة.

وتناولت في الفصل الثالث التشكيل الفني من حيث تشكيل القصيدة، ثم اللغة، والأسلوب، والصورة الفنية.

واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، ولهذا سبرت غور الدواوين الشعرية لعباقرة الكلمة واليراع السيَّال الذي عاشوا في تلك الفترة، حيث وقفت عليها ممعناً ومدقِّقاً ومعقِّباً ما أمكنني ذلك.

ولقد جهدت أن أضع عنواناً لكل قضية، ثم عمدت إلى إيراد أكثر من شاهد عليها، وعقَّبت على الشواهد، ثمَّ أبديت الرأي الذي رأيته مناسباً

وأخيراً، فإنِّي قد بذلت في هذا البحث قصارى جهدي، ضمن الوقت المتاح إليَّ، ولا أدَّعي الكمال، فإن كنت قد قصَّرت فمن عندي، وإن كنت قد وفَّقت، فهذا بمنّ الله وكرمه، تباركت آلاؤه، وجلَّ اسمه.

فالح رافع الهواري

التمهيد

وعد بلفور:

لقد بدأت الأطماع في أرض فلسطين منذ عهدٍ قديمٍ، حين خطَّطت الحركة الصهيونية العالمية للاستيلاء على أرض فلسطين، وإقامة وطن قومي لليهود فيها، وساعدتهم الحكومة البريطانية إبان عهد الانتداب البريطاني في فلسطين.

والحركة الصهيونيّة العالمية مشروع يهودي غربي، يجسِّد الأسس العقائديّة العنصريّة اليهوديّة الصليبيّة، في إطار مشروع سياسي يهدف إلى قيام دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، وتكون قاعدة تحكم شعوب الأرض عبر ما أسموه باسم "الحكومة العالميّة" كما جاء في "بروتوكولات حكماء صهيون"[1].

ولقد استندت الحركة الصهيونية في دعواها على فرية خبيثة، ودعوة باطلة لا تقوم على أدنى دليل، ولا يقبلها عقلٌ سليم؛ حيث افترى فيها اليهود على الله تعالى أنَّه قد أعطى لإبراهيم عليه السلام عهداً أن يُملكه أرض فلسطين، له ولنسله إلى يوم الدِّين.

وتدَّعي هذه الفريّة أنَّ هذا العهد الذي نسبوه كذباً إلى الله تعالى، قد تكرَّر لكل من إسحق ويعقوب (إسرائيل)، وموسى- عليهم السَّلام- ثمَّ انتقل إلى شيوخ بني إسرائيل في اجتماع يدَّعون على الله- جلَّ وعلا- كذباً أنَّه حضره؛ حيث شاهدوه، واستمعوا إليه!.

وقد سجَّلت هذه الفريّة في كتابهم المقدَّس، ولذلك سمِّي باسم "العهد القديم"، ومعناه "وحي السَّماء في الزَّمن القديم"، وذلك تمييزاً له عن "العهد الجديد"، ومعناه "وحي السَّماء الذي جاء بعد موسى"[2].

ومغزاهما- القديم والحديث- أنَّ الله تعالى قد قطع على نفسه عهداً لإبراهيم ونسله إلى يوم الدِّين، أن يعطيه (أرض الميعاد، أو الأرض الموعودة، أو أرض إسرائيل) أرض فلسطين، من الفرات إلى النيل، لا ينازعهم فيها أحد، كما جاء حسب

([1]) عبد الناصر، شوقي، (د.ت)، **بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود**، ط3، دار الفكر، عمَّان، ص43.

([2]) النجار، زغلول، (2005م)، **المؤامرة**، ط5، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ص3، 4.

ادِّعائهم على الذَّات الإلهيّة، في "سفر الخروج" في التوراة: "وأعطى لك (لإبراهيم) ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان ملكاً أبديَّاً، وأكون إلاههم"[1].

ومن الثابت تاريخيّاً أنَّ اليهود حرَّفوا التوراة، وأضافوا إليها عدّة أسفار مختلفة التواريخ والموضوعات، خاصةً أن التوراة المعترف بها عند بعض الطَّوائف اليهوديّة (مثل القرائين) تشمل الأسفار الخمسة الأولى ممَّا يسمَّى "بالعهد القديم" لم تدوَّن إلاَّ في عهد "عزرا" حوالي 398 ق.م؛ أي بعد وفاة موسى عليه السلام بأكثر من ثمانمائة عام[2].

ولقد وظَّف اليهود جميع السبل للوصول إلى مبتغاهم، كالخيانة، والغدر، والتَّسويف، والمراوغة، جنباً إلى جنب مع قوة المال وبطش السِّلاح، وسموم الفتن والوقيعة، ناهيك عن أساليب الجور والقهر، والكذب، والاعتداء على حقوق العباد، والالتفاف على القوانين والتِّشريعات الدوليّة[3].

ولقد ساعد على ذلك، أنَّ اليهود قد برعوا في التعصُّب الأعمى ضدّ كل من سواهم من النَّاس؛ فهم لا يؤمنون برسالة يحيى ولا محمَّد– عليهما السلام–، ويعتقدون بنقاء العرق اليهودي، ولهذا فقد عملوا من أجل تحقيق أهدافهم على إنشاء المنظَّمات السريّة تحت مظلات الدعاوى الباطلة البرَّاقة، والخدمات الاجتماعيّة بدعوى السَّلام بين الشعوب، مثل الحركة الماسونيّة، وغيرها من نوادٍ وجمعيات هدفها جميعاً التمكين للصهيونيّة العالميّة في مختلف مراكز القوة في العالم[4].

وتوَّج اليهود ادعاءاتهم بالحق في إقامة مُلك يهودي في أرض فلسطين، ولقد اختلقوا فكرة اللاساميّة؛ ليتخلَّصوا من أعدائهم، وليستروا بها جرائمهم. فقد قال زعميهم هيرتزل: "لو لم تكن اللاساميّة موجودة، لوجب علينا إيجادها"[5].

وكذلك كذَّبوا على الله ووضعوا في سفر التثنية (13، 14، 20) ما ترجمته: "يحرم على الإسرائيليين أن يقتل بعضهم بعضاً، وأن يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم،

([1]) النجار، **المؤامرة**، ص48–49.

([2]) النجار، **المؤامرة**، ص17–19.

([3]) عبد الناصر، **بروتوكلات حكماء صهيون وتعاليم التلمود**، ص43.

([4]) النجار، **المؤامرة**، ص14.

([5]) النجَّار، **المؤامرة**، ص46، 47.

ولكنَّه واجب عليهم غزو الشُّعوب الأخرى، وخاصة شعب كنعان (العرب)، ويجب عليهم عندما ينتصرون عليهم أن يضربوا رقاب جميع رجالهم البالغين بحدِّ السيف، ويسترقوا جميع نسائهم وأطفالهم، ويستولوا على جميع أموالهم ويدمروا بيوتهم[1].

وتُعدُّ الحركة الصهيونيّة العالميّة امتداداً للاستعمار الغربي، وظلَّت فكرة الوطن القومي لليهود تتبلور بقيادة عددٍ من أشد المتعصِّبين للصهيونيّة اليهوديّة، حتى اخترقت الزَّعامات المسيحيّة الأوروبيّة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، خاصة في بريطانيا، حتى قال المؤرِّخ اليهودي (ناحوم سوكولوف): "لقد قام المسيحيون الإنجليز بتعليم المبادئ التي تقوم عليها القوميّة اليهوديّة"[2].

وقد عقدت الحركة الصهيونية مؤتمرها الأول في (29-1897/8/31م)، في مدينة بال في سويسرا، وقرَّرت فيه إنشاء المنظمة الصهيونية العالمية، والمطالبة بإنشاء وطن قومي لليهود على أرض فلسطين[3].

ولقد دعم الإنجليز هذه الفكرة، وساعد وجود الانتداب البريطاني في فلسطين في مطلع القرن العشرين على تحقيقها، حيث أصدرت الحكومة البريطانية في الثاني من شهر تشرين الثاني عام 1917م، وعد بلفور المشؤوم الذي كان موجَّهاً من وزير خارجية بريطانيا (آرثر جيمس بلفور) إلى اللورد (لونيل روتشيلد) أحد زعمَّاء الحركة الصهيونيّة بالنصّ الآتي: "إنَّ حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين، وستبذل أقصى جهدها لتسهيل بلوغ هذه الغاية، على أن يُفْهَم جليَّاً أنَّه لن يُؤْتَى بعمل قد يضرّ الحقوق المدنيّة والدينيّة التي تتمتَّع بها الطوائف غير اليهوديّة المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتَّع به اليهود في البلدان الأخرى"[4]. وقد أعدَّ صيغة هذا القرار "ليوبولد إيمري" السياسي البريطاني اليهودي، الذي أخفى يهوديته طوال حياته.

([1]) الياسوعي، الأب صبحي حموي، (1993م)، **العهد القديم لزماننا الحاضر**، ط1، منشورات دار المشرق، بيروت، ص193-194.

([2]) النَّجار، **المؤامرة**، ص57.

([3]) النجار، **المؤامرة**، ص65.

([4]) الهنداوي، ذوقان، (1975م)، **القضية الفلسطينية**، ط1، المطبعة الاقتصادية، عمان، ص65.

وإمعاناً في حبك المؤامرة، عيَّنت الحكومة البريطانيّة يهودياً متعصَّباً هو "هربرت صموئيل" مندوباً سامياً على فلسطين؛ لتسهيل هجرة اليهود إليها.

ولهذا عبَّر الشعراء العرب عن موقفهم من هذا الوعد، وعكسوا عمق فهمهم لمخطط بلفور، وحذَّروا من تنفيذه، فقد تضرع عرار شاعر الأردن آنذاك إلى ربِّه منيباً مستغيثاً، بقوله في قصيدته (فقه الشيخ)[1]:

يَـــا رَبُّ إِنْ بُلْفُـــورَ أَنْفَـــذَ وَعْـــدَهُ كَـمْ مُسْـلِمٍ يَبْقَـى وَكَـمْ نَصْـرَانِي؟!
وَكِيَـانُ مَسْـجِدِ قَرْيَتِـي مَـنْ ذَا الَّـذِي يُبْقِـــي عَلَيْـــهِ إِذَا أُزِيْـــلَ كِيَـــانِي؟!
وَكَنِيْسَـــةُ العَـــذْرَاءِ أَيْـــنَ مَكَانُهَـــا؟ سَـيَكُونُ إِنْ بُعِـثَ اليَهُـودُ مَكَـانِي؟

لقد التهبت مشاعر الشعراء في الأردن وفلسطين في تلك الفترة التي شهدت تحوُّلاً سياسياً عالمياً انتهت على إثره الخلافة الإسلامية في غياب القوة العربية الرادعة؛ ففاضت قرائح الشعراء من محذرٍ إلى نادبٍ إلى مستغيثٍ، وقد رأوا قبلتهم الأولى تتهاوى، والجموع تتشرد، ويغادر الناس بلادهم وأرضهم إلى أجلٍ غير معلوم، وفي التعبير عن ذلك قال الشَّاعر الفلسطيني خالد نصرالله* قصيدة بعنوان (حطِّم يراعك)، وهو يقدِّم الكثير من الشِّعر الوطني إكباراً للثورات والبطولات المشتركة بالدَّم[2]:

حَطِّـــمْ يَرَاعَـــكَ أَوْ أَحِلْـــهُ سِـــلاحاً يُـــذْكِي العَـــزَائِمَ يُلْهِـــبُ الأَرْوَاحَـــا
مَـــا القَـــوَافِي كُلَّمـــا رَاوَدْتُهـــا حَسِـبْتُ وِصَـالِي لِلْقَـرِيْضِ سِـفَاحَا
لِلْمُعْتَـــدِينَ مَـــأْرَبٌ فـــي أَرْضِـــنَا ومكائِـدٌ زَعَمُـوا بِهَـا الإِصْـلاَحَا
وَكَـــمْ اسْـــتَغَلُّوا جَهْلَنَـــا فاسْـــتَخْدَمُوا أَطْرَافَنَـــا قَوْسَـــاً لَهُـــمْ وَرِمَاحَـــا
حَطِّـمْ يَرَاعَـكَ يَـا أَخِـي وَاقْـذِف بِـهِ فـــي النَّـــارِ، أَيْقِـــظِ الأَرْوَاحَـــا
وَاذْكُـــرْ دِيَـــارَكَ، وَاذْكُـــر اســـتْقَاذَهَا وَاجْعَـــلْ لِلَيْـــلِ النَّـــازِحِينَ صَـــبَاحَا

([1]) عرار، مصطفى وهبي التل، (2007م)، **عشيات وادي اليابس**، تحقيق: زياد الزعبي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، عمان، ط1، ص356.

* نظم الشعر وهو في السادسة عشرة من عمره، ربط شعره بالحياة وآمال وطنه، عن ديوان (أعاصير في الأردن، ص21)، أسد محمد قاسم، دار الفكر، عمان، ط1.

([2]) نصرة، خالد، (1955م)، **أغاني الفجر**، ط1، مكتبة الحرية، عمَّان، ص42.

ولد الشاعر خالد نصرة في عابود بقضاء رام الله سنة 1933م، وعند النكبة كان منع أهله في حيفا، فهاجروا إلى رام الله حيث تخرَّج في الكلية الإبراهيميّة.

ويقول الشَّاعر الفلسطيني عبد الرَّحيم محمود في قصيدته "الشهيد"[1]:

سَـــأَحْمِلُ رُوحِـــي عَلَـــى رَاحَتِـــي وَأُلْقِـــي بِهَـــا فِـــي مَهَـــاوِي الـــرَّدَى
لَعَمْـــــرُكَ إِنِّـــــي أَرَى مَصْـــــرَعِي وَلَكِـــــنْ أَغُـــــذُّ إِلَيْـــــهِ الخُطَـــــى
أَرَى مَصْـــرَعِي دُونَ حَقِّـــي السَّـــلِيْبِ وَدُونَ بِـــــلادِي هُـــــوَ المُبْتَغَـــــى
لَعَمْـــرُكَ هَـــذَا مَمَـــاتُ الرِّجَـــالِ وَمَـــنْ رَامَ مَوْتَـــاً شَـــرِيفَاً فَـــذَا
فَكَيْـــفَ اصْـــطِبَارِي لِكَيْـــدِ الحَقُـــودِ وَكَيْـــفَ احْتِمَـــالِي لِسَـــوْمِ الأَذَى
وَأَحْمِـــي حَيَاضِـــي بِحَـــدِّ الحُسَـــامِ فَـــيَعْلَمُ قَـــوْمِي أَنِّـــي الفَتَـــى
بِقَلْبِـــي سَـــأَرْمِي وُجُـــوهَ العُـــدَاةِ فَقَلْبِـــي حَدِيْـــدٌ وَنَـــارِي لَظَـــى

ويهبّ شاعر الأردن عرار؛ ليرسل فكره في قصيدته التي يعلن فيها عدم قبوله للهدنة التي رضيت بها الجامعة العربيّة بين المجاهدين والعصابات اليهوديّة.

يقول في قصيدته (إنَّ الوعود)[2]:

إِنَّـــا رُزِئْنَـــا لأَنَّ الحـــظَّ عَاكَسَـــنَا وَحَـالَفَ القَـوْمَ مِـنْ قُطَّـاعِ (هَاجَانـا)
قَد أُعْطِيَ النَّاسُ مَا شَاءُوا وَمَا رَغِبُوا أَمَّـا الرَّزَايَـا فَقَـدْ كَانَـتْ عَطَايَانَـا
مَنْ كَانَ يَحْسَبُ أَنَّ العُرْبَ يَخْدَعُهُم مَـنْ كُنْـتَ تَحْسَـبُهُمْ لِلْعُـرْبِ أَخْـدَانَا
أَبَـا طَـلالٍ! وَأَنْـتَ اليَـوْمَ رَائِـدُنَا نَغْـدُو إِلَيْـكَ إِذَا مَـا الـدَّهْرُ عَادَانَـا
فَخُـذْ بِأَيْـدِينَا يَـا ابْـنَ النَّبِـيِّ وَثِـبْ فَإِنَّـكَ اليَـوْمَ- بَعْـدَ اللهِ- مَلْجَانَـا
إِنَّ الوُعُـودَ التـي مَنَّـوَا، وَمَـا صَـدَقُوا بِهَـا عَلَيْنَـا، لَعَمْـرِي، كُـنَّ بُهْتَانَـا
فَحَسْـبُنَا مِـنْ وُعُـودِ القَـوْمِ مَـا دَغَلُـوا عَلَـى الأَعَارِيـبِ أَشْـكَالاً وَأَلْوَانَـا
أَطْـلاَلُ (يَافَـا) و(حَيْفَـا) أَمْـسِ بَرْقُهُمَـا قَـدْ رَفَّ وَهْنَـاً فَأَشْـجَانَا وَأَبْكَانَـا

وفي قصيدة أخرى بعنوان (بقايا ألحان وأشجان) يندب عرار حال الوطن، وما آل إليه أبناؤه تحت الانتداب، فيقول[3]:

سِيْمَتْ بِلادِي ضُرُوبَ الخَسْفِ وَانْتُهِكَتْ حَظَـائِرِي وَاسْـتَبَاحَ الـذِّئْبُ قُطْعَـانِي

([1]) محمود، عبد الرَّحيم، (2009م)، **الأعمال الكاملة**، تحقيق: عز الدين المناصرة، دار جرير، ط1، عمَّان، ص37.

([2]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص349.

([3]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص370.

وَرَاضَ قَـوْمِي عَلَــى الإِذْعَــانِ رَائِضُــهُم عَلَى احْتِمَالِ الأَذَى مِنْ كُلِّ إِنْسَانِ
فَاسْــتَمْرَأُوا الضَّــيْمَ، واسْــتَخذَى سُــرَاتُهُمُ فَهَـاكُمُ، يَـا أَخِـي عَبْـدَانَ عَبْـدَانِ

وفـي كـل نبـرةٍ مـن نبـرات الشَّـاعر تحـدٍّ واسـتنهاض للحيلولـة دون الخنـوع للمستعمر، والثورة عليه، وعدم نسيان ما ضاع من الأرض.

أمَّا الشَّاعر إبراهيم الدبَّاغ، فقد رفد الثورة الفلسطينيّة بغزير عطائه من وادي النيل، وهو حين يثني على أهل فلسطين، فإنَّما يثني على أهله وعشيرته وأبناء جلدته.

فمن قصيدته "صوت فلسطين"، يناجي الدبَّاغ* قومه مشجِّعاً ومحذِّراً، يقول[1]:

رُدُّوا عَلَـى القـومِ كَيْـداً وَعْـدِ بِلْفُـورٍ وَنَسْــجُهُ بِيَــدِي كَيْــدٌ وَتَــدْبِيْرُ
قَـدْ سَـاءَ تَـدْبِيرُهُ عَفْـوَاً فَلَـوْ عَقَلُـوا لَــمْ يَفْــرِطِ الوَعْــدُ إِلاَّ بَعْــدَ تَفْكِيــرِ
لا يَقْعُـدُ الحُـرُّ فـي غَـابٍ وَخَـادِرُهُ يَبْغِـي الفَرِيْسَـةَ فـي جُـنْحِ الـدَّيَاجِيرِ
يَقْضِــي الأَسِـيْرُ وَيَحْيَـا عَنْـدَ هِمَّتِـهِ وَيَسْــتَفِيقُ فَيَسْــعَى غَيْــرَ مَــأْمُورِ
لا تَـأْلَفُ البِـيْضُ أَغْمَـاداً تَقَـرُّ بِهَـا وَطَبْعُهَـا مِـنْ حَدِيْـدٍ غَيْـرِ مَصْـهُورِ
صَـارِ الحَديـدُ بِـأَمْرِ النَّـارِ فِـي زَمَـنٍ أَلْقَــى السَّــلامَ فَــأَوْدَى بِالمَغَــاوِيْرِ
حَتَّــامَ يَخْلِبُنَــا بَــرْقُ السِّياسَــةِ مَشْــ ـفُوعَاً بِرَعْـدٍ وَغَيْـثٍ غَيْـبِ مَمْطُـورِ
وَفِــيمَ يَخْــدَعُنَا مَكْــرٌ يُكَذِّبُــهُ مَـا يَشْـهَدُ العَدْلُ مِـنْ إِفْكٍ وَمِـنْ زُوْرِ
تَبَارَكَـتْ هِمَّـةُ الشَّـيْخِ[2] الَّتـي بَعَثَـتْ مَـنَ الشَّـبِيبَةِ جَيْشَـاً غَيْـرَ مَكْسُـورِ
وَهَـلْ غَـدَا جَبَـلُ الزَّيْتُـونِ مُنْصَـدِعَاً لَمَّـا خَبَـا فِـي خِبَاهَـا مَشْـرِقُ النُّـورِ

---

* إبراهيم الدبَّاغ: شاعر فلسطيني، تخرَّج في جامعة الأزهر الشَّريف، كلف بنظم الشِّعر وهو في الثالثة عشرة، وأجاده بين العشرين والثلاثين من العمر، مدح شيوخ الأزهر في الجزء الأول من ديوان (الطليعة)، أقفل باب الغزل والمدح وتوجَّه إلى الرِّثاء ثمَّ غلبت عليه نزعة القول في الوطنيّة والاجتماع، وأخيراً الاتِّعاظ والتصوُّف. طبع الجزء الثاني من ديوانه (الطليعة) في القاهرة بمطبعة حجازي، 1937م، ط1، ص4-7.

([1]) الدبَّاغ، **ديوان الطليعة**، ص36-40.

([2]) الشيخ: هو فقيد الثورة الفلسطينيّة في سبيل تحرير الأوطان، كاظم باشا الحسيني. الدباغ، **ديوان الطليعة**، ص38

تَحَرَّكَـتْ لَـهُ أَشْـوَاقٌ فَمَـا سَـكَنَتْ هُبِّـي إِذا سَـكَنَ الهَـدَّارُ[1] أَوْ ثُـورِي

ويعود الشاعر إبراهيم الدباغ مرّة أخرى مستنهضاً الهمم، غير آبهٍ بقرارات الانتداب، ووعد بلفور، حيث يقول في قصيدته (فلسطين الدَّامية)[2]:

مـا الانْتِـدَاب؟ أَمَرْمَـاهُ وَغايَتُـهُ إِذْلالُ حُـرٍّ أَبِـيٍّ باسـم غَيْـرِ أَبِـيّ؟
أَمِ الانْتِـدَابُ يُـرَامُ الاغْتِصَـابُ بِـهِ مَعْنَـىً وَأَحْرفُـهُ فـي ذِمَّـةِ العَـرَبِ
مَـا وَعْـدُ بُلْفُورَ مِـنْ أَمْـرِ السَّمَاءِ وَلا فـي الجَـدْبِ مِـنْ أَرْضِـنَا زَرْعٌ لِمُحْتَطِـبِ
هَـلْ وَعْـدُ بُلْفُـورَ تَشْـرِيْعٌ إِذَا فُرِطَـتْ أُغْلُوطَـةٌ مِنْـهُ تَـدْعُو النـاسَ لِلْعَجـبِ؟
مَـا حُكْمُـهُ بَعْـدَ أَحْكَـامِ السَّـماءِ وَلاَ يَرْضَـى بِـهِ بَعْـدَ حُكْـمِ اللهِ غَيْـرُ غَبِـيٍّ
العَـدْلُ شِـعْرُ خَيَـالِيْ حَقِيقَتُـهُ فـي ذِمَّـةِ الظُّلْـمِ وَالتَّـدْلِيسِ والكَـذِبِ
يُحَـرِّكُ الـنَّفْسَ قَـانُونٌ لَـهُ عُـرَبٌ وَلَـيْسَ يَحْكِيْـهِ قَـانُونٌ بِـلاَ عُـرَبِ[3]
أَمْسَـتْ فِلَسْـطِينُ أُمَّـاً جِـدُّ جَازِعَـةٍ عَلَـى ابْنِهَـا يَـوْمَ سِـيْمَ الضَّـيْمُ كُـلَّ أَبِـيّ
وارحمتـا لَهُـمُ فـي الـرَّدْمِ غَـالَهُمُ عَلَـى الطَّـوَى فَقْـدُ أُمٍّ بَـرَّةٍ وَأَبِ
صَـيَّرتُمُ الظُّلْـمَ عَـدْلاً تَسْـتَقِيمُ بِـهِ قَنَـاةُ مُنْحَـرِفِ الآرَاءِ مَـنْ شَـعِبِ
وَقُـلْ "لِصَـهْيُونَ" مِنْهَـا أَيُّ مَجْـزَرَةٍ تُرْضِـيكَ دُونَ ابْـتِلاعِ المَرْتَـعِ الخَصِـبِ

ويستهين الشَّاعر "عبد الرَّحيم محمود" بوعد بلفور، ويرفضه من أساسه، ويلقي باللائمة هذه المرّة على العرب الذين تخاذلوا وتفرَّقوا حتَّى نال العدو منهم، ففي قصيدته (حفي اللِّسان)، يقول[4]:

بُلْفُـورُ مَـا بُلْفُـورُ مَـاذَا وَعْـدُهُ؟ لَـوْ لَـمْ تَكُـنْ أَفْعَالُنَـا الإِبْـرَامُ

([1]) الدباغ، ديوان الطليعة، ص40. الهدَّار: نهر العوجا، ينبع من يافا، يسقي فلسطين، ويصب في البحر الأبيض المتوسط.

([2]) الدبَّاغ، **ديوان الطليعة**، ص86-91.

([3]) للقانون الموسيقي أوتار وملاوي تشدّ بها ومفاتيح، أمَّا العُرَب: فقطع صغيرة تثبَّت تحت أطراف الأوتار ترفع لشدّ الوتر، وهذا النوع مستحدث في القانون الموجود الآن. وأبرع العزف على هذه الآلة من يضرب على القانون بلا عُرَبٍ، وهكذا العدل الإنجليزي، يرفع العرب ويضعها عند الحاجة. الدباغ، **ديوان الطليعة**، ص90

([4]) محمود، عبد الرحيم، (2007م)، **الأعمال الكاملة**، ص41

إِنَّـــا بِأَيْـــدِيْنَا جَرَحْنَـــا قَلْبَنَـــا وَبِنَـــا إِلَيْنَـــا جَـــاءَتِ الآلامُ
وَبِنَـا عَـنِ الحُـبِّ المُجَمَّـعِ جَفْـوَةٌ وَلَنَـا بِصَـحْرَاءِ الخِصَـامِ هُيَـامُ
والخَطْـــبُ فَرَّقَنَـــا قَبَائِـــلَ جَمَّـــةً وَالخَطْـــبُ عِنْـــدَ عُـــدَاتِنَا لَمَّـــامُ

ويستهين الشاعر عبد الرحيم محمود أيضاً، بالمؤتمرات العربيّة، ويشير إلى اجتماع الملوك مرّة في (أنشاص) بمصر في 1946/5/28م، ومرّة في (بلودان) بسوريا خلال شهر حزيران 1946م، ويفضح مواقفهم وتنازلاتهم بجرأة ووضوح، رغم ظهور هذه المؤتمرات بمظهر وطنيّ جَدِّي. يقول من نفس القصيدة (حفي اللِّسان)[1]:

يَـــا قَـــادَةً- إِلاَّ الَّـــذِينَ أُجِلُّهُـــمُ عَمَّـــا يُـــذَمُّ- وَقَـــدْ عَـــدَاهُمْ ذَامُ
يِـا سَـاهِرِينَ عَلَـى الكَـلاَمِ وَصَـوْغِهِ يَـا قَاعِـدِيْنَ عَـنِ الفِعَـالِ نِيَـامُ
نَحْـنُ الضَّـحَايا لا نُرِيـدُ مَشُـوبَةً وَأَقَلُّهَـــا التَّعْرِيـــفُ وَالإِعْـــلامُ
مَـاذَا نَـوَيْتُم؟ مَـا فَعَلْـتُم؟ مَـا الَّـذِي تَبْغُـــونَ؟ أَمْ أَنَّ السُّـــؤَالَ حَـــرَامُ
"أَنْشَـاصُ" و"بُلُـودَانُ" مَـاذَا أَنْتَجَـا؟ لا، لا تَسَـلْ، إِنَّ السُّـؤَالَ حَـرَامُ
مَـــا طَـــائِرَاتٌ غَادِيَـــاتٌ رُوَّحٌ مَـــا ذَلِـــكَ الإِسْـــرَارُ والإِبْهَـــامُ
أَوَلَـيْسَ مـن دَوْرٍ لَنَـا، نُلْهَـى بِـهِ إِلاَّ وَدَاعٌ حَافِـــلٌ وَسَـــلاَمُ
مَـا حَكَّ جِلْـدَكَ مِثْـلُ ظُفْـرِكَ يَـا فَتَـى يَـــا حُـــرُّ تَتَصَـــبَّكَ الأَوْهَـــامُ

ويُذكِّر الشَّاعر عبد الرَّحيم محمود بريطانيا بالأيادي البيضاء التي مدَّها العرب لها على الأتراك، ويُذَكِّرها بالغدر والخيانة للشَّريف حسين بن علي، وأنَّ ذلك سيكون نقمة عليها بهذا الوعد اللَّعين.

فمن قصيدته (وعد بلفور) يُذكِّر بريطانيا ويتوعَّدها، إذْ يقول[2]:

غَـدَرَ الحَلِيْـفُ، وَأَيُّ وَعْـدٍ صَـانَهُ يَوْمَـاً، وَأَيَّـةَ ذِمَّـةٍ لَـمْ يَخْفِـرِ
لَمَّـا قَضَـى وَطَـراً بِفَضْـلِ سُـيُوفِنَا نَسِـيَ اليَـدَ البَيْضَـا، وَلَـمْ يَتَـذكَّرِ
وَإِذَا الـــدَّمُ المِهْـــرَاقُ لا بِمُرَاقِـــهِ جَـــدْوَى، وَلا بِنَجِيعـــةِ المُتَحَـــدِّرِ
يَـاذَا الحَلِيـفُ: سُـيُوفُنَا وَرِمَاحُنَـا لَـمْ تَنْـتَلِمْ فَـاعْلَمْ وَلَـمْ تَتَكَسَّـرِ

([1]) محمود، عبد الرحيم، **الأعمال الكاملة**، ص43-44.

([2]) محمود، عبد الرحيم، **الأعمال الكاملة**، ص54-55.

بـالأَمْسِ أَبْلَـتْ فِـي عِـدَاكَ وَفِـي غَـدٍ فِــي كُــلِّ قَلْــبٍ غَــادِرٍ مُتَحَجِّــرِ
تَغْلِـي الصُّـدُورُ وَلَـيْسَ فـي غَلَيَانِهَـا إِلاَّ نَـــذِيرُ العَاصِـــفِ المُتَفَجِّـــرِ
وَلَقَــدْ تَصَــبَّرْنَا عَلَيْــكَ فَلَــمْ نُطِــقْ مِنْــكَ المَزِيــدِ، وَلاتَ حِــيْنَ تَصَــبُّرِ
هَــذِي الــبِلاَدُ عَرِينُنَــا وفِــدَىً لَهَــا مِـنْ نَسْـلِ يَعْـرُبَ كُـلُّ أُسْـدٍ هُصَّـرِ

وبطـون الـدَّواوين مـلأى بزفـرات الشُّـعراء الأردنيـين والفلسـطينيين وكلّهـا ينضـح بالألم ويتوعَّد الاستعمار بأسوأ مآل.

الفصل الأول

القضايا والمضامين

1.1 الأرض:

أُصيب الأردن وفلسطين باستعمارٍ جديدٍ منذ مطلع القرن العشرين، ولمَّا أفل الحكم التُّركي الذي ران على القلوبِ ومقدَّرات الأمَّة العربيّة أكثر من أربعة قرون، عمدت القوى الاستعماريّة في مطلع القرن العشرين إلى استلاب العرب والإجهاز على حريَّاتهم.

ولقد عمد النَّاس بالمقابل إلى الرَّدِّ على هذه القوى عبر إعلان الرَّفض والاحتجاج، وكانت الثَّورات الفلسطينيّة المسلَّحة فيما بعد دليلاً واضحاً على رفض المستعمر والعبوديّة بكلِّ أشكالها، وخاصةً الثَّورة الفلسطينيّة الكبرى ما بين عامي 1936–1939م، وحرب عام 1948م.

ولقد مازج معظم شعراء الأردن وفلسطين وثوارهما بين القول والفعل، إذْ عشقوا الشِّعر والنِّضال، فحرَّضوا على القتال، ورغَّبوا بالشَّهادة، وثاروا على الغزاة، وقادوا الجماهير، وتعرَّضوا للطَّرد من الأوطان وقضى بعضهم شهيداً، فقد رأوا في الشَّهادة خلاصاً من المحنة وردَّاً على المستعمرين.

ولقد بقيت الأردن وفلسطين واجهة الوطن العربي الكبير، تتحدَّيان باسمه. يقول الشَّاعر حسن البحيري في قصيدته (الشرق)[1]:

لا تَسْتَهِنْ يا غَرْبُ إنَّا أُمَّةٌ كُتِبَ اسمُهَا لِذُرَى العُلى عُنْوَانا

وكان التَّضامن الشَّعبي أبرز عناصر المرحلة، يقول الشَّاعر الفلسطيني حسن البحيري، مستنهضاً الهمم في كل المدن العربيّة التي توحِّدها العقيدة العروبة في قصيدته (سوريا الحبيبة)[2]:

وَكَيْفَ تَقِرُّ القُدْسُ في حُضْنِ هَجْعَةٍ وَبَيروتُ تَرْمِيها سِهَامُ المَصَائِبِ
وَهَلْ تَسْتَقِرُ النَّارُ في قَلْبِ "جِلَّقٍ" و"عَمَّانُ" عنها في بُروجِ السَّحائِبِ
سَتَبْقَى رُبوعُ الشَّامِ تُمْطِرُ بالدِّما إلى يَوْمِ نُعْليها مئُونَ الكَواكِبِ

([1]) البحيري، حسن، (1946م)، **ابتسام الضحى**، ط1، (د.ن)، القاهرة، ص31.

([2]) البحيري، **ابتسام الضحى**، ص66.

محبّة الأرض:

لقد تعلَّق الشُّعراء الأردنيُّون والفلسطينيُّون بالأرض تعلُّقاً شديداً، فذكروا القرى والمدن والأماكن التي كانوا يرتادونها في أشعارهم، ووقفوا عند عيون الماء في ربوعِ أوطانهم هياماً وحبَّاً، حتَّى لقد وصل بهم الأمر إلى مقارنة الوطن بالجنَّة، وتفضيله عليها، على نحو قول الشَّاعر عرار في قصيدته (يا جيرة البان)، وفيها يقول[1]:

يَقُولُ عبُّودُ جنَّاتُ النَّعيمِ على ... أبَوابِها حَارسٌ يَدْعُوهُ رضْوَانَا

مِن ماءِ "راحُوبَ" لَمْ يَشْرَبْ ولَيس لَهُ ... رَبْعٌ "بِجلْعَادَ" أوْ حَي "بشِيحانا"

وَلا تفيَّأ في "عَجلُونَ": وارفةً ... ولا حَدَا "بِهضَابِ السَّلطِ" قطْعَانَا

ولا أصاخَ إلى أَطْيَارنا سَحَرا ... "بالغَوْرِ" تَمْلأهُ شَدْوَاً وألْحَانَا

ولا بِوَادِي الشِّتَا تَامَتْهُ جُؤْذُرَةٌ ... وَلا رَعَى بسهولِ "الحُصْنِ" غِزْلانَا

ولا "تأرْدنُهُ" يَوْماً بِمُحْتَمَلٍ ... ولا لِتَقْدِيسِهِ الأردُنَّ إمكانا

إنْ كَانَ يا شَيْخُ هَذا شَأْنُ جنَّتِكُمْ ... فابعدْ بها إنَّها لَيْسَتْ بِمَرْمَانَا

أمَّا الشَّاعر خليل زقطان، يهدي قصيدته "يافا" إلى ذاك الشَّيخ الهرم، وقد مرَّ به وهو يرنو إلى مدينته الحبيبة، قائلاً[2]:

"يَافَا" وما "يَافَا" سِوَى ... أُمْنِيَةٍ مَلَكَتْ نُهاه

يَا أَيُّها الشَّيْخُ الذِي ... أتَتْ الخُطُوبُ عَلى صِبَاه

بِيْ مثْلُ ما بِكَ مِنَ الهَوَى ... فَتَعَالَ نَقْتَسِمُ الشَّكاه

فالمصائب قد أنهكت صِبا الشَّيخ، وكذلك الخُطُوب فعلت بـ (يافا)؛ المدينة السَّاحليّة الجميلة.

الحنين إلى الأرض:

صدحت حناجر الشعراء بالحنين إلى الأرض التي ملكت عليهم خيالهم، فهذا الشَّاعر الفلسطيني عبد الرَّحيم محمود ينادي بلاده، وهو في طريقه إلى العراق من قصيدته (حنين إلى الوطن)، حيث يقول[3]:

([1]) عرار، **عشيَّات وادي اليابس**، ص346.

([2]) زقطان، خليل، (1953م)، **ديوان صوت الجياع**، دار الأيتام الإسلامية، القدس، ط1، ص97.

([3]) محمود، عبدالرحيم، **الأعمال الكاملة**، ص61.

يَـــا بِـــلادِي يـــا مُنَـــى قَلْبِـــي، إنْ تَسْـلَمِي لِـي أنْـتِ فالـدُّنْيَا هَـدَرْ
لا أرَى الجنَّـــــــة إنْ أُدخلتُهَـــــا وَهِـــيَ خِلْـــوٌ مِنْـــكِ إلاَّ كَسَـــقَرْ
أنْ مُنْيَتِـــي فـــي غُربَتِـــي قَبـــلَ الـــرَّدَى أنْ أُمَلِّـــيَ فـــي مَجَالِيـــكِ البَصَـــر
يَـــا بِـــلادِي ارشُـــفِينِي قَطْـــرَةً كُـلُّ مـاءٍ غَيْـرَ مـا فيـكِ كَـدِر
لَيْـتَ مِـــن ذَاكَ الثَّـــرَى لِـــي حَفْنَـــةً أتملَّـــى مِـنْ شَـذَا التُـربِ العَطِـرْ

لقد حفلت أبياتُـهُ بمعـاني التَّرَجِّـي والتَّمنِّـي؛ لشـدّة تعلُّقـه بـالأرض الفلسـطينيّة، ورغبته العميقة بالعودةِ إليها، حتَّى تمنَّى الشَّاعر لو أنَّه قطرة ماء ترشفها بلاده، فكأنَّما بـلاده الأرض الظمأى، وهو قطرة الماء، والأرض عنده هي البلاد كلُّها بما فيها من معانٍ ورائحةٍ طيِّبة.

ونجد الأمير عبدالله بن الحسين يشتاق إلى ربوعِ بلادهِ في قصيدة بعنوان (حنين)، إذْ يقول[1]:

والطَيْـرُ ترفُـلُ فِـي دَوْحٍ عَلـى فـنَنٍ وقـد تَغَنَّـتْ ألا هَيَّـا فَحَيُّونَـا
يَا سـاكِنَ الغَوْرِ عـادَ الوَقْتُ، وقتُكَ فِي رعايـةِ اللهِ، لا ألقـاكَ مَغْبُونـا

ويناجي عرار سكان (رمّ)، ويتفقَّد أحوالهم، ويدعوهم إلى التثبُّت بالأرض، ردَّاً على ما قام به (فريدريك بك)، حين عَيَّنَ جنديَّاً يمنيَّاً في وادي رمّ، ثمَّ صدرت إليه الأوامر بتعقُّب أبناء عشيرة بني عطيّة سكان (رمّ) الأصليِّين، وقَتْلِ ماشيتهم، وإدخالهم الحدود الحجازيّة[2]، يقول عرار في قصيدته (العبوديّة الكبرى)[3]:

يَـــا أُخـــتَ "رمّ" كيـــف "رمُّ"؟ وَكَيْـفَ حـالُ "بَنِـي عطيّـه"؟
هَـــلْ مَـــا تَـــزَالُ هِضَـــابُهُمْ شُـــماً؟ وديـــرتُهم عَذِيّـــه؟
سُـــقياً لعهـــدكِ والحَيـــا ةُ كَمـــا نؤملُهـــا رضـــيّه
وتـــلاعُ "وادي اليُـــتم" ضَـــا حِكَـــةٌ وتربتُـــهُ ســـخيَّه
أيَّـــامَ لَـــمْ يَـــكُ للفِرَنْجـــةِ فِـــي ربُوعـــكِ أســـبَقِيَّه
والعلـــجُ مـــا انْتَصَـــبَتْ لَـــهُ فـــي كـــل مُومَـــاةٍ بنيَّـــه

([1]) فريز، حسني، (1986م)، **هياكل الحب**، ط1، مطبعة الشرق ومكتبتها– عمَّان، ج2، ص52.
([2]) عرار، **عشيَّات وادي اليابس**، ص437.
([3]) عرار، **عشيَّات وادي اليابس**، ص437–438.

ومن شدِّة تعلُّقه بالأرض، يوصي عرار بأن يُدفن في مسقط رأسه؛ لتسكن نفسه، وتستقرُّ روحهِ، ويشعر بالأمان، حيث يعشق كل ذرة من ثرى الأردن، ومن ذلك قوله في قصيدة (بقايا ألحان وأشجان)[1]:

يَـا أُرْدُنيَّـاتُ، إنْ أُوديـتُ مُغتربـا فانْسُـجْنَهَا، بـأبي أنـتنَّ، أكْفَـانِي
وقُلـنَ للصَّـحبِ: واروا بعـضَ أَعْظُمِـهِ في تلِّ "إربدَ" أو في سفحِ "شيحانِ"

لقد كان عرار مثقَّفاً واعياً وشاعراً بأبعاد المؤامرة على وطنهِ، ويرى نفسه غير قادرٍ على تغيير هذا الواقع الأليم، فيركن إلى الخمر؛ كي ينسى ما لا قدرة له عليه منفرداً، يقول في قصيدة (العبودية الكبرى)[2]:

فَـــأدر كؤُوسَـــكَ، يَـــا أبَـــا نَاصِـــيف، مترعـــةً رويّـــه
وَأحِـــلْ مَقَـــال الشَّـــيخ إنْ أفْتَـــى بِحُرْمَتِهَـــا عَلَيَّـــه
إنَّ الـــذي تُسْـــبَى مـــوا طنُـــهُ تحـــلُّ لَـــهُ السَـــبيَّه!!

ويعتب على أمَّته التي لم تسمع قوله؛ لأنَّها لم تناهض المستعمر، ولم تحافظ على الأرض، وتتابعت صرخاته دون أنْ يستجيب له أحد، وفي ذلك يقول من قصيدته (بحب الزعامات)[3]:

كَمْ صِحْتُ فِيْكُمْ وكَمْ نَادَيتُ من ألمٍ فَلَـمْ تُصِـيخوا لِصَـيْحَاتِي وأنَّـاتِي

ويقول في موضعٍ آخر في قصيدته (بقايا ألحان وأشجان)[4]:

فَلْيَتَّـقِ اللهَ بِـي شَـعبٌ محبتُـهُ كَانَـتْ ومَـا برحـت دِيْنِـي ودَيـدَانِي
علـى مَـذَابِحِ قـولي: سَـوْفَ أُسـعدُهُ ضَـحَّيْتُ عمـري، فلـمْ يسـعدْ وأشْـقَانِي

واستمرَّ الشُّعراء في التحذيرِ من عواقبِ التفريط بالأرض؛ ولهذا يدعو الشَّاعر عبد الرَّحيم محمود إلى التَّشَبُّثِ بالأرضِ والمحافظة على الوطن وعلى الثقافة، وأن لا

([1]) عرار، **عشيَّات وادي اليابس**، ص383.
([2]) عرار، **عشيَّات وادي اليابس**، ص435.
([3]) عرار، **عشيَّات وادي اليابس**، ص142.
([4]) عرار، **عشيَّات وادي اليابس**، ص380.

يغترَّ العرب بالإنجليز؛ لأنَّهم عنده لا أمان لهم. يقول في قصيدته (بين الشَّرق والغرب)، يقول[1]:

لا تَـأْمَنُوا المستَعمرِينَ فَكَمْ لَهُم ... حربٌ تَقَنَّعَ وَجهُهَا بِسَلامِ
حَرْبٌ على لغةِ البلادِ وأرضِهَا ... لَيْسَتْ تُشَنُّ بِمدفَعٍ وَحُسَامِ
والشَّعبُ إنْ يَسْلَمْ له أوْطَانُهُ ... ولِسَانُهُ لَمْ يَخْشَ قطعَ الهامِ

وهو بذلك يحذِّر من استهداف الإنسان العربيّ وثقافته وتاريخه وأرضه، خاصةً أنَّ أساليب المستعمر كثيرةٌ في تحقيق التبعيّة، والنَّيل منه بأساليب خادعة ماكرة وغير مُعلنة، فإذا سَلِمَت الأرض، وسَلِمَت اللُّغة لا يبقى شيءٌ يستوجب الخشية.

والأرضُ عند الشُّعراء ليست مجرَّدَ ترابٍ، وإنَّما هي وطن، ومنبع لكرامة الإنسان، إذْ يقول الشَّاعر إبراهيم طوقان في قصيدة (إلى بائعي البلاد) محذِّراً منهم[2]:

نَكِّرْ بِمَوْتِكَ في أرْضٍ نَشَأْتَ بِهَا ... وَاتْرُكْ لِقَبْرِكَ أرْضَاً طُولُها بَاْعُ
بَاعُوا البِلادَ إلى أعدائِهِم طَمَعاً ... بالمالِ، لكنما أوطانهم بَاعُوا
قَدْ يُعذرونَ لَوْ أنَّ الجوعَ أرغمَهُمْ ... واللهِ ما عَطِشُوا يَوْمَاً ولا جَاعُوا
وَبُلْغَةُ العارِ عِندَ الجوعِ تلفظُهَا ... نفسٌ لها عن قبُولِ العارِ رَدَّاعُ
تلكَ البلادُ إذا قلتَ: اسمُها وطنٌ ... لا يَفْهَمُونَ ودُونَ الفَهْمِ أطمَاعُ

ويفنِّد إبراهيم طوقان الأسباب التي قد تدفع الإنسان لبيع أرضه ومع ذلك لا يجد فيها تبريراً لبيع الأرض؛ ويعزى ذلك إلى الطَّمع وحب الدنيا والمال أولاً وأخيراً.

وتخاطب الشاعرة (سلمى خضراء الجيوسي) الأرض، مؤكِّدةً على أنَّ التضحيات ودماء الشُّهداء التي سالت كالنهر، هي التي طهَّرت البلاد وجعلتها غالية نفيسة، ففي قصيدتها (العودة إلى النبع الحالم)، تخاطب الأرض قائلة[3]:

واذْكُرِي
أنَّ نَهْرَ الدَّمِ أغْنَى أنْهُرِكِ

([1]) محمود، عبد الرَّحيم، **الأعمال الكاملة**، ص52.
([2]) طوقان، إبراهيم عبدالفتاح، (1955م)، **الديوان**، دار الشرق الجديد– بيروت، ط1، ص51.
([3]) الجيوسي، سلمى الخضراء، (1960م)، **العودة من النبع الحالم**، دار الآداب – بيروت، ط1، ص88.

سَالَ مِنْ أعْرَاقِ أبنائِكِ جيلِ التَضْحِيَاتِ

وأكثر من ذلك، فإنَّ الأرض تموت تحت الاحتلال، وتحييها دماء الشُّهداء، ولا طريق لاسترجاع الأرض إلاَّ بالنِّضال[1].

والأرض عند الشُّعراء غير قابلة للبيع أو المساومة، فهي منبع الخصب والثَّراء الذي يتبدَّد في حال بيعها، فمن قصيدة لإبراهيم طوقان بعنوان (فلسطين مهد الشقاء)، متمسِّكاً بالأرض، يقول[2]:

لَيْسَـــــتْ فلســـــطينُ الرخيَّـــــ ـــــةُ غَيْـــرَ مهـــدٍ للشَّـــقَاء
عُرِضَـــتْ لَكُـــم خَلْـــفَ الزُّجَـــا ج تمـــيسُ فـــي حُلَـــلِ البَهَـــاء
هَيْهَـــــاتَ ذلـــــك إنَّ فـــــي بيـــــعِ الثَّـــرَى فَقْـــدَ الثَّـــرَاء

لقد انتقى الشَّاعر ألفاظه بعناية؛ ليعبِّر عن أنَّ الثَّرى هو الثَّراء، وأنَّ المتاجرة بالأرض لن يجلب سوى الفقر والانكسار، ويؤكِّد إبراهيم طوقان على أهميّة أن يتمسَّك العرب بأراضيهم، فهم في الأصل مزارعون، في حين أنَّ اليهود صيارفة. ففي قصيدة (إلى بائعي البلاد) يقول[3]:

أعْـدَاؤُنَا مُنْـذُ أنْ كَـانُوا "صَـيَارِفَةٌ" وَنَحْـنُ، مُنْـذُ هَبَطْنَـا الأرْضَ، زُرَّاعُ

فأعداؤنا تجَّار لا يفكِّرون بالقيم، بل بالكسب المادِّي، أمَّا سكان البلاد الأصليِّين، فالأصلُ أنَّهم يفكِّرون بقيم الحياة، وتأسيس الحضارة؛ لأنَّهم أكثر التصاقاً بالأرض.

وقد رأى إبراهيم طوقان، أنَّ بيع الأرض يمثِّل تجنِّياً على الأجيال المقبلة، ومزاودة على مستقبلهم، ففي قصيدة (إلى بائعي البلاد) يقول[4]:

يَـا بَـائِعَ الأرضِ، لَـمْ تَحْفَـلْ بِعاقِبَـةٍ ولا تَعَلَّمْـتَ أنَّ الخَصْـمَ خَـدَّاعُ
لَقَـدْ جَنيـتَ علـى الأحفـادِ، وا لَهفـي وَهُـــمْ عَبِيـــدٌ وَخُـــدَّامٌ وأتبَـــاعُ!
فَكِّـر بِمَوْتِـكَ فـي أرضٍ نشـأتَ بَهـا واتْـرُكْ لِقَبْـرِكَ أرضـاً طُولُهـا بَـاعُ

([1]) القاضي، محمَّد، (1982م)، **الأرض في شعر المقاومة الفلسطينيّة**، الدار العربية للكتاب– تونس، ط1، ص74.

([2]) طوقان، **الديوان**، ص57.

([3]) طوقان، **الديوان**، ص51.

([4]) طوقان، **الديوان**، ص52.

لقد أضحت الأرض سلعة رائجة لدى الإقطاعيِّين، واندفعوا وراء الرِّبح الماديّ لبيعها، فغدوا متساوين في خطرهم مع المستعمر المتحايل، قنَّاص الفرص، وفي ذلك أيضاً يقول الشاعر في قصيدة (فلسطين مهد الشقاء)[1]:

واللهِ لَـــــــيْسَ هُنَـــــــاكَ إلاَّ كُـــــلُّ قَنَّـــــاصِ الرِّئاسَـــــهْ
وإذا اتَّقَـــــــاكَ فَبِـــــــالجَرا ئِـــــد والنَّجَاسَـــــةُ لِلنَّجَاسَـــــهْ

ويتعجَّب إبراهيم طوقان من ثراء إنسان على حساب ألوف، وهو يردُّ بذلك على من يحسد الفلسطيني على الثَّراء بسبب بيع الأرض، مُظهراً وعيه العميق بما يدور حوله، وما يخطط لوطنه، يقول في قصيدته (نِعْمَة)[2]:

يَقُولُـونَ فـي بَيـرُوتَ: أنْـتُمْ بِنِعمَـةٍ تَبِيعونَهـا تُربـاً فيعطـونَكُم تِبْـرَاً
شَـقِيقتُنا مَهـلاً! متـى كَـانَ نعمـةً هَلاكُ أُلوفِ النَّاسِ في واحدٍ أثْرَى

وتثور ثائرة الشاعر على المنافقين الذين يكتفون بالكلام الأجوف، وقد عرف سخف ما ذهبوا إليه، إذْ يقول من قصيدة (تفاؤل وأمل)[3]:

وَطَـــنٌ يُبـــاعُ وُيُشْـــتَرَى وتَصـــيحُ: "فَلْيَحْيَـــى الـــوَطَنْ"
لَـــوْ كُنْـــتَ تَبْغِـــي خَيْـــرَهُ لَبَـــذَلْتَ مِـــنْ دَمِـــكَ الـــثَّمَنْ

لهذا ينبِّه الشَّاعر إبراهيم طوقان أولئك المتشدِّقين بحبِّ الأرض بأنَّ الكلام أجوف دون الفعل، إذْ لا يقدِّمون شيئاً لحماية وطنهم ممَّا يخطِّط له، لذلك يقترح إيجاد (صندوق الأمة) لشراء الأراضي من أصحابها الذين يتهافتون لبيعها للأعادي، ويقول في قصيدته (اشتروا الأرض لتشتريكم من الضَّيم)[4]:

آزِرُوهُـــمْ بالمـــالِ فـــالأرْضُ صـــندوقٌ لمـــالِكُم بـــل قَوامُـــهْ
اشتروا الأرضَ تشتريكم من الضيمِ وآتٍ مُسْـــــوَدَّةٌ أيَّامـــــهْ

وقد أصبح قدر الشَّاعر وقدر الجيل أن يحافظوا على الأرض، وأن يموتوا في سبيل طرد المحتلّ، حتَّى تعود الأرض إلى أصحابها الذين يجسِّدون التَّضحية

([1]) طوقان، **الديوان**، ص59.
([2]) طوقان، **الديوان**، ص86.
([3]) طوقان، **الديوان**، ص47.
([4]) طوقان، **الديوان**، ص54.

والشَّهادة. فالأرض هي الوطن الذي يحتضن الشَّاعر، وقد درج على ترابه، والتحف بسمائه، ويأمل أن يحقِّق على أرضه آماله وطموحاته. وهو العرين الذي يفتديه ويتغنَّى به. يقول الشَّاعر عبد الرَّحيم محمود في قصيدة (الشَّهيد)[1]:

بِقَلْبِـــي سَـــأَرْمِي وُجُـــوْهَ العُـــداةِ فَقَلْبِـــي حديـــدٌ ونـــارِي لَظَـــى
وأحمِـــي حِيَاضِـــي بِحَـــدِّ الحُسَـــامِ فَـــيَعْلَمُ قَـــوْمِي بـــأَنِّي الفَتَـــى

لقد حمل الشُّعراء على عواتقهم مهمّة حماية الوطن بحدِّ الحسام، إذْ يعلن عبدالرَّحيم محمود عن نفسه بأنَّه الفتى الذي يرضي طموح قومه.

وأمَّا شاعر الأردن – عرار– فيحذِّر من الاعتماد على "زمرة المنافقين" في قصيدته (سكر الدَّهر)[2]، ويرى أنَّ ثرى الأردن لن يفتديه إلاَّ أبناؤه، ويقول في ذلك[3]:

فَثَـــرَى الأُرْدُنِ، إنْ لَـــمْ يُـــرْوَ مِـــن مَائِـــهِ الفيَّـــاض، لـــنْ يرويـــه مِـــيْحُ

وقد بكى في قصيدة (بقايا ألحان وأشجان) ما حلَّ بالوطن حتَّى جفَّت مآقيه، يقول[4]:

قَدْ أَنْضَبتْ أَدْمُعِي من أَعْيُنِي نُوَبٌ تُبْكِي وتُضْحَكُ قَدْ حَلَّتْ بِأَوْطَانِي

والوطن عند عرار ليس الأردن فقط، بل الأردن وفلسطين وسائر بلاد العرب، من حيث لم يفارق النَّاس انتماءهم لأمَّة عظيمة مترامية الأطراف. ولقد لجأ الانتداب البريطاني إلى عدّة أمور لابتلاع الأرض، منها: وعد بلفور الذي أعطى حقَّ من لا يملك لمن لا يستحق، وعمل بكل الوسائل المتاحة لإنفاذِ هذا الوعد الظَّالم.

وقد شجَّع الانتداب سماسرة الأرض، وأغدق عليهم الأموال الطَّائلة، ولكنَّ الشَّعب الفلسطيني أبى على السماسرة ذلك، فوبَّخهم واحتقر شأنهم، "وقامت الصَّحافة الفلسطينيّة والعربيّة بحملات شديدة، ومقالات قويّة اللَّهجة، ضدّ باعة الأرض

([1]) محمود، عبد الرحيم، **الأعمال الكاملة**، ص38.

([2]) الأسد، ناصر الدِّين، (2000م)، **الحياة الأدبيّة الحديثة في فلسطين والأردن حتى سنة 1950**، ط1، دار فارس– عمَّان، ص227.

([3]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص164.

([4]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص373.

والسَّماسرة، ووصفتهم بأنَّهم خونة، وأصدر مؤتمر العلماء الأول في القدس عام 1935م فتوى بتحريم دفن من يموت منهم في مقابر المسلمين"[1]:

ولقد قام المجلس الأعلى الإسلامي بتكوين "صندوق الأمّة" لشراء الأراضي المعرَّضة للضَّياع، وقد قام كثيرٌ من الزعماء وذوو النفوذ بالمحافظة على الأرض لأكثر من عشر سنوات، "مع العلم أنَّ الباعة والسَّماسرة كانوا منهم ومن طبقتهم البرجوازية"[2].

وينتهي الأمر عند أبناء الشَّعب الفلسطيني بتكوين عصابة "الكفّ الأسود"؛ لتنفيذ الإعدام والاغتيال لمن تسوِّل له نفسه بيع أرض، أو السمسرة، أو التعامل مع اليهود، وكان ذلك عام 1935م[3].

وغدا السماسرة في نظر الشُّعراء والشَّعب أكثر حقارة من إبليس، وراح إبراهيم طوقان يحقِّرهم بنار إبليس في إحدى مقطوعاته السَّاخرة، إذْ قال في قصيدته (السماسرة)[4]:

أمَّا سَمَاسِرَةُ البِلادِ فَعُصْبَةٌ ... عَارٌ على أهلِ البِلادِ بَقاؤُهَا
إبليسُ أعلنَ صَاغِراً إفلاسَهُ ... لَمَّا تَحَقَّق عِندَهُ إغْرَاؤُها
يَتَنَعَّمُونَ مكرَّمِين كأنَّما ... لِنَعِيمهم عمَّ البلادِ شَقَاؤُها
كَيْفَ الخَلاصُ إذا النُّفوسُ تَزَاحَمَتْ ... أطْمَاعُها وتَدَافَعَتْ أهْوَاؤُها

ويظهر احتقار الشَّعب لسماسرة الأرض، مقابل ترف زائف زائل.

2.1 المقاومة:

لقد كان الإنسان العربيّ في العقد الثاني من القرن العشرين يشعر بأنَّه ينتمي إلى أمّة عظيمة، رغم مرارة ظلم العثمانيِّين في نهاية حكمهم؛ لهذا لم يكن من السَّهل

([1]) محمود، حسني، (2005م)، **شعر المقاومة الفلسطينيّة دوره وواقعه في الأرض المحتلة من1948-1967م**، ط1، الوكالة العربيّة للنَّشر التَّوزيع، عمَّان، ص109.

([2]) محمود، حسني، **شعر المقاومة الفلسطينيّة**، ص110.

([3]) محمود، حسني، **شعر المقاومة الفلسطينيّة**، ص110.

([4]) طوقان، **الديوان**، ص78.

على العرب تقبُّل فكرة استيلاء الأجنبي على أراضيهم، أو تحمَّل الاعتداء على أيِّ مسلم فوق الأرض العربيّة والإسلاميّة.

من هنا، جاءت فكرة الرَّفض والمقاومة في الأصل. فالمعتدي أجنبي، ولديه أطماع استعماريّة بأرض العرب والمسلمين، وحين حطَّ الانتداب البريطاني في الأردن وفلسطين، كان ردّ الشُّعراء الأردنيين والفلسطينيين على أفعال المستعمرين غاضباً، ورافضاً لممارسات الاستعمار الظَّالمة، وسبباً في إثارة مشاعر المقاومة.

وحمل الشُّعراء على عاتقهم فكرة الدَّعوة إلى الرَّفض والكفاح والمقاومة، ورفض الضُّغوط الاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة التي مارسها المستعمر للسيطرة على مقدَّرات البلاد العربية والإسلاميّة، والقضاء على شخصيّة الإنسان فيها، واقتلاعه من تراثه ووطنه.

واتَّسم الشِّعر بطابعٍ قوميٍّ مستمدَّاً مادَّته في كلا البلدين من الأحداث السياسيّة والعسكريّة، وحاولت حكومة الانتداب أن تخرس صوته، وتكتم أنفاسه، فلم تستطع، وصبَّت جام غضبها على الكتَّاب والشُّعراء، فطاردت بعضهم حتى اضطرَّ للهجرة إلى الأقطار الشَّقيقة، كالشَّاعرين عبد الرَّحيم محمود، وبرهان الدِّين العبوشي، وزجَّت بآخرين في غياهب السُّجون والمعتقلات، وسنَّت تشريعات ظالمة تجعل السِّجن عقوبة لمن ألقى خطبة، أو نشر مقالة، أو نظم قصيدة حماسيّة فيها حضّ على الجهاد[1].

وساعد على انتشار فكرة المقاومة، وتبنِّي الشُّعراء لها نزوع النَّاس نحو التَّحرير والاستقلال، خاصةً أنَّ موقف الشُّعراء كان يحمل همَّاً جماعيَّاً، وهدفاً مشتركاً، ويعمل عمل المحرِّض، وتحفظه الجماهير الغاضبة علامة إيجابيّة على المقاومة والتحدِّي والرَّفض، يقول الشَّاعر عبد الرَّحيم محمود في قصيدته (نداء وطن)[2]:

دَعَا الوطَنُ الذَّبِيحُ إلى الجِهَادِ فَخَفَّ لِفَرْطِ فَرْحَتِهِ فُؤَادِي
وسَابَقْتُ النَّسِيمَ- ولا افتخارٌ- أَلَيْسَ عَلَيَّ أنْ أَفْدِي بِلادِي؟

([1]) السوافيري، **الاتجاهات الفنيّة في الشِّعر الفلسطيني المعاصر**، ص109.

([2]) محمود، عبد الرحيم، **الأعمال الكاملة**، ص15.

وهذا عرار شاعر الأردن يهبُّ مزاوجاً الهمَّ بين (يافا) و (حسبان) قائلاً من قصيدته (بقايا ألحان وأشجان)[1]:

"يافا" عَرُوسُ فلسطِينَ التي غَبَرت مَا فِي يَديَّ خَلا شَجْوِي وأَشْجَانِي!
يَا أَهْلَ يَافا لَقَدْ بالأمْسِ أَرَّقَنِي بَرْقٌ تَألَّقَ في أجواءِ "حُسْبَانِ"

ولم يسعه إلاَّ أنْ يتفجَّع لمصيبة لا يملك لها ردَّاً، إذْ سجَّل حسّه بالمصيبة قائلا من قصيدته (عبود)[2]:

"إنْ فَازَ بِالغَنِيمَةِ اليهُودُ
فَحَوْضُهم لا حَوْضَكَ المَوْرُودُ
وَظِلُّهُم لا ظِلُّك المَمْدُودُ
وَسَعْيُهم لا سَعْيُكَ المَحْمُودُ"

وبدأت الأحداث تمور وتموج بالاضطِّرابات، حين قامت السُّلطات البريطانيّة بإلقاء عدد من الشَّباب في السُّجون، فأصدرت بحقِّهم أحكاماً بالموت، ورفض المندوب السَّامي البريطاني إصدار عفو عنهم، حيث أعدم الانتداب صيف 1929م ثلاثة من الشبَّان، هم: فؤاد حجازي من صفد، ومحمَّد جمجوم، وعطا الزِّير من الخليل، فقال الشَّاعر إبراهيم طوقان في هذه الحادثة من قصيدته (الثلاثاء الحمراء)[3]:

لَمَّا تَعَرَّضَ نِجْمُكَ المَنْحُوسُ وتَزَنَّحَتْ بُعرَى الحِبَالِ رُؤُوسُ
نَاحَ الأَذَانُ وأعْوَلَ النَّاقُوسُ فاللَّيْلُ أكْدَرُ والنَّهَارُ عَبُوسُ

لقد التزم الشُّعراء بقضايا الوطن والشَّعب، وكان للشِّعر دورٌ كبيرٌ في مقاومة الاستعمار، وحثَّ النَّاس على الاستمرار في ذلك حتَّى تحقيق الأهداف والمصالح الوطنيّة، قال الشَّاعر خليل زقطان في قصيدته (يا شاعري) مُبرزاً دور الشَّباب ومسؤوليتهم وموقفهم ممَّا يجري[4]:

يَا شَاعِرِي نُحْنُ الطَّلِيعة، والشَّبَابُ هُم الطَّلِيعه

([1]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص375-376.

([2]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص178.

([3]) طوقان، **الديوان**، ص38.

([4]) زقطان، **صوت الجياع**، ص80.

وَوُعُورَةُ الدَّرْبِ الطَّوِيل تزيدُ قوَّتَنَا المَنِيعه
والشَّعبُ حِينَ يَثُورُ لا يثنيهِ طاغٍ أو صَنِيعُه
وإذا قَضَيْنَا فالطَّلِيعةُ سَوْفَ تَعْقُبَها الطَّلِيعَه

وأصبحت هذه الأبيات أهازيجٌ على كلِّ لسان تحذوها الموسيقا والإيقاع داخل الكلمة نفسها، ولكنَّ الشاعر يشير إلى استمرار الشعب في الجهاد والنضال.

لقد شغل الشُّعراءُ بالدَّعوة إلى المقاومة والكفاح، وتضمَّن ذلك كشف المخطَّطات والأطماع الاستعماريّة والصَّهيونيّة؛ لإقناع النَّاس بضرورة مجابهتها، وخاصة أنَّ الحلفاء كانوا قد نقضوا كل عهودهم مع الشَّريف حسين، دون أن يلقوا بالاً إلى حلفائهم العرب الذين شاركوهم حمل السِّلاح في الحرب العالميّة الأولى، وجاءت اتفاقيّة (سايكس – بيكو) عام 1916م سرَّاً لتقسيم بلاد الشَّام والعراق بين فرنسا وبريطانيا، وكذلك كانت بريطانيا منذ تشرين الثاني 1917م قد منحت الصهيونيّة العالميّة حقّ إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، بموجب تصريح بلفور المشؤوم، وفي ذلك يقول الشَّاعر الأردني – عرار – في قصيدته (فقه الشِّيخ)[1]:

يَـــا رَبُّ إنَّ بِلْفُـــورَ أنْفَـــذَ وَعْـــدَه كَـمْ مُسـلِمٍ يَبْقَـى وكَـمْ نَصْـرَانِي
وَكَيَـانُ مَسْـجِدَ قَرِيَتِـي مَـن ذَا الـذي يَبْقَـــى عَليـــهِ إذا أُزِيـــلَ كَيَـــانِي
وَكَنِيســـةُ العَـــذْرَاءِ أيْـــنَ مَكَانُهـــا سَـيَكُونُ إذا بُعِـثَ اليَهُـودُ مَكَـانِي

ولم يطل الأمر بالشَّعب كثيراً حتَّى تجلَّت أمامه حقيقة الانتداب البريطاني، وما انطوى عليه من مكرٍ وخداع، فتحوَّل الانتداب البريطاني للأردن وفلسطين إلى قضية شرف لدى الغالبيّة من سكَّان البلدين، ولم يكنْ أقدر من الفلاح الفلسطيني على إدراك هذا المفهوم؛ لأنَّه غدا الضَّحيّة الأولى للاستيطان الاستعماري الصهيوني الذي رآه يطرد من أرضه بحماية البريطانيِّين، حيث رفض الفلاحون أوامر الحكومة بترك الأرض، وألَّفوا جماعات فدائيّة، وراحوا يهاجمون المستعمرات الصهيونيّة، "وقدَّموا مئات الشُّهداء والضَّحايا"[2]. يقول الشَّاعر خليل زقطان، في قصيدته (الوطن الغالي)[3]:

([1]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص356.

([2]) محمود، **شعر المقاومة الفلسطينيّة**، ص45.

([3]) زقطان، **صوت الجياع**، ص63.

أَيُطْـرَدُ الشَّـعْبُ مِـن أرْضٍ لِيَسْـكُنَها قَـومٌ سُـوَاهُ، ألا شُـلَّتْ يَـدُ الجَـانِي؟
إيـــهٍ فِلســـطِينُنَا هَـــذِي شَـــبِيبَتُنَا هَدِيَـةُ الجِيْـلِ لاسْـتِرْجِاعِ أوْطَـانِي

وترتفع أصوات الشُّعراء عالياً داعين في شِعرهم إلى الحفاظ على رباطة الجأشِ والقوَّة والفداء لدحر المعتدين؛ للوصول إلى حياة كريمة، وفي ذلك يقول الشَّاعر الفلسطيني- إسكندر الخوري- مخاطباً فتاته من قصيدة (ذهب اللَّهو)[1]:

أَبْلِغِـي العُـرْبَ أنَّهـم لَـنْ يَنَـالُوا الحَـــقَّ إلاَّ بِعَزْمَـــةٍ ماضِـــيَه
أَبْلِغِـــيهم أنَّ لا احتـــرامَ لِقَـــومٍ لَـــيْسَ فِـــيْهِم شَـــبِيبَةٌ فَادِيـــه

وترتفع نبرة جديدة من الشِّعر في عهد الانتداب البريطاني، تدعو إلى تحمَّل الإنسان العربيّ لمسؤوليّة الدِّفاع عن وطنه وحمايته واستعادة كرامته؛ لأنَّ الموقف الجلل يستدعي ذلك، حيث يعبِّر وديع البستاني في قصيدته (إنَّ الله يحب العربا)، وعن هذه المعاني، حيث يقول[2]:

وَجَـــبَ الحُـــبُّ وَقَلْبِـــي وَجَبَـــا يَـــا بِـــلادِي وَقَضَـــى مَـــا وَجَبَـــا
يَشْـــتَكِي قَـــوْمِيَ مِـــن يـــومٍ أتَـــى بَعْـــدَ أمْـــسٍ طَـــابَ لمَّـــا ذَهَبَـــا
فَمَتَـــى يَخـــرجُ فـــيهم مُصـــطَفَى يُـــرغِمُ الـــدَّهْرَ إذا الـــدَّهْرُ أَبَـــى
لَـــيسَ يَســـتَجدِي اللَّيـــالِي حَقَّـــهُ إنَّمـــا يَسْـــلبُها مَـــا سَـــلَبَا
وإذا مـــا غَصَـــبَ الـــدَّهْرُ فَـــلا تَلْـــتَمِسُ مِـــنْ كَفِّـــهِ مـــا غَصْـــبَا
قُـــمْ إلـــى سَـــيْفِكَ واضْـــرِبْهُ وَلُـــمْ ضَـــعْفَ يُمنَـــاك إذا السَّـــيْفُ نَبَـــا

وقد رفض الشُّعراء فكرة الانتداب في أشعارهم، وأنكروا وصايته.

وتقتضي المقاومة الدَّعوة لوحدة الصَّف والتَّماسك والوقوف خلف المصالح الوطنيّة، ومن الأمثلة على ذلك قول الشَّاعر إبراهيم طوقان في قصيدته (السَّماسرة)[3]:

أمَّـــا سَمَاسِـــرَةُ الـــبِلادِ فَعُصْـــبَةٌ عَـــارٌ علـــى أهـــلِ الـــبِلادِ بَقَاؤُهَـــا
هُـــمْ أهْـــلُ نَجْـــدَتِهَا وإنْ أنْكَـــرَتهُم وَهُمُـــو، وأنْفُـــكَ رَاغِـــمٌ، زُعَمَاؤُهَـــا

([1]) البيتجالي، إسكندر الخوري، (1927م)، **مشاهد الحياة**، مطبعة بيت المقدس- القدس، ط1، ج1، ص164.

([2]) البستاني، وديع، (1922م)، **الديوان**، الجامعة الأمريكية، بيروت، ط1، ج1، ص459.

([3]) طوقان، **الديوان**، ط1، ص78.

وفي عام 1936م، امتنع الشَّعب عن دفع الضَّرائب، وقاطعوا الدستور الذي أعدَّه البريطانيون، وحاربوا سماسرة الأرض، وبدأت المقاومة تتَّخذ شكلاً فعليَّاً مسلَّحاً، يهدف إلى القضاء على رموز المستعمرين.

فقد تمَّت محاولة لاغتيال (بنتويش)*، اليهودي، البريطاني، النائب العام، في فلسطين؛ لإمعانِهِ في النِّكاية والكيد للعرب بالقوانين التعسُّفيّة، حيث كمن له أحد الشبَّاب المتحمِّسين (عبد الغني أبو طبيخ) في مدخل دار الحكومة في القدس، وأطلق النَّار عليه فجرحه.

لقد كان من حصاد تلك الحادثة قصيدة الشَّاعر إبراهيم طوقان (الفدائي)، وفيها يقول[1]:

لا تَسَـــــلْ عَـــــنْ سَـــــلامَتِهِ رُوْحُـــــهُ فَـــــوْقَ رَاحَتِـــــه
بَدَّلَتْـــــــــــهُ هُمُومـــــــــــهِ كَفَنَـــــاً مِـــــن وِسَـــــادَتِه

ثـمَّ مـا لبـث النَّـاس أن دعـوا إلـى النَّفيـر العـام ومجالـدة العـدو الإنجليـزي والصهيوني، إذْ قرنوا بين المستعمرَيْن وعدُّوهما فوجوده واحداً، ودعوا في الوقت نفسه إلى تجميع الجهود العربيّة، باحثين عن رمز يقود الجماهير، حيث وجد عرار في الأمير عبدالله بن الحسين ضالَّته، فانبرى لذلك الأمر في الحفاظ على ثرى الأردن الطَّهور، في قصيدته (إنَّ الوعود)، حيث يقول[2]:

مَنْ كَانَ يَحْسبُ أنَّ العُرْبَ يَخْدَعَهُمْ مَـنْ كُنْـتَ تَحْسَـبهم للعُـرْبِ أَخْـدانَا
أبَـا طَـلالٍ! وأنْـتَ اليـومَ رَائِـدُنَا نَغْـدُو إليْـكَ إذا مَـا الـدَّهْرُ عَادَانَـا
إنَّ الوُعُـودَ التـي مَنَّـوا، ومـا صَـدَقُوا بِهِـا عَلينـا، لعمـري، كُـنَّ بُهْتَانـا
هَـذِي الرُّبُـوع ليـومِ الفَصْـلِ نَـاظِرَةٌ فَكُـنْ لهـا- يـا رَعـاكَ الله- عنوَانـا

ويقول عرار في قصيدة (بقايا ألحان وأشجان) منبِّهاً إلى المآل السيئ الذي ران على البلاد والعباد، حتى استمرأ النَّاس ذاك الهوان[3]:

---

* بنتيوش: لقد تمت محاولة اغتيال... فجرحه.

([1]) محمود، حسني، **شعر المقاومة الفلسطينية**، ص21.

([2]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص349.

([3]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص370.

سِيْمَتْ بِلادِي ضُرُوبَ الخَسْفِ وانتُهِكت حَظَـــائِرِي، واسْـــتَبَاحَ الـــذِّئْبُ قُطْعَـــانِي
وراضَ قَـومِي علـى الإذْعَـانِ رائِضـهُم علـــى احتِمَـــالِ الأَذَى مِـــن كُـــلِّ إنســـانِ
فاســتمْرَأوا الضَّـيْمَ واسـتَخذِى سـراتُهُم فَهَـــاكُمْ، يَـــا أخِـــي، عَبْـــدَانِ عَبْـــدَانِ

فهذا الذِّئبُ الذي جاء لينقضَّ على مقدَّرات الأُمّة، هو الاستعمار بعينه، وهي دعوة لمقارعته، ونفض غبار الذُّلِّ والمهانة عن النَّاس.

ولا يفتأ عرار يستنهض الهمم مرَّة تلو الأخرى، ويدعو إلى امتطاء صهوات الخيل بفرسان شجعان، قائلاً من نفس القصيدة[1]:

مَـوْلايَ إنَّ المَطَايَـا لا تَسِـيرُ إلـى غَايَاتِهـا إنْ عَلاهَـا غَيـرُ فُرْسَـانِ

ويجمع بين فلسطين والأردن، ويدعو إلى طلب المساعدة من كل ذي رأي حصيف ذي قوة ومنعة، وخاصةً أُولي الأمر في الدِّيار المقدَّسة، حيث يقول من نفس القصيدة[2]:

لَـيْلايَ قَيْسُـكِ قـد شَـالَتْ نعامتُـهُ إلى فلسطينَ من غَوْرِ ابن عُدْوَانِ
شَدُّوا الرِّحَالَ إلـى ابـن السُّعودِ فَفِـي رِحَابـــهِ مَجْـــدُ غَسَّـــانٍ وعَـــدْنَانِ

وهكذا، فإنَّ أنَّات شعب فلسطين يرجع صداها مدوِّياً من الأردن شعباً وشعراء، في حين يقول إبراهيم طوقان في قصيدته (يا رجال البلاد)[3]:

انْفـــرُوا أيُّهـــا النِيَـــامُ فَهَـــذا: يَـــوْمَ لا يَنْفَـــعُ العُيُـــونَ كَرَاهَـــا
لا يَلِـــينُ القـــويّ حتَّـــى يُلاقِـــي مثلَـــهُ عـــزّةً وبَطْشَـــاً وَجَاهـــا

وهذه دعوة للشَّعب المستكين أن ينفروا لمقارعة العدو، ففي ذلك عزّهم.

وكان الشَّاعر عبد الرَّحيم محمود، من أبرز الشُّعراء الذين حرَّضوا على الجهاد ودعوا إليه، ورفده بالصِّدق قولاً وفعلاً؛ ممَّا أذكى روح القتال لدى الشَّباب، وكان يجتهد لترسيخ مبادئ الثورة، ويؤكِّد على حمل السِّلاح والنِّضال. قال في قصيدة (نداء الوطن)[4]:

([1]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص371.

([2]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص374.

([3]) طوقان، **الديوان**، ص56.

([4]) محمود، عبد الرحيم، **الأعمال الكاملة**، ص50.

وَقُلْـتُ لِمَـنْ يَخَـافُ مِـنَ المَنَايَـا أَتَفْـرَقُ مِـن مُجَابَهَـةِ العَـوَادِي؟
أتقعـدُ والحِمَـى يَرْجُـوكَ عَوْنَـاً وَتَجْـبنُ عَـنْ مُصَـاوَلَةِ الأَعَـادِي
فَـدُونَكَ خِـدْرَ أُمِّـكَ، فاقْتعِـدهُ وحسـبُكَ خِسَّـةً هـذا التَهَـادِي
فللأَوْطـانِ أَجْنَـادٌ شِـدَادٌ يَكِيلُـونَ الـدَّمارَ لأيِّ عَـادِ
يُلاقُـونَ الصَّـعابِ ولا تشَـاكِي أشَـاوِسَ فِـي مَيَـادِينِ الجِـلادِ
بَنِـي وَطَنِـي دَنَـا يَـوم الضَّـحَايا أغَـرَّ علـى رُبَـى أرضِ المعَـادِ

وقد سخَّر عبد الرحيم محمود شعره وروحه فداء وطنه، وقارع الانتداب والصهيونيّة، وحقَّق الله رغبته في الشَّهادة التي عبَّر عنها قبل ذلك في قصيدة (الشَّهيد) التي قال فيها[1]:

سَـأَحْمِلُ رُوحِـي عَلـى رَاحَتِـي وأُلْقِـي بِهـا فـي مَهَـاوِي الـرَّدَى
فإمَّـا حيـاةٌ تَسُـرُّ الصَّـدِيقَ وإمَّـا مَمَـاتٌ يُغِـيظُ العِـدَى
بِقَلْبِـي سَـأَرْمِي وُجُـوهَ العُـدَاة فَقَلْبِـي حديـدٌ، ونَـارِي لَظَـى
وأحْمِـي حِيَاضِـي بِحَـدِّ الحُسَـامِ فَـيَعْلَمُ قَـوْمِيَ، أنِّـي الفَتَـى

"لقد اقترنت الكلمة بالعمل عند الشَّاعر عبد الرَّحيم محمود، فقاتل بشعره وجسده على السَّواء"[2]؛ لذلك فشعراء المقاومة في الأرض المحتلَّة ما هم إلاَّ وليدو ذلك المخاض الذي عاناه سابقوهم عاماً إثر عام، "فهم يجابهون ويقولون ما لا يريد الآخرون أن يذكروه"[3].

وتظهر نغمةُ الأسى والحزن عند الشَّاعرة فدوى طوقان، وهي تفقد أسباب السَّعادة في قصيدتها المعنونة بـ (مدينتي الحزينة)، قائلة[4]:

اخْتَفَت الأطْفالُ، والأَغَاني

([1]) محمود، **عبد الرحيم، الأعمال الكاملة**، ص37-38.

([2]) عطوان، محمَّد، (1998)، **الاتجاهات الوطنيّة في الشِّعر الفلسطيني المعاصر**، دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط1، ص141-142.

([3]) جبرا، إبراهيم، "شعراء المقاومة"، **مجلة المواقف**، عدد (9)، ص118.

([4]) طوقان، فدوى عبد الفتاح، (1952م)، **الديوان- وحدي مع الأيام**، مكتبة مصر، القاهرة، ط1، ص481.

لا ظِلَّ. لا صَدَى
والحُزْنُ في مَدِينَتِي يَدُبُّ عَارِياً
مُخَضَّبَ الخُطَى
الصَّمتُ في الجِبَالِ رابِضٌ،
كاللَّيْلِ غَامِضٌ، الصَّمتُ فاجِعٌ
مُحَمَّلٌ
بوَطأةِ الموتِ وبِالهَزِيمَه
أوَّاهُ يَا نِهايَة المَطافِ!

لقد اهتمَّ الشُّعراء بالمقاومة من خلال الكلمة، لما لها من أثر في بناء الثقافة وشحذ الهمم والدِّفاع عن روح الإنسان ووجوده، ومستقبل الأجيال اللاحقة، ولقد برز هذا الاهتمام في:

الدَّعوة للنِّضال المسلَّح:

لقد ارتبط الشُّعراء بالأرض ارتباطاً وثيقاً؛ لأنَّهم يرون فيها وجودهم وكرامتهم ومستقبلهم، واعتبروا أنفسهم أوَّل الملبِّين للذَّودِ عن الحياض؛ لهذا وقف الشُّعراء محرِّضين على القتال لحماية الأرض والعِرْض، وكان للشِّعر وقعٌ كبيرٌ في قلوب الشَّباب الثائرة على المستعمر، لهذا يعتزُّ شاعر الثورة في فلسطين- عبد الرَّحيم محمود- بمواقف الشَّباب، ويعلِّق عليهم آمالاً عِراضاً، فهم من يزرع في صدور الأعداء رصاص الثَّورة، يقول في قصيدة (نداء الوطن) [1]:

بَنِي وَطَنِي دَنَا يَومُ الضَّحايَا ... أغَرَّ على رُبَا أرضِ المِيعَاد؟
وَمَا أهْلُ الفِدَاء سِوَى شبابٍ ... أبيٍّ، لا يُقِيمُ على اضطِّهَاد
إذا ضَاعَتْ فلسطينُ وَأَنْتُمْ ... على قَيْدِ الحياةِ، فَفِي اعْتِقَادِي
بأنَّ بَنِي عُرُوبَتنا اسْتَكَانُوا ... وأخْطَأ سَعْيُهُمْ نَهجَ الرَّشَادِ

(1) محمود، عبد الرحيم، **الأعمال الكاملة**، ص50-51.

وينتقل الشَّاعر عبد الرحيم محمود إلى مستوى أعمق في إثارة الشَّباب، والتأثير في النَّاس مستخدماً مثيرات نفسيّة وحسيّة وحركيّة ولونيّة وبصريّة، يقول في قصيدة (الشهيد)[1]:

يَلِـــذُّ لأُذْنِـــي سَـــمَاعُ الصَّـــلِيل ويـــبهجُ نَفسِـــي مَسِـــيلُ الـــدِّما
وَجسـمٌ تَجـدَّلَ فـي الصَّحْصَـحانِ تُنَاوَشُـــهُ جَارِحـــاتُ الفَـــلا
كَسَـــا دَمُـــهُ الأرضَ بِـــالأرْجَوَانِ وَأثْقَـــلَ بـــالعِطْرِ ريـــحَ الصـــبا

وتظهر من خلال الأبيات منزلة الشَّهيد (المقاوم)، وعظمة الدُّور الذي يقوم به. ويدعم ذلك البيتان السَّابقان، وخاصة البيت الأخير، الذي يفسِّر فيه أنَّ الأوطان لا تزدهر ولا تستمر بغير تضحية الشُّهداء، فهم أجمل ما في البلاد؛ لأنَّ دمهم الأحمر يتحوَّل إلى أزهار أرجوانيّة، والرِّيح مثقلة، أو مشبعة بمسك شهادتهم.

"إنَّ التفكُّك العربي وانشغال النَّاس بمظاهر الحياة المادية، هو الذي دفع الشُّعراء إلى الإلحاح في الدَّعوة إلى النِّضال المسلَّح؛ للحفاظ على فلسطين والأردن"[2]، يقول الشَّاعر خليل زقطان في قصيدته (الوطن الغالي)[3]:

أَيَـذْهَبُ الـوَطَنُ الغَـالِي ويُقعِـدنَا عَنُـه التنـاحر فـي جـاهٍ وسُـلطان؟!
أَيَـذْهَبُ الـوَطَنُ الغَـالِي وَنَنْشُـدُهُ فـي هَيْئَـةٍ أُلِّفت مـن كُـلِّ شـيطان؟
أنَسْـأَلُ الحَـقَّ فـي ذُلٍّ ومسـكنةٍ؟! والحـقُّ مَطْلَبُـهُ بِـالأحْمَرِ القَـانِي
هَـذا سَـبيلُكَ نَحـو المَجْـدِ فَاسْـعَ لَـهُ بالنَّـارِ والـدَّم فـي عَـزْمٍ وإيمَـان

وهو يرى أنَّ هذا الوجود يَطال الكرامة الإنسانيّة للعربي المسلم وللإنسان في أي مكانٍ إذا تعرَّض لمثل هذا الاعتداء، ولهذا تبهجه المقاومة وسيل الدِّماء، ما دام في سبيل تحقيق العزّة والكرامة والدِّفاع عن روح الإنسان ووجوده، ومستقبل الأجيال اللاحقة فيه.

([1]) محمود، عبد الرحيم، **الأعمال الكاملة**، ص37.

([2]) القاضي، محمَّد، (1982م)، **الأرض في شعر المقاومة الفلسطينية**، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، ص68.

([3]) زقطان، **ديوان صوت الجياع**، ص62 .

من هنا أجد أنَّ الشُّعراء قد تأثَّروا بالتُّراث الديني في قوله عزمٍ وإيمان، وأنَّ ذلك سبيل للمقاومة واسترجاع الأرض.

ويحتاج الكفاح المسلَّح عادةً إلى حسن الإدارة ودقّة التنظيم؛ ولهذا يحذِّر شاعر الأردن– عرار– من الاطمئنان لوعود المستعمر الغاشم، فيقول في قصيدته (إنَّ الوعود)[1]:

إنَّ الوُعُودَ التي مَنُّوا وما صَدَقُوا بِهَا عَلَيْنَا لَعَمْرِي كُنَّ بُهْتَانَا

ويشارك الشَّاعر البيتجالي في تقديم النَّصيحة للمقاومين في قصيدته (آلام وآمال)، قال[2]:

مَهْلاً بَنِي الفُصْحَى وتِلكَ نَصِيحَتِي إيَّاكُمْ وغَوَائِلَ الثُّعْبَانِ
خَلُّوا الخِلافَ، أعيذكم مِن شَرِّه وأُعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ

ولقد نبَّه الشُّعراء لمخطط الاستعمار الأوروبي في وقت مبكِّر، واستيقظوا على أهدافه وأطماعه، وكان إسعاف النشاشيبي من أوائل الذين أحسُّوا بالخطر المحدق بفلسطين، وتنبَّأوا به، قال في قصيدة (فلسطين والاستعمار الأجنبي)[3]:

يَا فَتَاةً جُودِي بالدِّمَا بدلَ الدَّمعِ إذا رُمْتِ البُكاء
فقد ولَّت فلسطينُ وَلَمْ يبقَ يا أُختَ العُلَى غيرُ ذماء
إنَّها أوْطَانُكم فاسْتَيْقِظُوا لا تَبيعُوهَا لقومٍ دُخلاء
فاعلَمُوا يَا قومَ إنْ لَمْ تَعلَمُوا أنَّ عُقباكُم هلاكٌ وفناء

لم تكن الأرض وحدها مستهدفة من قبل المستعمرين، وإنَّما أيضاً الإنسان، سواء أكان مسلماً أم مسيحياً، ولهذا نجد الشُّعراء قد التفتوا إلى هذه القضية، حيث كل منهما مستهدف، ويواجهان معاً نفس المصير؛ لهذا برزت لدينا مساهمات لعددٍ من الشعراء المسيحيِّين الذين نهضوا بهذا العبء الكبير أيضاً، حيث لا فرق بين مسلم

([1]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص349.

([2]) البيتجالي، إسكندر الخوري، (1927م)، **آلام وآمال**، المطبعة العصرية، القدس، ط1، ص5–6.

([3]) ياغي، عبد الرَّحمن، (1969م)، **حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة**، المكتب التجاري للطباعة والنشر– بيروت، ط1، ص50–52.

ومسيحي في هذا الصِّراع، حتى وصل الأمر بإسكندر الخوري البيتجالي إلى حدِّ التنكُّر لأولئك الغربيِّين الذين يتستَّرون خلف الدِّين من أجل تحقيق مطامعهم الدنيويّة الماديّة، على نحو قوله في قصيدة (البين والحرب)[1]:

إنَّ مِـنَ الغَـرْبِ شُـعُوباً لَـمْ تَـزَلْ تُشْـبِهُ الـذِّئبَ وتَرْعَـى الغَنَمَـا
هـي نَصْـرَانيَّة، لكنَّهـا تَعْبُـدُ الكَسْـبَ، وَتَهْـوَى الـدِّرْهَما

وهذا يعقوب العودات يستنهض الهمم ويدعو إلى الثورة، وإلى الردِّ على أفعال المعتدين؛ لوضع حدٍّ لتعسُّفهم وتسلُّطهم، يقول [2]:

أيُّهـا الشَّـعبُ نهضـةً وبـدَارَا أيُّهـا الشَّـعبُ أوسـعوكَ احْتِقَـارَا
هُـبَّ يَـا شـعبُ واصْـلِهِمْ مِنْـكَ نَـارَا هُـبَّ وانْفـضْ مِـنْ مُقْلَتَيْـكَ الغُبَـارَا
يَـا فلسـطينُ طَـالَ هـذا المَطَـال وَيْـحَ قَـومِي أَلـيسَ فِـيهِم رِجـال؟
طَـالَ ظُلمـاً أعْـدَاؤُنا واسْـتَطَالُوا ورأونـا نغضِـي الجُفُـونَ فَصَـالُوا

وتبرز في هذا النص الصور الشِّعرية المؤثِّرة والموحية التي يظهر من خلالها حجم الغضب الذي يعتمل في نفوس الشُّعراء على نحو (واصلهم منك نارا)، وقوله (ورأونا نغضي الجفون فصالوا).

وقد امتازت هذه الفترة بأحداثها المتلاحقة والمتغيِّرة، وبتأثيراتها العميقة، ودقَّ الشُّعراء للنَّاس أجراس الخطر، وفتحوا عيونهم على الواقع المؤلم، والمستقبل المظلم الذي ينتظرهم.

3.1 البطولة والشَّهادة:

لقد صمَّم الشُّعراء مع الشعب على الوقوف في وجهِ المحاولات الرَّامية لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، فقاوموا حكومة الانتداب البريطاني، ورفضوا خطط الصهيونيّة، ونطق الشُّعراء بلسان شعبهم، ووظَّفوا ذلك في قصائدهم؛ لكونها أداة نضاليّة فعَّالة في تعبئة الجماهير، حتى غدت أشعارهم هتافات جماهيرية على لسان

([1]) البيتجالي، **مشاهد الحياة**، ص38.

([2]) العودات، يعقوب، (1996م)، "من مقالة للبدوي الملثم حول الشاعر"، **مجلة الأديب**، السنة الخامسة، ص26.

الكبير والصَّغير، وأناشيد حماسيّة تصدح بها ساحات القتال، وارتفعت بهم حرارة الانفعال والحمية، وسهل الشعر انتقالها من عصبة إلى أخرى بالعدوى، "إذْ كان المناخ العام والخاص يهيئ المجتمع والأفراد لهذه العدوى"[1].

وفي ذلك يقول الشَّاعر عبد الرَّحيم محمود من قصيدة (شعب فلسطين)[2]:

الحَـــــقُّ لَـــــيْسَ بِرَاجِـــــعٍ لِذَوِيـــــــهِ إلاَّ بِـــــــالحِرَابِ
والصَّـــــرْخَةُ النَّكْـــــرَاءُ تُجْـــــدِي لا بـــــــالتَّلَطُّفُ والعَتَـــــــابِ

ولقد توالى غياب الأبطال شهداء في ساحِ الوغى، وقام الشُّعراء بدورهم النِّضالي، كقول الشَّاعر خليل زقطان راثياً البطل الشَّهيد إبراهيم أبو ديّة من قصيدة (ضريبة الأوطان)[3]:

وَلَـــوْلا المَـــوْتُ غايَـــةُ كـــلِّ حَـــيٍّ لَمَـــا أَحْجَمْـــتَ عَـــنْ نَيْـــلِ الطِّـــلابِ
وَلَـــوْ أُنْصَـــفْتَ يَـــا إبـــرَاهِيمُ مِنَّـــا لَجَـــاءَ الكُـــلُّ يَســـعَى والرَّوَابِـــي
لِرُوحِـــكَ بَيْنَنـــا صَـــرَخَاتُ ثَـــأْرٍ ســـتَحمِلُنا علـــى خَـــوْضِ العُبَـــابِ
وَلَـــوْلا الأَرْضُ مَثْـــوَى كـــلِّ لَيْـــثٍ لَمَـــا غـــادرْتَ أَبْـــرَاجَ السَّـــحَابِ

وتنادى الشُّعراء وأكثروا من الشِّعر الوطني، ومنهم برهان الدِّين العبوشي، الذي قام محرِّضاً، داعياً قومه إلى الثَّورة والموت في سبيل الوطن، قال[4]:

والحُـــرُّ يَـــدْفَعُ عَـــنْ حِمَـــاهُ بِسَـــيْفِهِ فَـــإِذَا تَحَطَّـــمَ سَـــيْفُهُ فبِنَابِـــهِ
فَلـنَمْشِ لِلمَـوتِ الـزُّؤامِ كَمَـا مَشَـى جَـــيْشُ النَّبِـــيِّ بِشِـــيْبِهِ وَشَـــبَابِهِ

وينبري شاعر الأردن– عرار– للتَّرحيب بأعواد المشانق في سبيل الحريَّة والوطن، ويقول في قصيدة (بقايا ألحان وأشجان) في معرض فخرهِ بقومهِ الذين وفوا للوطن حقَّه[5]:

نَحْـنُ الأُلَـى قَـدْ وَفَيْنَـا فِـي مَوَدَّتِنَـا يَـوْمَ الرِّفَـاقِ تَنَـادُوا يَـا لَقَحْطَـانِ
وَعَلَّقُـوهُم علـى الأعـوادِ مـا عَلِمُـوا أَنَّ العَـــزَائِمَ لا تُثْنَـــى بِعِيـــدَانِ

([1]) غالي، شكري، (1970م)، **أدب المقاومة**، دار المعارف، القاهرة، ط1، ص317.
([2]) محمود، عبد الرحيم، **الأعمال الكاملة**، ص40.
([3]) زقطان، **صوت الجياع**، ص106–107.
([4]) الأسد، **الحياة الأدبيّة الحديثة في فلسطين**، ص207.
([5]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص382.

ولقد تسابق الأبطال إلى أعواد المشانق في فلسطين، دفاعاً عن حياضها؛ ليخلِّدهم إبراهيم طوقان في قصيدة (الثلاثاء الحمراء)، وهم: "فؤاد حجازي، وعطا الزِّير، ومحمَّد جمجوم، إلاَّ أن يزحم رفيقه الزِّير فيعدم قبله من أجل حريّة الوطن"[1]، حيث يقول[2]:

لمَّا تَعَرَّضَ نَجْمُكَ المَنْحُوسُ ... وَتَزَنَّحَتْ بُعَرَى الحبالِ رُؤُوسُ
نَاحَ الأذانُ وأعول النَّاقُوسُ ... فاللَّيلُ أكْدَرُ، والنَّهَارُ عَبُوسُ
والمِعْوَلُ الأبدِيُّ يُمعِنُ في الثَّرَى ... لِيَرُدّهُم في قَلبِها المُتَحَجِّرِ

وقد كان لوقع هذه القصيدة في النُّفوس المشتعلة المتأجِّجة بالحماسة والثَّورة أكبر الأثر، وتلقَّى مستمعوه هذه القصيدة محزونين وغضابا، وكانت هذه المناسبة أشبه نَوْحٌ، وفي ذلك يقول الشَّاعر عبد الرَّحيم محمود من قصيدة بعنوان (الشَّهيد)[3]:

سَأحْمِلُ رُوحِي عَلى رَاحَتِي ... وأُلْقِي بِها في مَهَاوِي الرَّدَى
فإمَّا حياةٌ تَسُرُّ الصَّدِيقَ ... وإمَّا مَمَاتٌ يُغِيظُ العِدَا

وتشارك المرأة الأردنيّة والفلسطينيّة في النِّضال، وتنال شرف الجهاد بالقول والفعل في كثيرٍ من المعارك. ويأبى عليها الشَّاعر محيي الدِّين الحاج عيسى ذلك في مسرحيته الشِّعرية التاريخيّة بعنوان (مصرع كليب)، وقد خرجت لتناصر ثورة 1936م، بقوله[4]:

عُودِي لِخدْرِكِ يَا أختَ المَهَا عُودِي ... فِي الحَيِّ مَا شِئْتِ مِن شُوْسٍ وَمِنْ صَيْدِ
فَكَفْكِفِي الدَّمْعَ من عينَيْكِ واطَّرِحِي ... عَنْكِ الأَسَى تُوَاسِي قَلْبَ مَعْمُودِ
وَدُونَكِ الحيَّ، جُرِّي في مَسَارِحِهِ ... ذيْلُ الفَخَارِ بَيْنَ الخُرّد العَنِيدِ
أما رَأَيْتِ لِيُوثَ الحَيِّ قَدْ بَرَزُوا ... حُمْرَ المَنَاصِل فَوْقَ الضُّمْرِ القُودِ

([1]) عطوان، **الاتجاهات الوطنيّة في الشِّعر الفلسطيني المعاصر**، ص119.

([2]) طوقان، إبراهيم عبدالفتاح، (1975م)، **الأعمال الكاملة**، تحقيق: إحسان عباس، دار القدس، ط1، ص97.

([3]) محمود، عبد الرحيم، **الأعمال الكاملة**، ص37.

([4]) الصفدي، محي الدين الحاج عيسى، (1947م)، **مصرع كليب**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، ص45.

فِتْيَــانُ قَومُــكِ كَــمْ خَفُّــوا لِنَائِبَــةٍ فِــي كُــلِّ يَــومٍ مَــنَ الأيَّــامِ مَشْــهُودِ

أعراس البطولة والشهادة:

وقد سمَّاها محمود درويش فيما بعد بأعراس البطولة؛ لأنَّها ترمز[1] إلى العلاقة بين الحياة والموت، وبروز الموت من خلال العرس، يؤكِّد على تجدُّدِ الحياة المسكونة بالأمل والرَّجاء والتفاؤل، إذْ لا مجال لليأس والقنوط.

كما أنَّ العرس هنا يعني الموت الاختياري، وهو موت واعٍ طوعي محفوف برغبة جماعيّة صادقة لإيجاد البديل الأمثل؛ "لذا كان الموت المصاحب للعرس هو (الموت- الاستشهاد)، وهو (الحياة- النموذج) التي يحرص الإنسان الحر للتطلُّع إليها وتحقيقها"[2].

وقد خلَّد الشاعر محي الدين حاج عيسى الشهداء الثلاثة الذين أعدمهم الانتداب البريطاني يوم الثلاثاء، السابع عشر من شهر حزيران لعام 1930م في ثلاث ساعات متوالية، "أوّلهم: فؤاد حجازي، وكان المقرَّر رسميَّاً أن يكون عطا الزِّير ثانيهم، ولكن محمَّد جمجوم حطَّم قيّده، وزاحم رفيقه على الدَّور، حتى فاز ببغيته، وأُعدم قبله"[3].

حيث قال فيهم محيي الدَّين الحاج عيسى في قوله[4]:

أعَوِيـــــــلٌ أمْ نَشِـــــــيْدٌ وَرِثَـــــــاءٌ أمْ قَصِـــــــيدُ
إيـــــهٍ يَـــا يَـــوْمَ الثلاثـــا ءِ انْكَـــوَتْ فِيـــكَ الكبـــودُ
فِتْيَـــــة غُـــــرّ غَطَارِيـــــ ـــف لحبـــلِ المَـــوتِ قِيـــدُوا
فَكَـــأنَّ المَـــوْتَ عُـــرْسٌ أوْ كـــأنَّ المَـــوْتَ عِيْـــدُ

وزفاف الشهادة هو عشق المناضلين وفرحهم للزَّفاف إلى حبيبتهم الأرض، مخضَّبين بحنَّاءِ الوطن ليمنحوه الحياة الحرّة الكريمة.

([1]) درويش، محمود، (1984م)، **محاولة رقم 7**، دار العودة، بيروت- لبنان، ط6، ص92.

([2]) الشلبي، محمود، (1984م)، **عبد الرَّحيم شاعراً ومناضلاً**، مطبعة الخالدي، عمان، ط1، ص53.

([3]) طوقان، إبراهيم عبدالفتاح، **الديوان**، ص340.

([4]) الأسد، **الحياة الأدبيّة الحديثة في فلسطين**، ص268.

ويردِّد الشُّعراء دوماً ألحان الجهاد والدَّعوة إلى الشَّهادة، ففي ذكرى الهجرة النبويّة الشَّريفة، يقول الشَّاعر عبدالرَّحيم محمود من قصيدة (نار وثورة)[1]:

يَـومُ مَجـدٍ فـاتَ مـا أجمَـلَ ذكـرَهُ فِيـهِ لـوْ نَفطـنُ آيـاتٌ وعِبْـرَهْ
فِيـــهِ أنَّ المَـــالَ والأهـــلَ إذا لَـمْ يَجُـودَا ضُـحَّيَا مِـنْ أجْـلِ فِكْـرهْ
شِـــرْعَةٌ عَلَّمَنـــا المُصْـــطَفِى لَيتَنـا نَمْشِـي عَلـى الشّـرعة إثـرهْ

ويؤكِّد الشَّاعر عبد الرَّحيم محمود أنَّ الحقّ سيعود إلى نصابه، وضرورة انتصاره في نهاية المطاف، قال في قصيدة (ذكرى الزمان)[2]:

وَهَـــوَى البَاطِـــلِ صَـــعِقاً إنَّـــه كَـــانَ زَهُوقـــا
إنَّ مَـــنْ كَـــان مُحِقّـــاً كَـــانَ بِالنَّصْـــرِ حَقِيقـــا

ومن هذه البطولات:

أ- فتنة حائط المبكى:

ففي سنة 1929م، اضطَّربت عدّة مدن فلسطينيّة بسبب فتنة أثارها اليهود حول (حائط المبكى)، وقد اعتقلت السُّلطات الإنجليزية الكثير من الشبَّان، "وأعدمت ثلاثة منهم في يوم الثلاثاء، بعد أن سجنتهم زمناً، وسار الثلاثة إلى المشنقة ثابتي الجأش، رافعي الرؤوس، يهتفون بحياة أمَّتهم، وهم يتسابقون إلى المشنقة"[3].

وقد خلَّدهم الشَّاعر إبراهيم طوقان في شعره، كما مرَّ معنا، وفيهم نظم قصيدة (الشهيد) التي يقول فيها[4]:

عَـــبَسَ الخَطْـــبُ فابْتَسَـــمْ وَطَغَـــى الهَـــوْلُ فـــاقْتَحَمْ
رَابِـــطَ الجَـــأشِ والنُّهَـــى ثَابِـــتَ القَلْـــبِ والقَـــدَمْ
لَـــمْ يُبَـــالِ الأذَى وَلَـــمْ يثنِـــهِ طَـــارِئُ الأَلَـــمْ

([1]) محمود، عبدالرحيم، **الأعمال الكاملة**، ص140.

([2]) محمود، عبدالرحيم، **الأعمال الكاملة**، ص57.

([3]) الأسد، **الحياة الأدبيّة الحديثة في فلسطين**، ص267.

([4]) طوقان، إبراهيم عبدالفتاح، **الديوان**، ص36.

ب- ثورة 1936-1939م:

لقد اشتعلت الثَّورة في فلسطين لمدة ثلاثة أعوام بين عامي 1936-1939م، وتوالت القصائد الوطنيّة التي تصوِّر محنة البلاد، وتهيب بالشَّعب الفلسطيني والأمّة العربيّة والإسلاميّة مقارعة الاستعمار والصهيونيّة والحزبيّة وضعاف النُّفوس من السَّماسرة وبائعي الأرض.

ففي قصيدة (يا رجال البلاد)، يقول إبراهيم طوقان[1]:

قَدْ سَقَى الأرضَ بائِعُوها بُكاءً ... لَعَنَتْهُم سُهُولُها وَرُبَاها
وَطَنِي مُبْتَلَى بِعُصْبَةِ دلاَّ ... لِينَ لا يتَّقون فيهِ الله
في ثِيَابٍ تُرِيكَ عِزَّاً ولكن ... حَشْوُها الذُّلُّ والرِّياءُ سَدَاها
حُسِبُوا في الرِّجالِ، هَلْ كَانتْ الأنـ ... ـعامُ إلاَّ لِمثلِهم أشبَاها؟

ثمَّ يسخر الشَّاعر في قصيدته (أيُّها الأقوياء) متوعِّداً حكومة الانتداب، بقوله[2]:

قَدْ شَهِدْنَا لِعَهدِكم بالعَدَالة ... وخَتَمْنا لِجُنْدكم بِالبَسَاله!
وعَرَفْنا بِكُم صَدِيقاً وَفِيَّا ... كَيفَ نَنْسى انتدِابَه واحْتِلاَلَه!
وخَجِلْنا من (لُطفِكُم) يومَ قُلْتُمْ ... وَعدُ بِلفُورَ نَافِذٌ لا مَحَالَه!
أجَلاءٌ عن البِلادِ تُرِيدو ... نَ فَنَجْلو، أمْ مَحْقنا والإزَاله؟!

وبعد هذا كلّه، فإنَّ الشَّاعر عبدالكريم الكرمي (أبو سلمى) يتفاعل متجاوباً مع الثورة في مجموعة أشعاره (المشرَّد)، قائلاً في قصيدته (فلسطين)[3]:

ونَحْنُ الذين حَمَلْنا الرسا ... لة للأوَّلِينَ والآخرين
ونحنُ الذين خَلَقْنَا الجِهَاد ... ونحنُ الذين حَمَينَا العَرِين

ويرثي الشَّاعر عبد الرَّحيم محمود رفاقه الأبطال الذين نالوا شرف الشَّهادة قبله، مثل القائد البطل عبد الرحيم الحاج محمَّد الذي استشهد في قرية (صانور) بالقرب من جنين عام 1939م، وكأنَّه يرثي أمّة كاملة؛ لأنَّه مناضل وثائر.

([1]) طوقان، إبراهيم عبدالفتاح، **الديوان**، ص55.

([2]) طوقان، إبراهيم عبد الفتاح، **الديوان**، ص76.

([3]) الكرمي، عبدالكريم، (1978م)، ديوان أبو سُلمى عبد الكريم الكرمي، ط1، دار العودة، بيروت، ص12.

يقول في قصيدته (بطل شهيد) منادياً الحاج محمَّد بصوتٍ أجشّ دامٍ[1]:

أإذا أنشْـــدتُ يُوفيـــكَ نَشِـــيدِي حَقَّـكَ الواجِـبَ يَـا خَيـرَ شَـهِيدِ
أيُّ لفـــظٍ يَسَـــعُ المعنَـــى الـــذي مِنـكَ أستوحيه يـا وَحْـيَ قَصِـيدي؟
لا يُحِـيطُ الشِّـعرُ فيمـا فيـك مـن خُلُـقٍ زاكٍ ومـــن عَـــزْمٍ شـــدِيدِ

وتكبر حسرة الشَّاعر عبد الرَّحيم محمود، وتمتدّ حسرته على رفيق السِّلاح، وتنطلق منه زفرة حرَّى متألِّماً لخلوّ السَّاحة الحربيّة منه، فقد قال في نفس القصيدة[2]:

أيُّهـــا القَائِـــدُ لِـــمَ خَلَّفْتَنَـــا وَلِمَـــنْ وَلَّيْـتَ تصـــريفَ الجُنُـــودِ
أقْفَـــرَ المِيـــدَانُ مِـــنْ فُرْسَـــانِه وَخَـلا مـن أهلـهِ غـابُ الأُسُـودِ
والحِمَـى قَـد رِيْـعَ يَـا ذُخْـرَ الحِمَـى وَغَـدَا بَعـدك منقُـوصَ الحُـدُودِ

ج- حرب 1948م:

لقد استمرَّ القتال بين الشَّعب الفلسطيني ومن آزرهم من الجيوش العربيّة المنهكة من جهة، والانتداب البريطاني والمحتلّ الصهيوني من جهةٍ أخرى، فقد قارع الشَّعب الفلسطيني اليهود مع القائد الشَّهيد عبد الرَّحيم الحاج محمَّد في جبال نابلس، واشترك الشَّاعر عبد الرَّحيم محمود جنباً إلى جنب مع هذا القائد الشَّهيد، ولمَّا أحسَّت حكومة الانتداب بخطر الشَّاعر طاردته، ففرَّ إلى العراق.

وبعد قرار التقسيم في التاسع عشر من نوفمبر عام 1947م، اشتعلت الثورة من جديد؛ ليعود الشَّاعر الطريد إلى أرض الوطن، ويتدرَّب في (قطنة) من أعمال دمشق، ويلتحق بجيش الإنقاذ، ويدخل (بلعة) محارباً، ويشارك في معركة (بيار عدس).

ولقد حقَّق الالتحام حلمه الجميل بين الشِّعر والنِّضال، وهو يسقط شهيداً في معركة الشجرة.

د- الضفة الشرقية: يتساءل شاعر الأردن- عرار، عن سبب وجود من لا حقَّ له بالوجود على الأرض العربيّة في قصيدة له بعنوان (العبوديّة الكبرى)، قائلاً[3]:

وُسُـــفُوحُ شِـــيحَانَ الأغـــنْ بِكُـــلِّ يَانِعَـــةٍ سَـــخِيَّة

([1]) محمود، عبد الرحيم، **الأعمال الكاملة**، ص45.

([2]) محمود، عبد الرحيم، **الأعمال الكاملة**، ص45.

([3]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص438.

أيَّـــامٌ لَـــمْ يَـــكُ للفرنجَـــةِ فِـــي رُبُوعِـــكِ أسْـــبَقِيَّة
والعلـــجُ مـــا انْتَصَـــبَتْ لَـــهُ فِـــي كُـــلِّ مومـــاةٍ بَنَّيْـــه

وهذه دعوة إلى طرد المستعمر- وتحرير الأرض من آثارهما...، وكذلك التنفير من كل بريطاني على أرض الوطن، أمثال (هوبر) البريطاني، مستشار العدليّة حينذاك، وأثره في وضع القوانين في شرق الأردن، يقول عرار في قصيدة (عشيَّات وادي اليابس)[1]:

قانونُ (هوبر) حالَ بعضُ جَريضَة دُونَ القَـرِيضِ ودُونَ كـلِّ بيـانِ

ويندِّد باليهود، وبهذا يخاطب شيخه (عبُّود) قائلاً[2]:

فَحَسْبُنَا لِبَعْضِنَا نَكِيدُ
ضَلَّ غَوِيّ واهتَدَى رَشِيدُ!
إنْ فازَ بالغَنِيمَةِ اليَهُودُ
وظلّهم لا ظِلّك المَدُوْدُ
فَحَوضُهم لا حَوْضَك المَورُودُ
وسَعْيُهم لا سَعْيَكَ المَحْمُودُ
فليهنك القيامُ والقعُودُ
ويهنَكَ الرُكُوعُ والسُّجُودُ
وسبحةُ حبَّاتُها تَزِيدُ
علـــى مُصَـــابِي بـــك يـــا عَبُّـــودُ

([1]) عرار، **عشيات وادي اليابس** ، ص353.

([2]) عرار، **عشيات وادي اليابس** ، ص177-178.

4.1 الاستلاب:

أ- الاستلاب لغةً:

جاء في مختار الصحاح، أنَّ (س ل ب)- سلب الشيء من باب نصر. (والاستلاب) الاختلاس. والسلَب بفتح اللام هو المسلوب، وكذا السَّلب[1].

ب- الاستلاب اصطلاحاً:

وهو "أنَّ يفقد الفرد ذاته الفرديّة والاجتماعيّة الحقيقيّة محاولاً امتلاك ذات أخرى نقيضة"[2].

الاستلاب الطبقي:

لقد عاش عرار يدافع عن المقهورين في الأرض، وأكثر في شعره من ذلك دون أنْ يلتفت لآراء الآخرين الذين لمزوه بشآبيبٍ من ألفاظهم البذيئة لقربه من النَّور، مع أنَّه كان يعمل لإصلاح مجتمعه المحلِّي، وكثيراً ما يعود ليواجه مجتمعه ويتحَّداه.

وقد حاول مراراً وتكراراً أن يبعد عن الناس فكرة المستوى الدَّوني للنَّور، وقد ألفاهم طبقة مسحوقة اجتماعيّاً، ففي قصيدته (العبوديّة الكبرى)، قال محتجَّاً على المدَّعي العام الذي منع (الهبر) من السَّلام عليه[3]:

يَا مُدَّعي عامِّ اللِّواءِ وأنْتَ من فَهْمِ القضيّةْ
الهَبْرُ جَاءَكَ للسَّلامِ فكيْفَ تَمْنَعَهُ التّحَيَّةْ ؟
ألأنَّ كِسْوَتَهُ مُمَزَّقةٌ وَهيئتُهُ رزيَّةَ؟
قَدْ صَدَّهُ جُنْدِيُّكَ الفُظُّ الغَلِيظُ بِلا رَوِيَّةْ
وَأبَى عَليهِ أن يَرَاكَ فَجَاءَ مُمْتَعِضاً إليَّه
وَيَقُولُ إنَّ زِيارةَ الحُكَّامِ- لا كانَتْ- بَلِيَّة

([1]) الرازي، محمَّد بن بكر، (2001م)، **مختار الصحاح**، ط2، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، لبنان، ص157؛ انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين، (ت630 هـ/ 1232م)، لسان العرب، المجلد الثاني، دار لسان العرب، بيروت، ص777.

([2]) شاويش، حسين ومحمد، (1995م)، **حول الحب والاستلاب**، دار الكنوز الأدبية- بيروت، لبنان، ط1، ص27.

([3]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص434-435.

فَاسْرِعْ وَكَفِّرْ، يا هَدَاكَ اللهُ- عَنْ تِلْكَ الخَطِيَّةْ
فَالهَبْرُ مِثْلِي ثُمَّ مِثْلُكَ أُرْدُنِيٌّ التَّابِعِيَةْ

إنَّ الشَّاعر ملتصق بأرض الأردن وشعبه، ويرى فيهما عزِّه التليد، وبدونهما لا حقيقة لوجوده.

فيتساءل الشَّاعر الأفغاني من قصيدة (أنا.. من فلسطين) بقوله[1]:

أنَــا مَــنْ أنَــا، فــي العَــالَمِينْ؟ أنَــا مِــن بَقَايَــا اللاجِئِــينْ
أنَــا مــن رُبَــى البَلَــدِ الأمِــينْ أنَــا، مــن فلســطينَ، الطَّعِــينْ

الاستلاب الثقافي:

ركَّز العدو الصهيوني على المستوى الثقافي، فأضعف مستوى إتقان اللُّغات الأجنبيّة في أوساط عرب الأرض المحتلة، وخصوصاً الأرياف؛ ممَّا أدَّى إلى انقطاع شبه كامل عن حركة الإنتاج العالمي وتأثيراتها.

وقد طارد الانتداب البريطاني والصهيوني الأدباء وخاصة الشُّعراء، حتَّى شعراء القصيدة الشَّعبيّة؛ لأنَّه رأى فيهم جذوة ستحرِّك الشُّعوب، وتثير حميَّتهم للمقاومة.

وتوسَّع العدو في التحكُّم في نوع الكتب العربيّة التي ترغب المؤسسات الخاصة في إعادة طبعها داخل الأرض المحتلة، إذْ تدخَّل في الإنتاج والمضمون.

كما عمد إلى إغراق السوق بِكَمٍ من الكتب الرَّخيصة والتَّافهة، ومراقبة الإنتاج الأدبي العربي مراقبة صارمة في محاولة للحيلولة دون نشوء جيل عربي مثَّقف يكون نواة لانفتاح أوسع على الآفاق الفنيّة المعاصرة.

ولقد استلبت السُّلطات الإسرائيليّة المدارس العربيّة الابتدائيّة مناهجها، وأرغمتها على إعطاء برامج دون مستوى المدارس اليهوديّة؛ لتحول بين العرب من أن يتابعوا دراستهم الثانوية والعليا. كما اضطهدت القلّة القليلة الناجحة من أبناء العرب، سياسياً وإدارياً، في محاولات مستمرّة لتحطيم معنوياتهم ومؤهلاتهم، وغالباً ما تكون البطالة أو الوظيفة في غير مجالهم هي مآلهم.

([1]) الأفغاني، محمود عبد الحميد، (1983م)، **ديوان الأفغاني**، مطابع الدستور- عمَّان، الأردن، ط1، ج1، ص84.

الاستلاب المعنوي:

إنَّ استلاب الحقوق، وعدم القدرة على استرجاعها، يحبط النُّفوس، ويؤدِّي بها إلى يأس مقيم، كقول الشَّاعر خليل زقطان في قصيدة (الواقع)[1]:

لا تُقَاوِمْ سُلْطَةَ الجَانِي بِدَعْوَى الأُمْنِيَاتِ
أَنْتَ نسيٌ وإذا أُنْصفْتَ جَادُوا "بِالفُتَات"!

ثمَّ يقول:

لا تُطَالِبْ بِرُبُوعٍ قِيْلَ كَانَتْ لَكَ أمْسِ
مَطْلَبٌ غَيَّبَهُ الوَاقِعُ فِي أضْيَقِ رَمْسِ
وإذا هَاجَكَ للرّبْعِ حَنِينٌ فَتَدَاوَى بِالتَّآسِي
دَعْكَ مِنْ غَيْرِكَ أن يَشْقَى وَقُلْ: يَا رَبُّ نَفْسِي!!
لَسْتُ عَبْداً هَمُّهُ الرَّفْعةُ مِنْ عَبْدٍ لِحِلْسِ!

وهذا شاعرُ الأردن– عرار– وقد سُلِبَتْ معنويَّتُهُ الرُّوحيّة، يقول في قصيدة (سكر الدَّهر) ساخراً [2]:

قَدْ قَلَوْتُ القِيْلَ وَالقَالَ وَمَا لَيْسَ لِي فِيْهِ غِنَى أو مِنْهُ رِبْحُ
وَنَذَرْتُ الصَّمْتَ لِمَا قِيْلَ لِي مَنْ يَقُولُ الحَقَّ يُؤْذَى وَيُدَحُّ
أنَا إنْ أصْمت فَصَمْتِي حَسْبُهُ أنَا صوتُ الأرقاء الأبحُ
أيُّها البَاكِي عَلى أوْطَانِهِ لا يَرُدّ الرُّوح لِلميّتِ نُوْحُ
بَارِكِ الظُّلْمَ وصَفِّقْ لِلأذَى فَهُمَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحُ

فقد توالت المصائب على الشعبين الأردني والفلسطيني بسبب الانتداب الذي سيطر على البلاد قبل الاحتلال، فهذا الشَّاعر عبدالمنعم الرِّفاعي، يقول[3]:

فانْتَفَضْنَا عَلى أنِيْنِ الضَّحَايَا وَحَطَّمْنَا مُمَنَّعَاتِ القُيُود

([1]) زقطان، **صوت الجياع**، ص68.

([2]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص164–166.

([3]) أحمد، محمَّد أحمد موسى، (1987م)، **عبد المنعم الرِّفاعي– حياته وشعره**، دائرة الثقافة والفنون– عمَّان، ط1، ص199.

ويجعل نهر الأردن يئنُّ حزناً على الأوضاع الرَّاهنة، فيقول[1]:

مَـنْ رُبَـى خَالِـدٍ وَسَـهْلِ شَـرْحَبِيل وَنَهْـــرٌ يَـــئِنُّ فِـــي جَرَيَانِـــه

وتظهر مسحة حزينة في شعر الرِّفاعي، وخاصة ما استحدثه في نفسه من حياته العامّة، وهي صفة الألم النَّفساني المرهف، وقد رأى أنَّ الانتداب والصهيونيّة قد سيطرا على مقدَّرات الأمّة العربيّة.

وقد وجد الشَّاعر في اللَّيل متنفَّساً عن صدره من كثرة آلام القهر، فناجى اللَّيل وخاطبه علّه يجد فيه مكاناً يشكو فيه آلامه وهمومه، فقال[2]:

أنَـــا لَوَّنْتُـــكَ مِـــن أصْـــبَاغِ نَفْسِـــي مَـن سَـوَادِ الفِكْـرِ مِـن قَـاتِمِ حسِّـي
كُلَّمَـــــا ازْدَدْتَ حُلُوكَـــــاً ودُجَـــــى زَادَنِـــي دَجْنُـــك إيمانـــاً بِنَفْسِـــي
أُيُّهَـا ذَا اللَّيْـلُ يَـا مَسْـرَى الـرُّؤَى وَمَـدَى الظَـنّ ويَـا مَصْـدَر حَدسِـي
أنَـا مِـنْ صَـرْحِكَ أشْـرَفت علَـى يَـوْمِي الشَّـاكِي وَمَجْهُـولِي وأمْسِـي

ثمَّ يعاود الشَّاعر بكاءه على فردوسه المفقود، وكرامته الضَّائعة، فيقول[3]:

وَطَنِـي يَـا لَهْـفَ نَفْسِـي، وَطَنِـي يَـا شَـتِيتَ الأهْـلِ يَـا أرْحَـب رَمْـسِ
فِيْـكَ مِـــن كُـــلِّ شَـــهِيدٍ آيَـــةٌ هِـيَ فِـي مَعْنَـى العُلَـى أبلـغُ دَرْسِـي
لَسْـــتُ أبْكِيـــكَ لِمَاضِـــيكَ الـــذي كَـانَ مَشْـحُونَاً بِـنَحْسٍ إثْـرَ نَحْـسِ
إنَّمَـــا أبْكِيـــكَ لِلْيَـــومِ الـــذي فِيـهِ لا تَشْـكُو الأسَـى إلاَّ بِهَمْـسِ
يَـــوْمَ تأتِيـــكَ المَنَايَـــا شُـــرَّعاً عَاتِيَـــاتٍ تَخْلَـــعُ اللـــبَّ وَتُنْسِـــي
وَتَـــرى أنَّـــكَ مَعْـــدُومُ القُـــوَى خَاسِـرٌ تَضْـرِبُهَا خَمْسَـاً بِخَمْـسِ

ولا شكَّ أنَّ الرِّفاعي لا ينسى وطنه، ويتحدَّث عن استلاب حقّه وما كان يملك شعبه، وقد طرد من أرضه واستلب حقّه في الحياة الكريمة.

وأمَّا الشَّاعر عبد الرَّحيم محمود، فيتوجَّه إلى شعبه الذي سلبته قيادته حقّه وغرَّرت به بريطانيا، فيرفض سياستها الظَّالمة في حكم الشَّعب العربيّ، فيصرخ متألِّماً من قصيدة (إلى كل مُتَهاود)[4]:

([1]) أحمد، **عبد المنعم الرِّفاعي- حياته وشعره**، ص199.
([2]) أحمد، **عبد المنعم الرِّفاعي- حياته وشعره**، ص201.
([3]) أحمد، **عبد المنعم الرِّفاعي- حياته وشعره**، ص201.
([4]) محمود، عبد الرحيم، **الأعمال الكاملة**، ص59.

يَـــا شَـــعْبُ، يَـــا مِسْـــكِينُ لَـــمْ تُنْكَـــبْ بِنَكْبَتِـــكَ الشُّـــعُوبُ؟
قَلَّـــدْتَ أمْـــرَكَ مَـــنْ بِهِـــمْ لا يرجِـــعُ الحَـــقُّ الغَصِـــيبُ
لَهفِـــي عَلَيْـــكَ ألا تَـــرَى يَـــا شَـــعْبُ حَوْلَـــكَ مَـــا يَرِيْـــبُ؟

ومن الاستلاب ما يؤدِّي إلى الحرمان، وفقدان الأمل في الحياة الكريمة، وفي ذلك يقول الشَّاعر مؤيَّد إبراهيم إيراني من قصيدة (شجون)[1]:

النَّـــاسُ فـــي فَـــرَحٍ وأنْـــتَ حَـــزِينُ والَّـــدَهْرُ بِالسَّـــلْوَى عَلَيْـــكَ ضَـــنِينُ

ولقد كان الاستلاب سبباً في الاغتراب لكثيرٍ من الشعراء، فأخذوا يهيمون على وجوههم منتشرين في العالم أجمع، مثلما كان السبب المباشر في المقاومة؛ درءاً للخطر الذي أحاق بهم، وتنادوا إلى ذلك، حيث يقول الشَّاعر عبد الرَّحيم محمود في قصيدته (نداء الوطن)[2]:

فَلَـــيْسَ أحـــطَّ مِـــن شَـــعبٍ قَعِيـــدٍ عَـــنِ الجُلـــىَّ وَمَوْطِنُـــهُ يُنَـــادِي

حيث يتوجَّه إلى قومه يوقظهم، ويحرِّضهم على النِّضال والثبات في مقاومة الاستعمار والصهيونيّة، ويحذِّر قومه من اليأس والهوان.

إنَّ الاستلاب بأنواعه: المعنوي والمادي والروحي يؤدِّي إلى الفقر والبطالة وتدهور الحياة الكريمة اليوميّة، بالإضافة إلى أنَّ الشخص المستلب يفقد الرؤية الواضحة في أموره، ممَّا يشعره بالخوف الدائم، والرَّهبة التي قد تؤثِّر على توازنه من الناحية العقليّة.

يقول الشَّاعر إسكندر الخوري في قصيدة (أنَّة شاعر)[3]:

يَـــا شَـــعْبُ قَـــدْكَ الـــذُّلُّ تَجْرَعُـــهُ مَـــع مخلبـــاتِ الأكْـــلِ والشُّـــربْ

([1]) إيراني، مؤيد إبراهيم، (1931م)، **الدموع**، ط1، مطبعة الجميل، حيفا، ج1، ص21.

([2]) محمود، عبدالرحيم، **الأعمال الكاملة**، ص50.

([3]) البيتجالي، **مشاهد الحياة**، ص23.

5.1 المثقَّف والسُّلطة:

لعب المثقَّف الأردني والمثقَّف الفلسطيني دور القيادة في مقاومة الانتداب والمحتلّ الصهيوني، فأس هدم في حياة الانتداب وساعد على اقتلاعه من جذوره، وليس أمر المحتلّ من ذاك ببعيد.

مصادر الثقافة:

تعدَّدت مصادر الثقافة التي ارتوى منها المثَّقفان الأردني والفلسطيني على السَّواء، وكانت البيئة المحليّة من أكبر الرَّوافد التي ساهمت في صقل مواهبهم، ناهيك عن الثورات في الأقطار العربيّة المجاورة، كمصر والعراق وسوريا والجزائر، بالإضافة إلى الثورة الهاشميّة من ربوع الحجاز بقيادة الشَّريف حسين وأبنائه، الذين سيأتي دورهم لاحقاً.

1- المدارس المحليّة:

تلقَّى مثقَّفو البلدين تعليمهم الابتدائي في مدارس مدنهم، مدينة إربد التي تخرَّج فيها عرار، ومدينة نابلس التي تخرَّج فيها الشَّاعر عبد الرَّحيم محمود.

ولم يكن في الأردن سوى أربع مدارس ثانوية، في كل من الكرك، والسَّلط، ومعان، وإربد. والمدارس الابتدائيّة لم تزد على عشر مدارس في جميع أنحاء البلاد، بالإضافة إلى الكتاتيب التي كان يدرِّس فيها الشُّيوخ علوم الدِّين والعربيّة.

وعندما قَدِمَ الأمير عبدالله بن الحسين- رحمه الله- إلى شرق الأردن، بدأ عهداً جديداً في القضاء على الجهل والأميّة المتفشِّية، وسنَّ نظام التدريسات الابتدائيّة، وغُرِّم الآباء الذين يمتنعون عن إدخال أبنائهم إلى المدارس الحكوميّة، وقُدِّمت الكتب المدرسيّة مجَّاناً.

ولأجل هذا، تعاقد الأمير عبدالله مع عدد من المدرِّسين من سائر البلاد العربيّة، كمصر، وسوريا، ولبنان، وفلسطين؛ للعمل في الأردن، كما كان يطوف على المدارس متفقِّداً وناصحاً المعلمين، وحاثَّاً الأهالي على تعليم أبنائهم.

2- الصَّحافة والمجلات الأدبيّة:

لا أحد ينكر قيمة الصَّحافة، وآثارها الجانبيّة في إبراز الأدب على صفحاتها، فالصَّحافة الأدبيّة من العوامل التي مهَّدت للبعث القومي.

غير أنَّ فلسطين لم تتأخَّر عن كل من لبنان ومصر، فقد وفد إليها من وسائل الثقافة الحديثة الأوروبيّة، ومن وسائل مميَّزة أخرى للشخصيّة الأوروبيّة الكثير منذ وقت مبكِّر في القرن التاسع عشر، مع العلم أنَّ فلسطين قد عرفت المطبعة منذ عام 1830م، وأنَّ مدارسها كانت حكوميّة وطائفيّة أهليّة وأجنبيّة.

وقد كان للأدب الشَّعبي دوره في إثراء حصيلة المثقَّف الأردني والمثقَّف الفلسطيني على السَّواء، وقد كانت تتحوَّل الأعراس إلى مساجلات أدبيّة بفضل القوَّالين والشَّعراء الشَّعبيين، كقول أحدهم[1]:

أَرْضُ العُرُوبَـــــةِ تَحَـــــرَّرَتْ دَايَّـــــان شَـــــيّل وارْحَـــــلِ
لَـــوْ وَقَعَـــتْ سَـــابِعْ سَـــمَاْ عَـــنْ أَرْضِـــنَا مَـــا بنزْحَـــلِ

لهذا أرى أنَّ الشِّعر الشِّعبي ظلَّ إلى جانب الشَّعر الفصيح من أكبر روافد المثقَّف في مقارعة العدو المشترك.

3- الثَّورات العربيّة:

وضعت الحرب العالميّة الأولى أوزارها، فاعترى الشَّرق العربي شعور عام بالخيبة، حيث حلَّ الانتداب البريطاني والفرنسي محل الحكم العثماني، واحتلت الصهيونيّة أرض فلسطين.

كلُّ ذلك استفزَّ العناصر الوطنيّة، فهبَّت تسعى لنيل أمانيها، وكان للشُّعراء دور مرافق للمجاهدين، يذكي أوار الحرب والجهاد، ويدعو إلى النِّضال وعدم الخنوع.

وهذه نظرة عجلى على الثَّورات في الدُّول العربيّة المجاورة للأردن وفلسطين في ذلك الحين، ممَّا جرَّأ الشُّعراء على مهاجمة المحتلِّين ومطالبتهم بالجلاء، كما دفعهم إلى التغنِّي بالحريّة والكرامة الوطنيّة؛ ممَّا أثرى حصيلة المثقَّف الأردني والمثقَّف الفلسطيني على النَّحو الآتي:

([1]) أحمد، **عبد المنعم الرِّفاعي- حياته وشعره**، ص41.

1. كفاح القوميّة المصريّة:

يرجع عهد هذا الكفاح إلى بدء الاحتلال البريطاني لمصر، حيث قاومهم المناضل مصطفى كامل، وعندما توفِّي نرى اتِّقاداً تتأجَّج فيه العواطف القوميّة، كقول حافظ إبراهيم في قصيدة (رثاء مصطفى كامل باشا)[1]:

هَنِيئَــاً لَهُــم فَلْيــأمَنُوا كُــلَّ صَــائِحٍ فَقَدْ أُسْكِتَ الصَّوتُ الذي كَانَ عَالِيَا

شَــهِيدَ العُــلَا لا زَالَ صَــوْتُكَ بَيْنَنَــا يَــرِنُّ كمــا قَــدْ كَــانَ بــالأَمْسِ دَاوِيَــا

وينتقل لواء الجهاد إلى يد سعد زغلول مطالباً بالاستقلال، وَيُنْفَى إلى جزيرة (سيشل) مع رفاقه الأبطال. ولمَّا أفرج عنهم وعادوا إلى الوطن، استقبلهم الشَّعب المصري استقبال الأبطال الفاتحين.

2. الثَّورة العراقيّة:

وترجع إلى عهد الانتداب البريطاني في العراق، يوم أعلنت بريطانيا للعرب أنَّها تريد تحرير البلاد والعباد لا فَتْحَ بِلادِهم، إذ قالت: "إنَّ الغاية التي ترمي إليها بريطانيا العظمى وفرنسا من مواصلتها في الشرق، تلك الحرب التي أثارتها مطامع الألمان، هي تحرير الشُّعوب الرازحة منذ زمن تحت نير الاستبداد التركي تحريراً تاماً، وتشييد حكومات وإدارات وطنيّة تستمدّ سلطتها من رغائب الأهالي الوطنيين الصادرة عن رضاهم وحسن اختيارهم"[2].

فكان من الطبيعي أن يتوقَّع العراقيون استقلالاً تاماً، وحريّة من العبودية. لكنَّ الأمور جرت على غير ما يرام، فأخذ الوطنيون يتفاوضون ويبحثون سرَّاً طالبين أحد أنجال الحسين أميراً عليهم.

ولمَّا تعذَّر التفاهم بين السُّلطة والوطنيين، عمدت السلطة إلى سياسة الإرهاب، وقبضت على بعض الزُّعماء، فنفت عدداً منهم، واعتقلت آخرين، وهكذا نمت فكرة إعلان الثَّورة.

([1]) حافظ، إبراهيم، (1937م)، **ديوان حافظ إبراهيم**، تحقيق: أمين، أحمد، والزين، أحمد، والأبياري، إبراهيم، وزارة المعارف العمومية، القاهرة، ط1، ج2، ص149.

([2]) المقدسي، **الاتجاهات الأدبيّة**، ص163.

وقد ألقى محمَّد الباقر الشبيبي يؤمئذٍ خطبة، وأنشد قصيدة قال فيها[1]:

بَنِـــي يَعْـــرُبٍ لا تـــأمَنُوا للعِـــدَا مَكْـــراً خُـذُوا حِـذْرَكُم مِـنْهُم فَقَـدْ أخَـذُوا الحَـذَرَا
يُريـــــدُونَ فِـــــيكُم بِـــــالوُعُودِ مَكِيْـــــدَةً وَيَبْتَغُـونَ إن حَانَـتْ لَهـم فُرْصَـةٌ عُـذْرَا
فَـــــلا يَخْـــــدَعَنَّكُم لِيـــــنُهُم وتَـــــذَكَّرُوا أضَـالِيلَهُم فِـي الهِنْـدِ والكذبِ فِـي مِصْـرَا

وفي هذه الثورة يقول مهدي الجواهري من قصيدة (الثورة العراقية)[2]:

إلامَ التَّـوَانِي فـي الحَيَـاةِ وَقَـدْ قَضَـى عَلـى التَـوَانِي المَـوْتُ هَـذَا التَنَـازُعُ
وَمَـا ضَـرَّهُم بَنُـو السُّـيُوفِ وَعِنْـدَهُم عَـزَائِمُ مـن قبـلِ السُّـيُوفِ قَوَاطِـعُ
إذا اسـتُكْرِهُوا طَعْـمَ المَمَـاتِ فابْطَـأوا أتِـيحَ لَهُـمْ ذكـرُ الخُلُـودِ فَسَـارِعُوا

ثمَّ يصف الشَّيخ الشرازي الثُّورة ضدّ الإنجليز، بقوله[3]:

تَثُـــورُ بِـــهِ للمـــوتِ نَفْـــسٌ أبِيَّـــةٌ وَتَـــأبِى سِـــوَى عَـــادَاتهنَّ الطَّبَـــائِعُ
يُطَارِحُـــهُ وَقْـــعُ السُّـــيُوفِ إذا مَشَـــى كَمَا طَارَحَ المُشْتَاقَ فِي الأيكِ سَاجِعُ

ولـه قصيدة أخرى بعنوان (بين الماضي والحاضر) على هذا النَّمط الحماسي بأكثر من (75) بيتاً، ومطلعها[4]:

إنْ كَـــــانَ طَـــــالَ الأَمْـــــرُ فَبَعْـــــدَ ذَا اليَـــــوْمِ غَـــــدُ

وقال خيري الهنداوي قصيدة طويلة ناريّة الرُّوح، مطلعها[5]:

"أيُّهَا الشَّرقُ قَد فَقَدْتَ الشُّرُوقا"، يقول:

أنْـتَ أذْنَبْـتَ أم بُنُـوك أم الظُّـلَّامُ شَـــاءوا أن يغصِـــبُوكَ الحُقُوقَـــا
بَيَّتُـــوا أمْـــرَهُمْ وَجَـــاءُوكَ جَمِيعَـــاً يَتْلُـــو فَرِيـــقٌ فَرِيقَـــا

([1]) الحسني، عبد الرزاق، (1938م)، **العراق في دوري الاحتلال والانتداب**، مطبعة العرفان، دمشق، ط1، ص107.

([2]) الطريفي، يوسف عطا، (2008م)، **محمَّد مهدي الجواهري- حياته وشعره**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمَّان، ط1، ص105.

([3]) الطريفي، **محمَّد مهدي الجواهري- حياته وشعره**، ص236.

([4]) الطريفي، **محمَّد مهدي الجواهري- حياته وشعره**، ص100.

([5]) بطي، رفائيل، (1342هـ)، **الأدب العصري في العراق العربي**، ج2، قسم المنظوم، المطبعة السلفية، مصر، ص166.

حَـــاوَلُوا- لا أبالـــك- أنْ يَكُـــونَ الشَّـرْقُ كَالعَبْـدِ مُسْتَضَـامَاً رَقِيقَـا

كذلك الشيخ مهدي البصير الذي اعتقل ونفي، يُعدُّ من موقدي الشِّعر الوطني الثَّوري المحرِّك. قال في قصيدة (لبيك أيُّها الوطن)[1]:

إنْ ضَـــاقَ يَـــا وَطَنِـــي فَضَـــاكا فَلْتَتَّســـعْ بِـــي للأَمَـــامِ خُطَاكَـــا
ثِـــقْ أَنَّنِـــي سَـــأذبَّ دُونَـــكَ بَـــاذِلاً رُوحـــي لأرخَصـــها فَمـــا أغْلاكَـــا
فَلْيَســـخَط الغَرْبِـــيّ إنِّـــي نَـــاهِض أقْصَـــى رَجَـــائِي أن أنَـــالَ رِضَـــاكَا
لَـــوْ أنْصَـــفُوكَ لَحَـــرَّرُوك لأنَّهُـــم رَبِحُـــوا قَضِـــيَّتهم بِظِـــلِّ لِواكَـــا

وقد شارك في تمجيد الثُّورة العراقيّة شعراء كُثر، منهم "عبد الحسين الأزري، ومحمَّد المحاسن، وعلي الشرقي، ومحمَّد الهاشمي، وسواهم" [2].

ولمَّا وصل الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق في 1921/8/23م، واحتفل بتتويجه، بدأت نهضة في الأدب العربي، فلقد ألقي فيها من الخطب والقصائد ما أثرى حصيلة المثَّقف المتابع داخل العراق وخارجه.

وعلى الرّغم من النهضة السياسيّة والأدبيّة التي عمَّت أرض العراق في عهد الهاشميين، إلاَّ أنَّ فريقاً من أدبائه غلب عليهم التشاؤم، فنفثوه شعراً قاتم اللَّون، وزعيم هذا الفريق الرَّصافي، كما جاء في قصيدته للريحاني سنة 1922م، بعنوان (تجاه الريحاني، شكواي العامة) إذْ يقول[3]:

مـــن أيْـــنَ يُرجَـــى لِلعِـــرَاقِ تَقَـــدُّمٌ وَســـبيلُ ممتلكِيـــهِ غَيـــرُ سَـــبِيلِهِ
لا خَيْرَ فِي وَطَنٍ يَكونُ السَّيْفَ عِنْدَ جبانـــهِ، والمـــالُ عِنـــدَ بَخِيلِـــهِ
والـــرَأيُ عِنْـــدَ طَرِيـــدِهِ والعلـــمُ عِنْـدَ غَرِيبِـهِ والحُكْـمُ عِنْـدَ دَخِيلِـهِ

وللرصافي قصائد كثيرة حول الموضوع ذاته إلى أن يسخر المستر كراين الأمريكي سنة 1929م، إذْ يقول في قصيدته (يا محب الشرق)[4]:

([1]) بطي، **الأدب العصري في العراق العربي**، ج2، ص96.

([2]) بطي، **الأدب العصري في العراق العربي**، ج2، ص41.

([3]) الرصافي، معروف، (1959م)، **ديوان الرصافي**، ط1، المكتبة التجارية الكبرى،القاهرة، مصر، ج1، ص403.

([4]) الرصافي، **ديوان الرصافي**، ج1، ص414.

وَطَنِـــــي الاســـــم، لكِـــــنْ إنجلِيـــــــزيُّ الشَناشِـــــــن
نَحْـــنُ فـــي البَـــاطِنِ لا نَمْلِـــ ـــــكُ تَحْرِيكـــــاً لِسَـــــاكِن

وهناك قصائد جمّة تحوم حول ما سلف، مثل: الحرية في سياسة المستعمرين (426)، وعادة الانتداب (427)، وكيف نحن في العراق (435)، وحكومة الانتداب (437).

هذا الشاعر المتبرّم النَّاقم كان شائعاً في الأوساط القوميّة، وقد قابله شعراء تغنُّوا بالنهضة الجديدة للعراق، كقول الجواهري في وداع الملك فيصل إلى جنيف سنة 1931م؛ تمهيداً لدخول العراق عصبة الأمم، ويذكر مناقب الملك فيصل، وحسن سياسته وجميل خدمته للعراق، إذ يقول[1]:

لا أدَّعِـــي أن قـــد أتَـــمَّ نُمُـــوّه مَنْ كَانَ أمسَ بِشَكْلِ طِفْلٍ حَابِ
كالشَّـــهْدِ أولُ مـــا تَذوقـــهُ فَـــمٌ مَـا زَالَ بَـيْنَ لهـاه طَعْـمُ العِنَّـابِ
فـــاليومَ هَـــا هُـــوَ بِظلِّـــكَ يَحْتَمِـــي مِثْـــلَ احتِمَـــاءِ العَـــيْنِ بالأهْـــدَابِ

وقد قيل ما قيل كذلك في عهد الملك غازي الأول؛ ممَّا أثرى حصيلة المثقَّف في البلاد المجاورة للعراق إلى من أراد لذلك سبيلا.

3. الثورة السُّوريّة:

كانت دمشق أول عاصمة خارج الحجاز نودي فيها بالاستقلال العربيّ، وقد كان الأمير فيصل بن الحسين بن علي أوَّل ملك دستوري على البلاد السوريّة، وذلك في 1920/7/3م، ولكنَّ الانتداب الفرنسي داهم البلاد في 1920/7/25م، واضطرَّه إلى مغادرة البلاد نحو العراق.

وبعد أن كان الشعر العربي راية خفَّاقة في حمى القوميّة السَّائدة والوطنيّة، أصبح ذكريات مؤلمة في عهد الانتداب، كقول الشَّاعر حليم دموس في وداع فيصل من قصيدة بعنوان (الوداع)[2]:

أضَـــاعُوهُ وَكـــانَ فَتَـــىً هُمَامـــا والأوطَـــانُ صَـــبَّاً مُسْـــتَهَامَا

([1]) الطريفي، **ديوان الجواهري**، ج1، ص105.

([2]) المقدسي، **الاتجاهات الأدبية**، ص170.

(أضَـــاعُوهُ وأيُّ فَتَـــىً أضَـــاعُوا) أضَـاعُوا القَلْـبَ واليَـدَ والحُسَـامَا
فَـودَّع فـي الـدُّجَى تَاجَـاً وَعَرْشَـاً ومَمْلَكـــةً وآمـــالاً جِسَـــامَا
فَسَادَتْ فِي رِحَابِ القَصْرِ فَوْضَى فَـــلا رأيَـــاً هُنَـــاكَ ولا نِظَامَـــا

وكذلك قول الغلاييني من قصيدة نظمها في دمشق سنة 1920م، ومطلعها: "وقفت على الأطلال، أطلال قحطان"[1]:

لَئِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فـي يَدِ غَاصِبٍ ضَعِيفِ القُوَى من خَمْرَةِ الجَهْلِ نَشْوَانِ
رَقَـدْتُمْ وسَـيْفُ القَـوْمِ يَرْهَـفُ حَـدَّه وَمَـــا غِمْـــدَهُ إلاَّ طِلَـــى آلِ عَـــدْنَانِ

وقال خير الدِّين الزَّركلي في قصيدة سنة 1922م وهو في عمَّان في قصيدة (عمَّان)[2]:

أبْكِـــــــــي دِيَـــــــــارَاً خُلِقَـــــــــتْ لِلْجَمَـــــــــالِ
أبْهَى مِثَـالِ
أبْكِـــــــــي تُـــــــــراث العِـــــزِّ والعِـــــزُّ غَـــــالِ
صَعْبُ المَنَـالِ

وبعد أن يصف الجيش وانخذال السُّوريين لتنافر زعمائهم[3]، يقول في قصيدة (الأمل المفقود):

خَـدَعُوكِ يَـا أمّ الحَضَـارَةِ فارْتَمَـتْ تَجَنَّـــي عَلَيْـــكِ فَيَـــالِقُ وَجُنُـــودُ
مَـــنْ ذَا يُكَفْكِـــفُ أدْمُعَـــاً مِهْرَاقَـــةً كالغَيْـــثِ تَهْطِـــلُ حَسْـــرَةً وَتَجُـــودُ
تُسْـقَى بَهـا فـي الغَـوطَتَيْنِ مَيَاسِـمٌ ذَهَـــبَ النّـــواحُ بِمَائِهـــا وَخُـــدُودُ

([1]) الغلاييني، مصطفى، (1925م)، **ديوان الغلاييني**، ط1، المطبعة العباسية، حيفا، ص71.

([2]) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (1980م)، **ديوان الزركلي الأعمال الشعرية الكاملة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص24.

([3]) الزركلي، **ديوان الزركلي الأعمال الشعرية الكاملة**، ص42.

4. الثَّورة العربيّة الكبرى:

حدث في أثناء الحرب العالميّة الأولى حادثان كبيران، كان لهما أثرٌ عميقٌ في نفسيّة العرب، وبالتالي في شعرهم، هما إعدام الشُّهداء، والثورة العربيّة الكبرى.

وقد أدَّى الضَّغط التُّركي إلى التَّقارب بين الطَّوائف؛ وذلك لارتباطهم بشعور عام أنَّهم عنصر مظلوم، وجاء ذلك واضحاً في الشِّعر العربيّ لذلك العهد.

"ومن البديهي أنَّ الشِّعر العربي في الأقطار العثمانيّة لم يستطع أثناء الحرب أن يبكي الشُّهداء كما كان يودّ، فلمَّا خرجت سوريا والعراق والحجاز من المنطقة العثمانيّة عاد الشُّعراء إلى ذكريات شهدائهم، وصاروا يعدِّدون مآثرهم"[1].

وهذا الزَّهاوي في قصيدته (النائحة)، وهي تقارب مائة وستين بيتاً، وقد سمِّيت (معلَّقة الشُّهداء)، يصف "المشانق وقبور القتلى وأهليهم، وذكر أسماء الشُّهداء واحداً واحداً، باكياً شبابهم طالباً الثأر لهم". ويذكر حال العرب ويذمّ جمال باشا، ويتفاءل بعهدٍ زاهرٍ للعرب من جديد، قال في قصيدته (النائحة)[2]:

عَلَى كُلِّ عودٍ صَاحِبٌ وَخَليلُ ... وَفِي كُلِّ بَيْتٍ رَنَّةٌ وَعَوِيلُ

رَجَالٌ عَليهم من سَنَا الفَضْلِ رَوْنَقٌ ... وَلِلْمَجْدِ فِيهم عِزَّةٌ وحُجُولُ

قُبُورٌ بِبَيْرُوتَ وأُخرى بِجِلَّقٍ* ... تَجرُّ عَلَيْهَا لِلرِّياحِ ذُيُولُ

بَنِي يَعْرُبٍ لا تَأمَنُوا التُّرْكَ بَعدَهَا ... بَنِي يَعْرُبٍ إنَّ الذِّئَابَ تَصُولُ

ثمَّ يخاطب جمال باشا، قائلاً[3]:

جَمَالُ لأَنْتَ القُبْحُ سَموّكَ ضِدّهُ ... وَثَوْبُكَ إذْ أرْفَلْتَ فِيهِ ذَلِيلُ

رُوَيْدَكَ لا تَغْتَرَّ بالدَّهْرِ إنْ صَفَا ... وَلا تَأْمَنِ الأَيَّامَ فَهِيَ تَدُولُ

رُوَيْدَكَ لا تَقْتَرِبْ رَواسِيَ يَعْرُبٍ ... فَقُربَ رَواسِيها عَلَيْكَ وَبِيلُ

([1]) المقدسي، **الاتجاهات الأدبيّة**، ص142.

([2]) القوال، أنطوان، (2004م)، ديوان **الزهاوي**، دار الفكر العربي، بيروت، ص348.

* جلق: أي دمشق

([3]) القوال، **ديوان الزهاوي**، ص348.

ولخير الدِّين الزركلي قصيدة نظمت على إثر إعدام الترك فريقاً من شبَّان العرب بسوريا، وقيام الثَّورة بالحجاز، ومنها في الشُّهداء قوله[1]:

نَعَى نَادِبُ العُرْبِ شُبَّانَها ... فَجَدَّدَ بالنَّعْيِّ أَحْزَانَها
بَكَى كُلُّ ذِي عِزَّةٍ ثُرْبَةً ... فَهَاجَ نِزَاراً وَعَدْنَانَها
فَأَبْكِي على غُرَرِ المُسْلِمِينَ ... أُبَاةِ الذُّلِّ قُرآنها
وَأَبْكِي عَلَى آلِ عِيسَى المَسِيحِ ... شَمِّ العَرَانِين صُلْبَانَها
نَعَتْ لُغَةُ العُرْبِ من أَحْكَمُوا ... لِسَانَ قُرَيْشٍ وتِبْيَانَها

أمَّا الثَّورة العربيّة الكبرى، فقد أعلنت في مكّة في 2/حزيران/1916م، حيث تحالف الشَّريف الحسين بن علي مع بريطانيا على استقلال العرب، وتأسيس مملكة عربيّة. وبذلك دخل العرب فعلاً في الحرب العالميّة الأولى ضدّ تركيا.

أصبح الشريف حسين في الأدب العربي بطل العرب، والمُطالب الأكبر بحقوقهم، وكان للأدب نصيبٌ كبيرٌ في الثَّورة في سوريا والعراق والحجاز، فهذا فؤاد الخطيب، يرافق الثَّورة بكثيرٍ من الشِّعر الحماسي، ممجِّداً الاستقلال، ونهضة الحسين، يقول في مطلع قصيدة (ثورة العرب)[2]:

حَيِّ الشَّريفَ وَحَيِّ البَيْتَ والحَرَمَا ... وانْهَضْ فَمِثْلُكَ يَرْعَى العَهْدَ والذِّمَمَا
يَا صَاحِبَ الهِمَّةِ الشَمَّاءِ أَنْتَ لَها ... إنْ كَانَ غَيْرُكَ يَرْضَى الأَيْنَ والسَّقَمَا

ومنها مشيراً إلى اشتعال الثَّورة في الحجاز[3]:

فَقَدْ تَكَلَّمَ صَوْتُ النَّارِ مُرْتَفِعَاً ... مِنَ الحِجَازِ فَشَقَّ البِيدَ والأَكَمَا
يَا ابنَ النَّبِيِّ وَأَنْتَ اليَوْمَ نَاصَرُهُ ... قَدْ عَادَ مُتَّصِلاً مَا كَانَ مُنْفَصِمَا
والتَفَّ حَوْلَكَ أَبْطَالٌ غَطَارِفَةٌ ... شُمُّ الأُنُوفِ يَرُوْنَ المَوْتَ مُغْتَنَمَا
فاصْدِمْ بِهِمْ حَدَثَانِ الدَّهْرِ مُعْتَرِضَاً ... سَدَّاً مِنَ التُّرْكِ إنْ تَعرضْ لَهُ انْهَدَمَا

ثمَّ يثير الحماسة في المجاهدين، قائلاً[4]:

([1]) الزَّركلي، **ديوان الزركلي الأعمال الشعرية الكاملة**، ص65.

([2]) الخطيب، فؤاد، (1959م)، **ديوان ثورة العرب**، ط1، دار المعارف، القاهرة، ص244.

([3]) الخطيب، **ديوان ثورة العرب**، ص244.

([4]) الخطيب، **ديوان ثورة العرب**، ص244.

إيــهٍ بَنِــي العَـرَبِ الأحْـرَارِ إنَّ لَكُـمْ فَجْـرَاً أكَـلَ عَلــى الأكْـوَانِ مُبْتَسِـمَا
إلــى الشَّـآمِ، إلــى أرْضِ العِـرَاقِ، إلــى أقْصَـى الجَزِيـرَةِ سَيْرَا واحْمِلُـوا العَلَمَـا

وهذا الخطيب خير الديِّن الزَّركلي يشحذ الهمم، ويدعو للجهاد[1]:

عَتَــا أَحْفَــادُ جَنْكِيــزُ فَسَــاقُوا سَــلائِلَ يَعْــرُبٍ سَــوْقَ العَبِيــدِ
فَكَــمْ قَتَلُــوا مِــنَ الأخْيَــارِ صِــيْدَا وَكَــمْ سَــامُوا المَهَانَــةَ مِــن عَمِيــدِ

5- أدباء المهجر:

وهذا الشَّاعر رشيد أيوب، يستنهض الهِمم من قصائد (الأيوبيات) بقوله في قصيدة (شريف مكة)[2]:

مِـنْ أقَاصِـي الأرْضِ نَهْـدِيكَ السَّـلامْ مَــــع نَسِــــيمِ السَّــــحَرْ
يَــا شَــرِيفَاً كُلَّمَــا نَــاحَ الحَمَــامْ فَــــوْقَ غُصْــــنِ الشَّــــجَرْ
أنْـتَ مِـن قـومٍ لَهُـم تَعْنُـوا الرِّقَـابْ مِــــنْ قَــــدِيمِ الــــزَّمَنْ
فَلْـتَعِشْ لِلعِـزِّ فِـي تِلْـكَ البِطَـاحْ دَوْلَــــــــةً لِلْعَــــــــرَبْ

في هذا الجوِّ المفعم بالثقافة، عاش المثقَّفون الأردنيُّون والفلسطينيُّون، وارتووا من مظانّه المختلفة، فالأحوال السَّائدة في الأردن وفلسطين ليست بعيدة عمَّا يجري خلف الحدود. وقد كان موقفهم مع السُّلطة على النَّحو الآتي:

1. دور النَّاصح الأمين:

ومثاله الشَّاعر الأردني- عرار- الذي وقف موقف النَّاصح الأمين للأمير عبدالله بن الحسين، واستخدم مفردات عاميّة في ذلك، وهاجم الانتداب البريطاني، وحذَّر من الطمأنينة لهم، فقال من قصيدة (أمالي عرار) [3]:

هَلُمِّــــي لَــــيْسَ مِــــنْ شَــــكٍّ بَــــأنَّ الــــدَّرْبَ مِــــنْ "هُونَــــهْ"
"فبرنَــــــادُوت" طِرْمَــــــاذ "كشــــرتُو" ابــــن "غُوريُونَــــهْ"
ومِــــنْ يَــــأْتَمِن الإفْــــرَنْجَ مَلْعُــــونٌ ابــــنُ مَلْعُونَــــهْ

([1]) الزَّركلي، **ديوان الزركلي الأعمال الشعرية الكاملة**، ص83.

([2]) أيوب، رشيد، (1959م)، **الأيوبيات**، دار صادر، بيروت، ص69.

([3]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص412.

وتتابعت صرخات عرار دون أن يستجيب له أحد، فيقول في قصيدة (حب الزعامات)[1]:

كَمْ صِحْتُ فِيْكُمْ وَكَمْ نَادَيْتُ مِنْ أَلَمِ فَلَمْ تُصَيخُوا لَصَيْحَاتِي وَأَنَّاتِي

وفي رواية أخرى من قصيدة (خاتمة المطاف)، يقول[2]:

كَمْ صِحْتُ فِيكُمْ وَكَمْ زَعَّقْتُ مِنْ أَلَمٍ فَمَا أَفَاقُوا وَلاَ أَصْغُوا لأَلْحَانِي

ثمَّ يلتفت إلى نداء المجتمع، فيقول[3]:

إنَّ البَرَاطِيلَ قدّما خَرَّبَتْ جَرَشَاً والحَاكِمُ الفَذُّ لَكَّامٌ لِشَافِيهِ

مَا بَيْنَ حَانَا ومَانَا رُبَّ مُسبِلَةٍ ضَاعَتْ، وَكَمْ شَارِبٍ جُزَّتْ نَوَاصِيهِ

ولا ينسى أنْ ينصح الحاكم بأن يعتمد على الأردنيين في شؤون البلاد، فمن قصيدة (سكر الدَّهر)، يقول[4]:

فَثَرَى الأُرْدُن إنْ لَمْ يُرْوَ مِنْ مَائِهِ الفَيَّاضِ لَنْ يَرْوِيهِ مَيْحُ[5]

سيدي، شعبك، أخي) في قصيدة (بقايا ألحان وأشجان)، يقول[6]:

مَوْلاَيَ شَعْبُكَ مَكْلُومُ الحَشَا وَبِهِ مِنْ غَضِّ طَرْفِكَ والإهْمَال دَاءانِ

وَلَيْسَ تِرْيَاقِهِ يَا سَيِّدِي وأخِي فِي نَابِ صِلٍّ ولا فِي سِنِّ ثُعْبَانِ

مَوْلايَ إنَّ المَطَايَا لا تَسِيرُ إلى غَايَاتِهَا إنْ عَلاهَا غَيْرُ فُرْسَانِ

([1]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص142.

([2]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص390.

([3]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص138.

([4]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص164.

([5]) مح: ماح في مشيته، يميح ميحاً وميحوحة، تبختر، وهو ضرب حسن من المشي في رهوجة حسنة، والميح مشي البطَّة. وتمايح الغُصن: تمايل. والميح في الاستقاء: أن ينزل الرجل إلى قرار البئر إذا قلَّ ماؤه. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، المجلد الثاني، ص553.

([6]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص371.

ورحَّب الشاعر إسكندر الخوري بِمَقْدَمِ الحسين بن علي، شريف مكّة وملك الحجاز – على إثر قدومه إلى الأردن، والتمس منه أن يزيل الكرب الذي تعانيه شعوب المنطقة، يقول في قصيدة (حيِّ الحسين) [1]:

حَـــيِّ البُطُولَـــةَ والعُلَـــى وَالمَجْـــدَ فِـــي مَلِـــكِ العَـــرَبْ
المَلِـــكُ مُـــذْ شَـــرَّفْتَ عَمَّـــا نَـــاً غَـــدَتْ نَشْـــوَى طَـــرَبْ
وَأَتَـــاكَ مِـــنْ أَقْصَـــى الـــبِلا دِ بَنُـــوكَ يَشْـــكُونَ الكُـــرَبْ
يَـــا مُنْقِـــذَ العَـــرَبِ العَظِـــيمِ أعِـــدَّ لَنَـــا عَصْـــرَ الـــذَّهَبْ

ثمَّ ينبِّه جلالته إلى التفرُّق والتحزُّب بين النَّاس، ويذكِّرهم بالمآل السيئ الذي ارتموا فيه تحت أقدام جلاَّديهم. فمن القصيدة السابقة (حيِّ الحسين) يواصل قائلاً[2]:

مَلِـكَ الحِجَـازِ إِلَيْـكَ أَشْـكُو العَـ ـــرَبَ لا أَخْشَـــى العَتَـــبْ
جَهِلُـــوا بِـــأَنَّ الاتِّحَـــا دَ يُنِـــيلُهم أَقْصَـــى الأربْ
واسْـــتَعْذَبُوا مُـــرَّ التَّذَبْـ ـــذُبِ فِـــي الظِـــلالِ المُنْتَـــدَبْ
فَغَـــدُوا صَـــنِيعَةَ مَـــنْ يُنِيلُهُـ ـــم المَنَاصِـــبَ والرُّتَـــبْ

2- دور المنافح العنيد:

وقف المثقَّف الأردني والفلسطيني موقف المنافح العنيد للإنجليز والصهاينة؛ لأنَّهم هيمنوا على الأرض الأردنيّة والفلسطينيّة، وقد رصد الشُّعراء تحرُّكاتهم الخبيثة، وأساليبهم الدَّنيئة في ابتلاع الشَّجر والحجر، واقتلاع الأهل من الوطن العزيز، والسَّيطرة على قيادة الجيش الأردني، واعتبر الشَّعراء أنَّ التعاون مع الانتداب أو الصهاينة رذيلة لا تعدوها رذيلة، ففي قصيدة (السَّماسرة) لإبراهيم طوقان، يقول[3]:

أمَّـــا سَمَاسِـــرَةٌ الـــبلادِ فَعُصْـــبَةٌ عَـــارٌ عَلَـــى أهْـــلِ الـــبِلادِ بَقَاؤُهَـــا

([1]) البيتجالي، **مشاهد الحياة**، ص226.

([2]) البيتجالي، **مشاهد الحياة**، ص228.

([3]) طوقان، إبراهيم عبدالفتاح، الديوان، ص78.

كما ويحذِّر شاعر الأردن- عرار- من خدع وأساليب الانتداب البريطاني، في قصيدته (إنَّ الوعود)، حيث يقول [1]:

إنَّ الوُعُـودَ التـي منُّـوا، وَمَـا صَـدَقُوا بِهـا عَلَيْنَـا، لعمـري، كُـنَّ بُهْتَانَـا
فَحَسْبُنَا مِـن وُعُـودِ القَـوْمِ مَـا دَغَلُـوا عَلَـى الأعَارِيـبِ أشْـكَالاً وألْوَانَـا
إنَّـا ضَـحَايَا لِهَـذا المَـيْنِ مِيـنِهم مِـنْ يَـوْمِ حِطِّينَ حتَّـى اليَّومَ والآنَا

ويعيب على الزَّعامات العربيّة المسؤولة، واتَّهمها بأنَّها أضاعت البلاد وشعوبها، وهـي تسـعى وراء المناصـب والزَّعامـات الخاويـة، فمـن قصـيدته (حـب الزَّعامـات)، يقول[2]:

كَمْ صِحْتُ فِيكُمْ، وَكَمْ نَادَيْتُ مِنْ أَلَمٍ فَلَـمْ تَصِـيخُوا لِصَـيْحَاتِي وأنَّـاتِي
واللهِ مَـا غَـالَكُم، واجْتَـثَّ دَوحَـتَكُم بَيْنَ الشُّعُوبِ، سِوَى حُبِّ الزَّعَامَاتِ

وأحياناً يتوجَّه بالنَّقد اللاذع للحاكم، ممَّا سبَّب له الكثير من العنت، كقوله في قصيدة (سكر الدَّهر)[3]:

فـاخْتَفى الإنْصَـافُ، والظُّلْـمُ فَشَـا وأشْـفَّ الحُكْـمُ، فاسْـتَوْزَرَ وَقِـحُ

وقد رافق الشِّعر الفلسطيني الثَّورة، فقد كان الشُّعراء الثَّوريُّون يشكِّلون خطراً يهدِّد حكومـة الانتـداب فـي فلسـطين، "وكانـت أشـعارهم أسـلحة يحسـب لهـا المسـتعمر كـل حساب"[4].

وقد حمل الشِّعر الفلسطيني روح الكفاح والرَّفض، كما قاوم الضغوط الاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة التي مارسها المستعمر للسَّيطرة على مقدَّرات الإنسان الفلسطيني، واقتلاعه من ترابه ووطنه. ومثال ذلك الشاعر عبد الرَّحيم محمود الذي حرَّض على القتال، بقوله في قصيدة (نداء الوطن)[5]:

قُلـتُ لمَـنْ يَخـافُ مِـنَ المَنَايَـا أتفـرقُ مـن مجابَهَـةِ العَـوَادِي؟

([1]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص349.
([2]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص142.
([3]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص163.
([4]) الشلبي، **عبد الرحيم محمود شاعراً ومناضلاً**، ص35.
([5]) محمود، عبد الرَّحيم، **الأعمال الكاملة**، ص50-51.

فَــدُونَكَ خِــدرَ أُمّــك فاقْتَحِمْــهُ وَحَسْــبُكَ خِسَّــةً هَــذا التَهَــادِي
فللأوْطَــــانِ أجنَــــادٌ شِــــدَادٌ يَكِيلُــــونَ الــــدَّمارَ لأيِّ عَــــادِ

ويحرِّض الشَّباب على القتال ومقارعة الانتداب والمحتلّ الصهيوني، ويستمر في قصيدته أعلاه، بقوله:

وَمَــا أهْــلُ الفِــدَاءِ سِــوَى شَــبَابٍ أبِــيٍّ لا يُقِــيمُ عَلَــى اضْــطِّهَادِ؟
وَمَــنْ لِلحَــرْبِ إن هَاجَــتْ لَظَاهَــا وَمَــنْ إلاكُــمُ قــدحُ الزِّنَــادِ؟
فَسِــيرُوا للنِّضــالِ الحَــقِّ نَــاراً تُصَــبُّ عَلَــى العِـدَا فــي كُـلِّ وَادِ

ثمَّ يتابع قوله محرِّضاً على الثَّورة والقتال:

بَنِــي قَــوْمِي أفِيقُــوا مِــنْ رُقَــادٍ فَمَــا بَعْــدَ التَّعَسُّــفِ مِــنْ رُقَــادِ
قِفُــوا فِــي وَجْــهِ أيٍّ كَــانَ صَــفَّاً حَدِيــدَاً لا يَــؤُولُ إلــى انْفِــرَادِ
إذا ضَــــاعَتْ فلِسْــــطِينُ وأنْــــتُمُ عَلَــى قَيْـدِ الحَيَـاةِ فَفِـي اعْتِقَـادِي
بــأنَّ بَنِــي عُرُوبَتِنَــا اسْــتِكَانُوا وأخْطَــأ سَــعْيُهَم نَهْــجَ الرَّشَــادِ

ويدعو عبد الرَّحيم دائماً إلى النِّضال، ولم تكن الصَّرخات الحارَّة والحادَّة في أجواء فلسطين إلاَّ نذير الخطر الصيهوني، ففي قصيدته (أيَّام النِّضال)، يقول[1]:

كَشِّــرِي مَــا شِـئْتِ يَـا سُـودَ اللَّيَـالِي فـأبو الطَّيِّـبِ*، لا يَخْشَـى العَـوَالِي
إنْ تَقَاعَسْــتُ عَــن الحَــرْبِ، فَــإنِّي مُجْــرِمٌ يَقعُــدُ عــن شَــأْوِالمَعَالِي
غَــايَتِي أَلْقَــى المَنَايَــا عَــاجِلاً فِـي مَجَالِ العلمِ، أو سَاحِ النِّضَالِ

ويتوجَّه إلى الزَّعماء العرب، معرباً عن مواقفهم من القضية الفلسطينيّة، معلناً أنَّ طريق التحرير لا تكون إلاَّ بقوَّة السِّلاح، وبالنِّضال الشَّعبي، "فإذا اكتوت هذه الأمة بجور الزَّعماء وابتلت بتخاذلهم وانهزامهم، وآلمها حقَّاً هذا السقوط الذي احترفه قادتنا، ما ينبغي لها أن تقنط"[2].

([1]) محمود، عبد الرحيم، **الأعمال الكاملة**، ص60.

* أبو الطيب كنية الشاعر، وللشاعر عبد الرحيم محمود ثلاثة أولاد: الطيب، طلال، رقية. محمود، عبد الرحيم، **الأعمال الكاملة**، ص60.

([2]) محمود، عبد الرحيم، **الأعمال الكاملة**، ص8.

وفي قصيدة (وعد بلفور) يهاجم الشاعر الحلفاء وخاصة بريطانيا التي لم تحفظ عهداً ولا ذمَّة، وأصدرت وعد بلفور، فأعطت حقّ من يستحقّ لمن لا يستحقّ، وأقامت وطناً قوميَّاً لليهود في فلسطين، ويسَّرت لهم أبواب الهجرة، وامتلاك الأراضي، وإقامة المستعمرات، وفي ذلك يقول[1]:

غَـدَرَ الحَلِيـفُ، وأيُّ وَعْـدٍ صَـانَهُ يَوْمـاً، وأيَّـةَ ذِمَّـةٍ لَـمْ يَخْفُـر؟
لمَّـا قَضَـى وَطَـراً بِفَضْـلِ سُـيوفِنَا نَسِـي اليَـدَ البَيْضَـا وَلَـمْ يَتَـذَكَّر

ثمَّ يردف مهدِّداً متوعِّداً، فيقول[2]:

يَـا ذَا الحَلِيـفُ: سِـيوفُنَا وَرِمَاحُنَـا لَـمْ تَنْـتَلِمْ فـاعْلَمْ وَلَـمْ تَتَكَسَّـرِ
تَغْلِـي الصُّـدُورُ وَلـيْسَ فِـي غَلَيَانِهـا إلاَّ نَـذِيرُ العَاصِـفِ المُتَفَجِّـرِ
وَلَقَـدْ تَصَـبَّرنا عَلَيْـكَ فَلَـمْ نُطِـقْ مِنْـكَ المَزِيـدَ وَلاتَ حِـينَ تَصَـبَّرِ

ويستهين الشَّاعر بوعد بلفور، ويلقي باللائمة هذه المرّة على العرب الذين تخاذلوا وتفرَّقوا حتى نال العدو منهم، قال من قصيدة (حفيّ اللِّسان) [3]:

بِلْفُـورُ مَـا بِلْفُـورُ، مَـاذَا وَعْـدُهُ؟ لَـوْ لَـمْ تَكُـنْ أفْعَالُنَـا الإبْـرَامُ
إنَّـا بِأيْـدِينَا جَرَحْنَـا قَلْبَنَـا وبِنَـا إلَيْنَـا جَـاءَتِ الآلامُ
والخَطْـبُ فَرَّقَنـا قَبائِـلَ جَمَّـةً والخَطْـبُ عِنْـدَ عُـدَاتِنَا لَمَّـامُ

لقد كان الشِّعر الفلسطيني والأردني، السِّلاح الفتَّاك الذي أرَّق الانتداب البريطاني والمحتلّ الصهيوني؛ لذلك حاولت حكومة الانتداب أن تخرس هذا الصوت الذي أرَّقها، فلم تستطع، وصبَّت جام غضبها على الشُّعراء والأدباء؛ فطاردتهم حتّى اضطر عدد منهم للهجرة من فلسطين إلى الدُّول المجاورة، كالشَّاعر عبد الرَّحيم محمود، وبرهان الدِّين العبوشي، وأودعت آخرين غياهب السجون، وسنَّت تشريعات ظالمة تجعل السجن عقوبة من ألقى خطبة، أو نظم قصيدة أو مقالة حماسيّة حضَّ فيها على الجهاد.

([1]) محمود، عبد الرحيم، **الأعمال الكاملة**، ص54.

([2]) محمود، عبد الرحيم، **الأعمال الكاملة**، ص54-55.

([3]) محمود، عبد الرحيم، **الأعمال الكاملة**، ص43.

ففي قصيدة (إنَّ الوعود) يحذِّر من الاطمئنان للإنجليز ولوعودهم البرَّاقة، فيقول[1]:

لَـيْلايَ لَـيْلايَ إنَّ الـدَّهْرَ أشْـقَانَا والمَجْـدَ أنْهَكَنَـا والوَجْـدَ أضْـنَانَا
إنَّ الوُعـودَ التـي مَنُّـوا، ومـا صَـدَقُوا بِهَـا عَلَيْنَـا، لَعَمْـرِي، كُـنَّ بُهتَانَـا
فَحَسْبُنَا مِـن وُعُـودِ القَـوْمِ مَـا دَغلُـوا عَلَـى الأعَارِيـبِ أشْـكَالاً وَألْوَانَـا

وأمَّا شاعر فلسطين– عبد الرَّحيم محمود– فقد ناله من النَّفي والعذاب ما نال عراراً؛ وذلك لمواقفه المتمرِّدة على الاحتلال الصهيوني.

فقد تفتَّحت عيناه على الدُّنيا، فإذا فلسطين تعجُّ بالثَّورات والانتفاضات، وإذا القوى الاستعماريّة جادّة في استلابها والإجهاز عليها.

دعا عبد الرَّحيم إلى مقارعة العدو بالسِّلاح، ففي قصيدته (نداء وطن) يهيب الشَّاعر لنجدة الوطن الذَّبيح الذي يعاني من أوضاع قاتلة، قال[2]:

دَعَـا الـوَطَنُ الـذَّبِيحُ إلـى الجِهَـادِ فَخَـفَّ لِفَـرْطِ فَرْحَتِـهِ فُـؤادِي
وَسَـابَقْتُ النَّسِـيمَ– ولا افْتِخَـارٌ ألَـيْسَ عَلَـيَّ أنْ أفْـدِي بِـلادِي؟

وقد دعا الشباب ليكونوا وقوداً للمعركة.

أحبَّ الشَّاعر النِّضال وأيَّامه، ففي قصيدة (أيَّام النِّضال)، يقول له ابن عمِّه[3]:

آهٍ مَـا أعْـذَبَ أيَّـامِ النِّضـالِ وأحْلَـى المَـوْتَ فِـي نَيْـلِ المَعَـالِي
رُبَّ سَـاعٍ لَـمْ يَمُـتْ فِـي سَـعْيِهِ وَقَعِيـدٍ مَـاتَ فِـي غَيْـرِ نِضَـالِ
مَـا جَمَـالُ العَـيْشِ إلاَّ دَمْعَـةٌ فِـي سَـبِيلِ الحَـقِّ والـرَّأيِ المِثَـالِي

فيردُّ عليه عبد الرَّحيم محمود من قصيدة (أيام النضال)، قائلاً:

غَـايَتِي ألْقَـى المَنَايَـا عَـاجِلاً فِي مَجَالِي العِلْمِ أوْ سَاحِ النِّضَال
فابْسِـمِي يَـا أمَّ عَبْـدٍ إنَّـهُ زُفَّ لِلْحُـورِ وَوَلَّـى وَهْـوَ عَـالِ

([1]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص349.

([2]) محمود، عبد الرحيم، **الأعمال الكاملة**، ص50.

([3]) الشلبي، **الشاعر الشهيد عبد الرَّحيم محمود**، ص48.

ثمَّ ينشد عبد الرَّحيم محمود قصيدته المشهورة (أنشودة التحرير)، داعياً الأهلين إلى نبذ الخوف وامتشاق السِّلاح، يقول[1]:

نَحْـنُ لَـمْ نَحْمِـلْ السِّـلاحَ لَهَـدرٍ بَـلْ لإحْقَـاقِ ضـائعٍ مَهْـدُورِ
نَحْـنُ لَـمْ نَطْعَـنْ الضَّـعِيفَ المُعَـ ـنَّى، وانْجِبَـارَ المُحَطَّـمِ المَكْسُـورِ

ويتحدَّى الانتداب البريطاني، والمحتلّ الصهيوني، في قصيدته (الشَّهيد)، حيث يقول[2]:

أرَى مَصْـرَعِي دُونَ حَقِّـي السَّـلِيبِ وَدُونَ بِـلادِي هُـوَ المُبْتَغَـى

فإنِّي أرى أنَّ المثقَّفين من الأردنيين والفلسطينيين قد وحَّدتهم فاجعة الاستعمار، فكانوا عماد الثورة ضد الانتداب البريطاني، وضد المحتل الصهيوني، رغم ما كابدوا من ألم، وكانوا ناصحين للسُّلطة على الثبات.

1.6 الاستقلال والحريَّة:

في التاسع من شوَّال 1341هـ، الموافق 15 أيَّار 1923م، أُعلن استقلال شرق الأردن في حفلة رسميّة حضرها رجال الحكومة، ووفود من فلسطين، وقد وصل لهذه الغاية من القدس المندوب السَّامي السير هيربرت صمويل بصحبة الجنرال كلايتون، وممَّا قاله جلالة المغفور له الأمير عبدالله بن الحسين:

"أيُّها الشَّعب الكريم:

الحمد لله وحده، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا رسول الله، وبعد:

فإنَّ الله سبحانه وتعالى قد بعث محمَّداً والعرب منكمشون في جاهليَّتهم المظلمة، وماضون في حروبهم الداخليّة... .

وإنَّني في هذا الموقف بعد الشُّكر لله سبحانه وتعالى، أخبركم بما تمَّ على يد صاحب الجلالة الهاشميّة، وصاحب الحشمة الإمبراطوريّة البريطانيّة باستقلال هذا القسم من المملكة العربيّة"[3].

([1]) الشلبي، **الشاعر الشهيد عبد الرَّحيم محمود**، ص29.

([2]) الشلبي، **الشاعر الشهيد عبد الرَّحيم محمود**، ص13.

([3]) الحسين، عبدالله، (1989م)، **مذكراتي**، الأهلية للنشر والتوزيع- عمَّان، ط1، ص197.

وخلال سنتين من استلام الأمير لإدارة شرق الأردن، خرجت البلاد من طور التشويش واختلال النِّظام إلى طور سلام وتقدُّم متزايد. وقد تمكَّنت من إيجاد قوّة سيَّارة منظَّمة، ووحداتها أركان الأمن العام، وقد وضعت بريطانيا تحت تصرُّفها طيَّارات وسيَّارات مصفَّحة، وقدَّمت المستشارين العسكريِّين والسياسيِّين، ووسَّعت الحكومة، "وقد أصبح استقلال إدارة الأمير أمراً حقيقيّاً"[1].

كان لهذا الحدث التاريخي أثر يذكر في الأدب العربيّ، فقد أُلقي من الخطب والقصائد ما لا يتَّسع المقام لذكره، ومثل هذا تجلَّى في شعر حسني فريز في قصيدة (عيد استقلال المملكة الأردنيّة الهاشميّة الأول)[2] في 1046/5/25م:

هَزَّنِـــي مَجْـــدُ أُمَّتِـــي وازْدَهَـــانِي ... فَطَوَيْـتُ العُصُـورَ فِـي هَيْمَـانِي
وَرَأَيْـتُ الأبطَـالَ مِـنْ شَـرْقِ الصِّـينِ ... إلَـــى الشَّـــامِخَاتِ مِـــنْ تَطْـــوَانِ
مَنْ بَكَى فِي العِرَاقِ ضَجَّ لَـهُ الشَّامِ ... وَنَجْـــدٌ وصَـــارِخٌ فِـــي عُمَـــانِ
كُـلُّ حُـرٍّ فِـي سَـاحَةِ المَجْـدِ بَـاقِ ... خَالِـدٌ لا يَخَـافُ بَطْـشَ الزَّمَـانِ

ثمَّ يمضي قائلاً من نفس القصيدة[3]:

فِـي ضِـفَافِ الأرْدُنِّ أَلْـفُ عَـرُوسٍ ... مِـنْ خَيِـالِي وَأَلْـفُ عُـرْسٍ هِجَـانِ
قَـــدْ تَبَـــرَّجنَ غِبْطَـــةً وسُـــرُورِا ... لانْـبِلاجِ الصَّـبَاحِ فِـي عَمَّـانِ
وأَرَانِـــي يَهزُّنِـــي الشَّـــوقُ حُبَّـــاً ... لاجْـتِلاءِ الأفْـرَاحِ فِـي رَغَـدَانِ
هـــذِهِ الشَّـــامُ والعِـــراقُ ومِصْـــرُ ... وَفلسْـــطِينُ والتِّلِيـــدُ اليَمَـــانِي
جَمَـــعَ اللهُ قَلْـــبَهم فَتَنَـــادُوا ... لاتّحَـــادٍ وَوِحْـــدَةَ وتَـــدانِ

وتتسَّم الأردنيُّون عبق الحريّة، وتغنُّوا بها شعراً كابراً عن كابر، فهذا الشَّاعر حسني فريز في قصيدته (يوم الحسين– يوم يزيد) يُهَنِّئ باستقلال البلاد، ويوم جيشها، وذلك عام 1956، فيقول[4]:

يَـوْمٌ يَزِيـدُ علـى العُصُـورِ وَيَسْـبِقُ ... وَيَـرِفُّ كَـالزَّهْرِ النَّـدِيِّ وَيَعْبَـقُ

([1]) الحسين، **مذكراتي**، ص201.

([2]) فريز، حسني، **هياكل الحب**، ج1، ص104.

([3]) فريز، **هياكل الحب**، ج1، ص104.

([4]) فريز، **هياكل الحب**، ج2، ص49–50.

يَــوْمٌ أطَــلَّ المَجْــدُ مِــنْ آفَاقِــهِ والبِشْــرُ مــن أعْطَافِــهِ والرَّوْنَــقُ
ينمــي إلــى فَخْــرِ المُلُــوكِ وَيَزْدَهِــي بِجَــلالِ القَــدْرِ الرَّفِيــعِ ويَخْفِــقُ
إنَّ الحُسَــيْنَ هُــوَ الــذي أهْــدَى لَنَــا يَوْمَــاً أغَــرَّ وسَــابِقَاً لا يُلْحَــقُ
جَــيْشٌ عَظِــيمٌ بِالمَلِيــكِ مُــؤَزَّرٌ عَــالِي اللِّــوَاءِ دُرُوعُــهُ لا تُخْــرَقُ
اليَــوْمَ نَشْــعُرُ بِالحَيَــاةِ وَطِيبِهَــا ونَضــمُّ أعــلاق المُنَــى ونُحَقِّــقُ
ذُقْنَــا بِــهِ الأمْــنَ الهَنِّــيِّ وَقَبْلَــهُ كَانَــتْ صِياصِــينا تَــرِفُّ وتُشْــفِقُ
إنَّ الحُسَــــيْنَ مُحَقِّــــقُ آمَالِنَــــا واللهُ للبَطَــــلِ المَلِيــــكِ مُوَفِّــــقُ

ومن هذا يبدو أنَّ الهناء والمسرَّة والأمن الذي خيَّم على البلاد بعد استقلالها قد مسَّت قلوب الناس ومنهم الشعراء الذين تغنُّوا بذلك.

ولقد تأثَّر الشعراء الأردنيون والفلسطينيون بما يحدث حولهم في الأقطار العربية من نضالٍ وجهادٍ وسعيٍ نحو الاستقلال والحرية، وباركوا هذه الجهود، في الوقت الذي أخذ الهاشميون على عاتقهم استقلال البلاد العربية، فهذا الملك فيصل يستقلّ بالعراق، فيمدحه شعبه، وقد ربطوا بين استقلال البلاد وبين مساعيه لخير البلاد، متحدِّياً كثيراً من الموانع والعوائق.

يقول الشَّاعر محمَّد علي اليعقوبي في قصيدته (فيصل ومساعيه للعرب)[1]:

حَيَّــا الإلــهُ مُحَــرِّرَ الأوْطَــانِ وَمُعِيــدَ سَــالِفِ مَجْــدِهَا العَــدْنَانِي
مَلِــكٌ حَبَــاهُ اللهُ تَــاجَ كَرَامَــةٍ تَعْنُــو لِهَيْبَتِــهِ ذُوو التِّيجَــانِ
نَــالَ العِــرَاقُ بِسَــعْيِهِ اسْــتِقْلالَه رُغْــمَ العِــدَا وطَــوَارِقِ الحَــدَثَانِ
فَــانْهَضْ بِشَــعْبِكَ حَيْــثُ شِــئتَ فإنَّــهُ بِالسِّــرِّ طَــوْعُ يَــدَيْكَ والإعْــلانِ

إنَّ فـي ذلـك ثقـة كبيـرة بحاضـر العـراق ومسـتقبله، واعتزافـاً جمَّـاً بفضـل الملـك فيصل ومساعيه لإدخال العراق في عصبة الأمم المتَّحدة.

([1]) اليعقوبي، سليم، (1948م)، **النظرات السبع**، مطبعة الجمل، القاهرة، ج1، ص198.

وعلى غرار هذا الشَّاعر، سار محمود الحبوبي في قصيدته (فيصل المعظَّم)، يذكر فيها ما كانت ترنو إليها الإبصار من الحرية والاستقلال، وتتفاعل مع أحاسيسه؛ لأنَّ عهداً من الحريّة التَّامَّة والاستقلال الحقيقي تطمح إليه النُّفوس، وفيها يقول[1]:

يَا شَعْبُ هَذا العُلَى والمَجْدُ والحَسَبُ ... قُمْ مِنْ تَحِيَتِهِ العُظْمَى بِمَا يَجِبُ
هَذَا حِمَى العَرَبِ، هَذا المُسْتَغَاثُ بِهِ ... إذا تَتَابَعَتْ الأَحْدَاثُ والنُّوَبُ
هَذَا الذي كُلُّ أرضٍ إذْ يَمُرُّ بِهَا ... تَسْمُو فَتحسِدُ أدْنَى تُرْبِها الشُّهُبُ
قِفْ وامتَلِئْ غِبْطَةً فِيمَا تُشَاهِدُهُ ... وَجْهٌ لَهُ الحُبُّ الوَضَّاحُ والنَّسَبُ
رَامُوا وَرَامَ فَلَمْ يَفْشَلْ وَقَدْ فَشِلُوا ... رُغْمَ الخِدَاعِ بِمَا هُمْ فِيهِ قَدْ رَغِبُوا

وقد انتشى الشَّعب بالاستقلال، وبنى آمالاً عِراضاً على قدومه، من عدلٍ مقيم، ورخاء غامر، وأمن دائم، وحريّة وسلام دائمين.

وحرص الشَّعراء على إبداء النُّصح بعدم الاطمئنان إلى المستعمر؛ لأنَّه لا يحفظ إلاًّ ولا ذمّة، ويخفر العهد تبعاً لنوازعه ومصالحه، مستغلاً سقط المتاع من الأراذل في الأمّة؛ كالسماسرة والجهلة والمردة، فهم في كل أمّة كالسُّوس ينخر ساقها.

وهذا الشَّاعر محمَّد صالح بحر العلوم، في قصيدته (البؤساء) التي نظمها في عام 1934م، يستشيط غضباً على أولئك الذين جروا وراء ملذَّاتهم ومنافعهم الذَّاتيّة ومآربهم الشخصيّة، وارتموا تحت أقدام الانتداب، قائلاً[2]:

لا يُرْتَجَى الخَيْرُ مِنْ حُكْمٍ قَضِيَّتُهُ ... يُدِيرُ مِحْورَهَا الأوْغَادُ والقَزَمُ
كَمْ بَائِسٍ يَتَلَوَّى فَوْقَ مَضْجَعِهِ ... مَنَ الهُمُومِ وَسَيْلُ الدَّمْعِ مُنْسَجِمُ
وَحُرَّةٍ تَتَمَنَّى المَوْتَ جَازِعَةً ... وَقَدْ عَلا نَفْسَها مِن عَيْشِهَا السَّأمُ
وَحَولَهم صِبْيَةٌ آهَاتُهُمْ مَلأتْ ... سَمْعَ الفَضَاءِ وَعَيْنُ اللهِ فَوْقَهُمُ
لا يَمْلِكُونَ سِوَى كُوخٍ تُنَازِعُهُمْ ... فِيهِ الجِبَايَةُ والأرْبَاحُ والدِّيمُ

([1]) الحبوبي، محمود، (1948م)، **الديوان**، مطبعة دار النشر والتأليف، النجف، العراق ج1، ص70.

([2]) بحر العلوم، محمَّد صالح، 1968م)، ديوان بحر العلوم، مطبعة التضامن، بغداد، ط1، ج1، ص97.

حفل الشعر الأردني والفلسطيني بالدعوة إلى الاستقلال والحرية، واتخذ ذلك أوجه عدّة، فقد قال الشاعر عرار في قصيدة (العلم في عمَّان أزياء)[1]:

لا تَحْسَبَ الجُرْحَ فَيمَنْ لا يَضِجُّ أسى ... يَا "كُوكَسُ" مُنْدَمِلاً فالضَّيْمُ نَكَّاءُ
والحَقُّ لا بُدَّ مِنْ إشْرَاقِ طَلْعَتِهِ ... مَهْمَا اسْتَطَالَتْ عَلى أهلِيهِ ظَلْمَاءُ
وَقُوَّةُ الضَّعْفِ إنْ جَاشَتْ مَرَاجُلُهَا ... تَنَمَّرَتْ نَعْجَةٌ واسْتَأسَدَتْ شَاءُ

ويصف الشاعر الشهيد عبدالرحيم محمود الانتداب البريطاني بالظالم والظَّلام، ويطالب بالحرية، إذ في قصيدته (أنشودة التحرير)، يقول[2]:

ذَاك أَنَّ الظلومَ يَكْرَهُ فَجْرَ الحَـ ... ـقِّ كَيْ لا يَزُوْلُ ليلُ الفُجُورِ
قَوْمُ طَهَ بَيْنَ الخَلاَئِقِ قومٌ ... قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ أَمْرٍ خَطِيْرِ
قَوْمُ حُرِيَّةٍ أَعَدَّهُمُ اللـ ... ـهُ لِيَتْلُ رِسَالةَ التَّحْرِيرِ

([1]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص102-103

([2]) محمود، عبد الرحيم، **الأعمال الكاملة**، ص47.

الفصل الثاني

صورة المستعمر في الشعر العربي الحديث في الأردن وفلسطين

في الفترة الواقعة بين (1921-1956م)

تآمر على فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى أعداء كثر، كان على رأسهم اليهود والإنجليز؛ الذين استعملوا المكر والغدر والكذب والخديعة، وعملوا على تمكين اليهود من فلسطين، وفرض الانتداب على الأردن.

وهبت الثورات متلاحقة للخلاص من هذه المخططات، وقد أشعلها العلماء والشيوخ، وقادها أعلام الجهاد الذين حركهم الإسلام ودفعهم لانتفاضات وثورات ضد المستعمر البريطاني والمحتل الصهيوني.

وقد كانت المؤامرة أكبر منهم، بل وكانت الأمَّتان العربية والإسلامية تعيشان في غفلة فتخاذلت عن مساعدتهم، وقام المخلصون من البلدين بالجهاد، وقدموا الكثير من التضحيات في معارك غير متكافئة ضد قوى عالمية.

لقد مثّل الأردنيون والفلسطينيون الخط الأمامي الأول للدفاع عن الأمتين العربية والإسلامية ومقدساتها.

ورغم ما تضمنه ميثاق عصبة الأمم المتحدة، وصك الانتداب من ظلم وتنكر للمبادئ الإنسانية التي كان من الواجب على بريطانيا أن تسير في فلسطين وفق أحكامها، إلَّا أنَّها سارعت منذ الأيام الأولى للانتداب إلى الاعتراف بالوكالة اليهودية كحكومة داخل حكومة، وأشركتها في الإدارة والتشريع، بالإضافة للمساعدة على تهجير اليهود من مختلف أنحاء العالم إلى فلسطين.

الموقف السياسي:

دوران كُنى المستعمر في الشعر الأردني – الفلسطيني:

لقد كَنّى الشعراء عن المستعمر بصفاته الخبيثة الآتية:

الجلاد:

يقول الشاعر خليل زقطان في قصيدته "يا فلسطين"[1]:

([1]) زقطان، ديوان صوت الجياع، ص49.

أَيُّهَـــا الجَـــلاَّدُ إِنْ شَـــرَّدَتني أو سـلبت الرَّبْـعَ أو فَرَّقْـتَ صَـحْبِي
لَـيْسَ فـــي طاقَتِـكَ أَنْ تَسْـلِبَنِي غُـدَيَّ الوَضَّـاءَ أَوْ إِخْـلاَصَ قَلْبِـي

وهذا تحدٍ إلى للمستعمرين، وإن جلدوا ظهر الشعب الفلسطيني، فسيبقى غرامه لوطنه الذي لا يعادله أي حب.

الغازي:

وقد تردَّدت كنية الغازي للصهاينة والبريطانيين، ففي القصيدة السابقة، يقول خليل زقطان[1]:

ثَـارَتْ الآمَـالُ تَشْـكُو غَفْـوَةً فَـوْقَ زِنْـدٍ هُـوَ فـي الوَاقَـعِ غَرُبِـيْ
كَيْـفَ أَرْضَـاهُ حَلِيْفـاً نَاصِـراً وهـو الغـازي الّـذي نَـاديَ بِسَـبِيْ

والانتداب هو الذي سهّل للصهاينة استلاب الأرض، وسرقة مقدرات الشعبين الفلسطيني والأردني.

وحش القطيع:

يقول الشاعر خليل زقطان في قصيدته (ضحية التقاليد) [2]:

ثَلاثُـــونَ حَـــوْلاً وَلَـــمْ تَنْـــثَنِ أَمَـــام أَعَاصِـــيرِهَا الهَـــادِرَة
رَمَاهَـا بِـوَحْشِ القَطِيْـعِ الصَّـفِيقِ وأَشْـــرَسَ ذؤبَانِـــهِ الكاسِـــرَةِ

فالمستعمرون يواجهون الشعوب الهادرة الطامحة للاستقلال كالوحوش بالقمع والتنكيل، ويرسل الاستعمار الصهاينة كالذئاب الكاسرة لقمع الشعوب.

الذئاب:

بالإضافة إلى ما سبق، فقد وردت كنية الذئاب على لسان كثير من الشعراء ومنهم خليل زقطان، الذي يقول في قصيدته (يا شرق)[3]:

هَذِي الخِيامُ الشَّاهِدَاتُ على الأَسَى مَـــلأْى بِمَـــنْ بِـــأَكُفِّكُمْ قَـــد مُزِّقُـــوا
رَسَـمَتْ ذِئَـابُ الغَـرْبِ أَبْشَـعَ خُطَّـةٍ لِمَصِـــيرِنَا ودُعَيْتُمُـــوا لتطبقـــوا

([1]) زقطان، ديوان صوت الجياع، ص49.

([2]) زقطان، ديوان صوت الجياع، ص123.

([3]) زقطان، ديوان صوت الجياع، ص41.

فالصهاينة هم ذئاب الغرب الذين ينفذون خطط الغرب البشعة، لقهر الشعوب واحتلال أرضيهم.

كذلك يقول الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود في قصيدته (رهين المحبسين)[1]:

أَعْمَى، وَلَوْ خُيّر في أَمْرَيْهِ، لاخْتَارَ العَمَى
كَـيْلاَ يَـرَى ذِئْبـاً ظَلُومـاً وضـعيفاً ظُلِمـا
وَلَـوَدّ لـو لـم يَسْـمَعِ الأَنَّـاتِ تَعْلُـو للسّـما

فالصهاينة ذئاب ظالمون لشعب أعزل مظلوم.

الحليف:

وقد عاب الشعراء على الانتداب أن يكون حليفاً غادراً، وفي ذلك يقول الشاعر خليل زقطان من قصيدته "إصراراً"[2]:

يَـا شَـرْقُ يَوْمُـكَ فَجْـرُهُ رَهْـنُ الـوَغَى وَمِـنَ الجَرِيمَـةِ أَنْ تَظَـلَّ النَّائِمَـا
شِـيَعاً يُمَزِّقُـكَ (الحليـفُ) مُمَكِّنـاً لِنُفُـوذِهِ لِيَظَـلَّ حَيّـاً قائِمـاً
هَـذِي مَشَـارِيعُ الـدِّفَاعِ فَمَـنْ تَـرَى نَخْشَـاهُ أَكْثَـرَ مِنْـهُ جَـوراً دَاهِمـاً؟!!

فالحليف الغادر هو الذي يمزق الجميع شيعاً؛ ليبقى نفوذه قائماً على الجور الداهم... فانتبه يا شرق.

وفي قصيدة (وعد بلفور) يقول الشاعر عبد الرحيم محمود[3]:

غَـدرَ "الحَلِيـفُ" وأيُّ وَعْـدٍ صَـانَهُ يَوْمـاً وَأَيَّـةَ ذِمَّـةٍ لـم يَخْفُـرِ
لَمَّـا قَضَـى وَطَـراً بِفَضْـلِ سُـيُوفِنَا نَسِـيَ اليَـدَ البَيْضَـا وَلَـمْ يَتَـذَكَّرِ

فهذا الحليف الذي آزرناه بسيوفنا، غدا غادراً لا يرعى إلاً ولا ذمة.

([1]) محمود، عبد الرحيم، الأعمال الكاملة، ص103.

([2]) زقطان، ديوان صوت الجياع، ص26-27.

([3]) محمود، عبد الرحيم، الأعمال الكاملة، ص54.

ويتعهَّد الشاعر خليل زقطان بزراعة الحقد في صدور المواليد الجُدُد على ذاك المسمى (بالحليف) لغدره وسوء طويته، وفي ذلك يقول في قصيدته (انتصار الحب)[1]:

فَـــإِذَا رُزِقْنَـــا بِـــالبَنِينِ فَلِلـــدِّفَاعِ عَـــنِ الـــوَطَنِ
وَلْنَـــزْرَعِ الأَحْقَـــادَ فِـــيْهِم (لِلْحَلِيْفَـــةِ) والضِّـــغِن
ثَمَـنُ التَّحـرُّرِ، هَـلْ سِـوَى الأَرْواحِ تَصْـلُحُ للـثَّمَن؟

ويضيف الشاعر زقطان قائلاً في قصيدة أخرى بعنوان (يا شعب)[2]:

يَـا شَـعْبُ لَـنْ تَأْسُوا جِراحَكَ طُغْمَـةٌ رَاحَـتْ علـى وَتَـرِ (الحَلِيفَـةِ) تَعْـزِفُ
فَـاطْرَبْ علـى اللَّحْـنِ النَّشَـازِ وَأَنْـتُمُ يَـا مَـنْ هَـوَيْتُمْ بِالعُرُوبَـةِ شَـنَفُوا

فالشاعر ينكر على هذه الحليفة أن تأسو جراح الأمة العربية التي نزفت بفعل يديها الغاشمتين.

الآبق، الأوكع، الأفاق، الشريد:

وهذه كلها صفات الدناءة التي يتحلَّى بها الانتداب، والصهاينة، كما جاء في قصيدة (المسجد الأقصى) للشاعر عبد الرحيم محمود، يقول[3]:

يـا ذَا الأميـرُ أَمـامَ عَيْنِـكَ شَـاعِرٌ ضُمَّت عَلَـى الشَّكْوَى المَرِيْرَةَ أَضْلُعَهْ
حَـــرَمٌ تُبَـــاحُ لِكُـــلِّ لَئِـــيمِ آبِـــقٍ ولِكُـــلِّ أَفَّـــاقٍ شَـــرِيدٍ أَرْبُعُـــه...

وفي هذه القصيدة ترحيب بالأمير سعود بن عبد العزيز آل سعود، وتنبيه لمستقبل أسود قاتم على يد أولئك المردة الأفاقين.

اسم عاصمة المستعمر:

وقد سُمِّي الاستعمار باسم عاصمة بلاده في كثير من قصائد الشعراء في الشعر العربي، كقول عبد الرحيم محمود في قصيدة (ثورة دمشق وبيروت)[4]:

وَلَمَّـا أَنْ طَغَـتْ (بـاريسُ) ثـارُوا وَلَـــمْ يَرْضُـــوا لِبَـــارِيْسَ انْقِيَـــادَا

([1]) زقطان، ديوان صوت الجياع، ص119.

([2]) زقطان، ديوان صوت الجياع، ص18.

([3]) محمود، عبد الرحيم، الأعمال الكاملة، ص67.

([4])محمود، عبد الرحيم، الأعمال الكاملة، ص73.

وَمَـــا بَـــارِيسُ إلاَّ دارُ قُهْـــرٍ بِهَـــا وَهَـــنٌ تُطَـــاوِعُ مَـــنْ أَرَادا

وقوله في القصيدة ذاتها[1]:

غَزاهَـا مِـنْ بَنِـيْ (بَـرْلِيْنَ) نَـاسٌ وَعـــاَثُوا فـــي نَواحِيْهـــا فَسَـــادَا

وَفِـــي قَلْبِـــيْ مِـــنَ الأَحْقَـــادِ نـــارٌ عَلَـــى (بـــاريسَ) تَتَّقِـــدَ اتقـــادا

كل هذه الأحقاد الدفينة أخذت تتأجج ناراً على المستعمرين، قاهري الشعوب، مستعمري البلاد والعباد.

الكاذب، الغادر:

وهما صفتان بَذِيئَتَانِ اتصف بهما المستعمرون، فهم مراوغون لا يقيمون وزناً للمعاهدات إذا دعتهم مصالحهم. يقول الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود من قصيدته (إلى العمَّال) [2]:

فَـلا تَخْـدَعَنَّكُم أَيُّهَـا النَّـاسُ قَالَـةٌ تَرَدِّدُهَـــا أَسْـــلاَكُهُ ومنـــابِرُه

أَيَخْـدَعُنَا بـالْقَوْلِ مَـنْ بَعْـدُ كـاذبٌ وَيَخْتُلُنَـا بالوَعْـدِ مِـنْ بَعْـدُ غـادِرُه

كَمَـا خَـدَعَتْ بَـارِيْسُ خَلْقـاً مُـرَزَّءاً بِنُـــورٍ تَـــدَاعَتْ دُورُه ومَنَـــائِرُه

ولقد خُدِعنا بقول المستعمر الكاذب، وقد روَّج لأكاذيبه وتلفيقاته أبواقه المسمومة... فالحذر الحذر من الانخداع بأكاذيب المستعمر وأعلامه.

وآخر القول ما لخص الشاعر إبراهيم طوقان في قصيدته (البلد الكئيب) بمناسبة إضراب فلسطين يوم وعد بلفور:

يَـــا أَيُّهَـــا البَلَـــدُ الكئيـــبُ حَيَّـــاكَ مُنْهَمِـــرُ سَـــكُوبُ

لا تَبْتَـــــــئِسْ بـــــــالظُّلْمِ "إن غـــــداً لِنَـــاظِرِهِ قَرِيْـــبُ"

ثم قال[3]:

بِلْفـــورُ يَوْمُـــكَ فـــي السَّـــمَاء عَلَيْـــكَ صَـــاعِقَةُ السَّـــمَاءِ

مَـــا أَنْـــتَ إلاَّ الـــذِّئبُ قَـــدْ صُـــوِّرْتَ مِـــنْ طـــينِ الشَّـــقَاءِ

([1]) محمود، عبد الرحيم، الأعمال الكاملة، ص73-75.

([2]) محمود، عبد الرحيم، الأعمال الكاملة، ص91.

([3]) طوقان، إبراهيم عبد الفتاح، (1975م)، الأعمال الكاملة، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار القدس، بيروت، ص82.

والـــذئبُ وَحْـــشٌ لَـــمْ يَـــزَلْ يَضْـــــرَى بِرَائِحَـــــةِ الـــــدِّمَاءِ

فالبلد كئيب، والظلم منقطع النظير، ووعد بلفور مفتاح ذاك الألم، فهو ذئب يعشق رائحة الدم النازف من المقهورين العرب.

ينشد شعراؤنا أناشيد التحرير، فتطالعنا أبياتهم تفيض فخراً وحماسة ونضالاً ومطالبة بالحق، وما رفعوا السيوف إلاَّ في وجه الظلم، وما حملت المشاعل إلاَّ للتنوير والهداية.

ويستحضر الشعراء وضع الأمة العربية حين كانت في أوج عزها ومجدها، يوم اتخذت من مجدها وقوتها أساساً للحق، وطردِ الباطل، والدفاعِ عن الأرض، وقد أضحت اليوم أمة ضعيفة، يقول عبد الرحيم محمود في "أنشودة التحرير"[1]:

نَحْـنُ لَـمْ نَحْمِـلِ السُّـيُوفَ لِهَـدْرٍ بَـــلْ لإِحْقَـــاقِ ضَـــائِعٍ مَهْـــدُورِ
نَحْـنُ لَـمْ نَرْفَـعِ المَشَـاعِلَ للحَـرْ قِ، ولَكِـــنْ لِلْهُـــدَى والتَّنْـــوِيْرِ
نَحْـنُ لَـمْ نَطْعَـنِ الضَّـعِيفِ المُعَـ ـنَّى وانْجِبـارِ المُحَطَّـمِ المَكْسُـورِ...

كل الصفات السابقة لأمة العرب التي لا تقبل الضيم، وما حمل السلاح إلاَّ لإحقاق الحق الضائع، فقال الشاعر مخاطباً بريطانيا المنتدبة على الأردن وفلسطين، وحليفة الملك الحسين بن علي في ثورته على الأتراك وقد غدرت به، فمن قصيدة "وعد بلفور" يقول الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود[2]:

غَـدَرَ الحَلِيـفُ وأَيُّ وَعْـدٍ صَـانَهُ يَوْمـــاً وَأَيَّـــةَ ذِمَّـــةٍ لَـــمْ يَخْفُـــرِ
لَمَّـا قَضَـى وطَـراً بِفَضْـلِ سُـيُوفِنَا نَسِـيَ اليَـدَ البَيْضَـا وَلَـمْ يَتَـذَكَّرِ...

ويرفض الشاعر الطريقة التي تتعامل بها بريطانيا مع العرب، فيهودها بكلمات غاضبة، فمن القصيدة ذاتها، يمضي الشاعر الشهيد، قائلاً:

يَـا ذَا الحَلِيْـفُ سُـيوفُنَا وَرِمَاحُنَـا لَـــمْ تَنْـــثَلِمْ فَـــاْعْلَمْ وَلَـــمْ تَتَكَسَّـــرِ
تَغْلِـي الصُّـدُورُ وَلَـيْسَ فـي غَلَيَانِهـا إلاَّ نَـــذِيرُ العاصِـــفِ المُتَفَجِّـــرِ

([1]) محمود، عبد الرحيم، الأعمال الكاملة، ص48.

([2]) الشلبي، محمود، (1984م)، عبد الرحيم محمود شاعراً ومناضلاً، ط1، مطبعة الخالدي، عمان، ص60؛ محمود، عبد الرحيم، الأعمال الكاملة، ص54.

ويستهين عبدالرحيم محمود بوعد بلفور المشؤوم، ويتحمَّل مسؤولية ما يجري للعرب والمسلمين الذين تخاذلوا واستكانوا، إذْ يقول في قصيدته (حفي اللسان)[1]:

بلفـورُ، مـا بلفـورُ، مـاذا وعْـدُه؟ لَـــوْ لَـــمْ تَكُـــنْ أَفْعَالُنَـــا الإِبْـــرامُ
إِنَّـــا بِأَيْـــدِيْنَا جَرَحْنَـــا قَلْبَنَـــا وَبِنَـــا إِلَيْنَـــا جـــاءَت الآلامُ

وأما عرار فيصف الإنجليز بـ(العلوج)، ومن يتعاون معهم فهو قرينهم، وكلهم ثعابين سامة، ففي قصيدة (أنفاس عيد الفصح)، يقول[2]:

كُـلُّ مَـا أَرْجُـوهُ لَـوْ أَنَّ مُنَـى عَـاثِرِ الجَـدِّ إِذَا يَرْجُـو تَصِـحُّ
أَنْ أَرَى لِـي بَيْـتَ شَـعْرٍ حَوْلَـهُ مِـنْ شَـلاَيَا قَوْمِـكَ السِّـرحَانِ سَـرَحُ
فِـي فَـلاَةٍ لَـيْسَ (لِلْعِلْـجِ) بِهَـا حَيَّـةُ تَسْـعَى، وثُعْبَـانٍ يَفِـحُّ

ويحذر عرار من غدر اليهود الذي سيأتي على الأمة العربية، يقول في قصيدته (عبود)[3]:

هَيْهَـاتَ مِنِّـي كُـلُّ مـا أُرِيـدُ
إِنَّ غَـداً وَمَـا غَـدٌ بَعِيـدُ
لَسَـوْفَ يُبْـدِيْ بَعْـضَ مـا أُعِيْـدُ
إِنْ فَـازَ بِالغَنِيْمَـةِ اليَهُـودُ
فَحَوضُـهُم لا حَوْضُـك المـوردُ

واعتبر (عرار) الانتداب البريطاني شؤماً في كل مكان، وكذلك رموزه، يقول في قصيدته (نَوَرٌ نسميهم)[4]:

يَا "هَبْرُ" هاتِ لـي الرَّبابـةَ وانْطَلِقْ بـي حيث قَوْمُك أَسْهَلُوا أَوْ أَصْحَرُوا
أَنَـا مِـثْلُكُم أَصْـبَحْتُ لا أَرْضٌ ولا أَهْـلٌ وَلا دَارٌ ولا لـي مَعْشَـرُ
فَهُنَـاكَ لا بِلْفُـورُ يُـزْعِجُ وَعْـدُهُ أَحَـداً وَلَـيْسَ هُنَـاكَ مَـنْ يَتَبَلْفَـرُ
وَهُنَـاكَ لا "بيـكٌ" تَخَـافُ جُنُـودَهُ يومـاً، وَلا "ككـسٌ" هنـا أو "هـوبرُ"

([1]) محمود، عبد الرحيم، الأعمال الكاملة، 54.
([2]) عرار، عشيات وادي اليابس، ص160-161.
([3]) عرار، عشيات وادي اليابس، ص177.
([4]) عرار، عشيات وادي اليابس، ص208.

فبلفور وزير خارجية بريطانيا، وكوكس هو المعتمد البريطاني، وبيك هو فريديك بيك قائد الجيش العربي الأردني زمن الانتداب، وهوبر هو المستشار القضائي البريطاني في الأردن زمن الانتداب، وهم شؤم تنفر منهم النفس وتتمنى زوالهم، فهم أعداء الأمة العربية وقاهرو شعوبها.

ويكرر عرار ذكر ذلك المشؤوم "هوبر" وقوانينه، حيث اشتدت سيطرة الموظفين الإنجليز في البلاد، فمن قصيدة (عشيات وادي اليابس، يقول[1]:

قَانُونُ "هوبرَ" حَالَ بَعْضُ جَرِيضِهِ دُونَ القَــرِيضِ، وَدُونَ كُــلِّ بَيَــانِ

وقد شبَّه (عرار) الانتداب البريطاني بالذئب، وقد استباح البلاد العربية، فمن قصيدته (بقايا ألحان وأشجان)، يقول[2]:

نَحْــنُ الأَرْقَّــاءُ، هَــذَا لا جِــدَالَ بِــهِ وَإِنْ يَكُــنْ لَــيْسَ يَــا هَــذَا بِحُسْــبَانِي
سِيمَتْ بِلاَدِيْ ضُرُوبَ الخَسْفَ وانْتُهِكَتْ حَظَــائِرِي واسْــتُبَاحَ الــذِّئْبُ قُطْعَــانِي
"يَــا صَــاحِبَيَّ فَــدَتْ نَفْسِــي نُفُوسَــكُمَا" علــى المَذَلَّــةِ وَالإِذْعَــانِ رَوْضَــانِي

وفي كل هذا تحريض على مقارعة الانتداب، وجذوة متقدة للتمرد عليه.

ولا ينسى الشاعر الأردني أهله في فلسطين، فيخبرهم أنَّهم أهل نخوة وإحسان، ففي قصيدته السابقة، يقول[3]:

يَــا أَهْــلَ يَافــا لَقَــدْ طَــوَّقْتُمُ عُنُقِــي شَــتَّى العُقُــودِ فَمِــنْ بَــرٍ لإِحْسَــانِ
مَــاذَا عَسَــاهُ لِسَــانِي أَنْ يَقُــولَ لَكُــمْ إِنَّ أَوْجَــبَ الأَمْــرِ تَقْرِيْظِــيْ وَإِحْسَــانِي
إِلاَّ مَقَــالَ ابــنِ حَجَــرٍ يَــوْمَ أَنْزَلُــهُ بِــالأَبْلَقِ الفَــرْدِ يَهُــودِيٌّ قَحْطَــانِيْ
يَــا أَهْــلَ يافَــا لَقَــدْ بــالأَمْسِ أَرَّقَنِــي بَــرْقٌ تَــأَلَّقَ فــي أَجْــوَاءِ حِسْــبَانِ
فَاسْــتَيْقَظَتْ عَبْرَتِــي مِــنْ بَعْــدِ هَجْعَتِهَــا وَعَــادَنِي ذِكْــرُهُم مِــنْ بَعْــدِ نســيانِ

وفي كل هذا صيحة بين أبناء الوطن الواحد، وكلّها تَصُبُّ في مقارعة العدو الصهيوني الذي زرعه الانتداب في قلب الأمة العربية.

([1]) عرار، عشيات وادي اليابس، ص353.

([2]) عرار، عشيات وادي اليابس، ص370.

([3]) عرار، عشيات وادي اليابس، ص376.

أما الشاعر إسكندر الخوري البيتجالي، ففي قصيدته "حول وعد بلفور" وقد نظمها بمناسبة قدوم بلفور إلى فلسطين، فيقول[1]:

وَعْـــدٌ وَلاَ هُـــوَ كـــالوُعُودِ خَـــدَعُوا بـــهِ أُمَـــمَ اليَهُـــودْ
أُمٌّ تَنُـــــوِّمُ طِفْلَهَـــــا وَالطِّفْـــلُ يُخْـــدَعُ بالنَّشِـــيْدْ
كَـــالمُغْرَمِ المَفْتُـــونِ يَقْنَـــ ـــعُ بِالتَّعَلُّـــلِ بـــالوعودْ
والخَتْـــلُ فـــي شَـــرْعِ السَّـــيَّا سَـــةِ لَـــيْسَ بِـــالأَمْرِ الجَدِيْـــدْ

وفي قصيدة "المناهج" التي تنبأ فيها بحدوث الكارثة، والنكبة المروعة قبل حدوثها بثلاثة عشر عاماً، يقول[2]:

أَمَامَـــكَ أَيُّهَـــا العربِـــيُّ يَـــومٌ تَشِـــيْبُ لِهَوْلِـــهِ سُـــودُ النَّوَاصِـــي
وَأَنْـــتَ كَمَـــا عَهِـــدْتُكَ لا تُبَـــالِيْ بِغَيْـــرِ مَظَـــاهِرِ العَبَـــثِ الرِّخَـــاصِ
مَصَـــيرُكَ بـــات يَلْمَسُـــهُ الأَدَانِـــي وسَـــارَ حَدِيْثُـــهُ بَـــيْنَ الأَقَاصِـــي
فَـــلا رَحْـــبُ القُصُـــورِ غَـــدَا بِبَـــاقٍ لِسَـــاكِنَها، ولاَ ضِـــيْقُ الخَصَـــاصِ

وهنا يحذر من هذا العدو الماكر الذي يتربص الدوائر بأهل البلاد، وسيم شره القاصي والداني، وهو يحذِّر من التنافس المحتمل بين أبناء الوطن.

كما ثار الشعراء على المهاجرين اليهود، وعلى تسهيل امتلاكهم للأرض بشتى الطرق، وتضييق الإنجليز على المزارعين العرب، وتسهيل بيع الأراضي لليهود بأسعار مغرية، كما صبّ الشعراء جام غضبهم على سماسرة الأرض، واعتبروهم خونة لأمتهم وأوطانهم، وحرضوا على قتلهم لأنهم سبة عار على البلاد.

يقول إبراهيم دباغ من قصيدة له بعنوان (صوت فلسطين)[3]:

رُدُّوا عَلَـى القَـوْمِ كَيْـدَ وَعْـدِ بُلْفُـورِ وَنَسْـــجُهُ بِيَـــدي كَيْـــدٌ وتَـــدْبِيرْ
قـد سـاءَ تـدبيرُهُ عَفْـواً فَلـو عَقَلـوا لَـمْ تَفْـرُطَ الوَعـدَ إلَّا بَعْـدَ تَفْكِيـرِ
فَيَـا رِجَـالَ الرُّبَـى هَانَـتْ رِجَـالُكُم هَـبَّ الفَـراشُ لِـيَغْشَ مَهـبِطَ الإسْـراءِ

([1]) البيتجالي، مشاهد من الحياة، ص246.

([2]) طوقان، الديوان، ص87.

([3]) الدباغ، الطليعة، ج2، ص36.

وهذا الشاعر البيتجالي، يدعو الحسين بن علي إثر مقدمه إلى الأردن سنة (1924م) مرحباً به، ففي قصيدة (تحية الحسين)، يقول[1]:

بَطَـــلَ الجَزِيْـــرَةِ سَـــيَّدَ البَطْحَـــ ـــــاءِ، قُـــــمْ وَأَجْـــــلُ الرَّيَـــــبْ
وَأَعِـــدْ إلـــى الأَعْـــرَابَ عَهْـــ ـــداً، عَـــزّ فـــي ماضـــي الحِقَـــبْ
يَـــا مُنْقِـــذَ العَـــرَبِ العَظِـــيْمِ أَعِـــدْ لنـــا عَصْـــرَ الـــذَّهَبْ
إِنَّـــــا إِلـــــى ذَاك الزَّمـــــا ن، نَحِـــنُّ يَـــا مَلِـــكَ العَـــرَبْ

وتمضي القصيدة معددة مآثر الهاشميين، والآمال المعقودة عليهم، من وحدة أبناء الأمة، والبعد عن التَّحزُّب والتشرذم، وإرجاع حقوقهم من غاصبيها، وصولاً بهم إلى الاستقلال.

ويشارك الشاعر الأفغاني شباب فلسطين الوجد والأمل في العودة، ويتغنى بالعودة، ويتغنى بالوطن. فمن قصيدته (غداً موعدنا) ما يلي[2]:

يَـا مَوْطِنـاً بَعْـدَ ربِّ العَـرْشِ نَعْبُـدُهُ يـا مَـوْطِنَ الغُـرِّ... يـا مَهْـدَ الأبيِّينـا
غَـداً نَعُـودُ إِلَـى الفِـرْدَوسِ نُشْـعِلُهَا نَـاراً يكـون لهـا وَقْـداً... أَعَادِيْنَـا
غَـداً سَـنَزْحَفُ عِنْـدَ الفَجْـرِ زَحْفَتَنَـا غـداً، تَـدُكُّ صُـرُوحَ الغَـدْرِ، أيـدينا

الموقف الاجتماعي:

يرى الشاعر عبد الرحيم محمود أنَّ الضعيف المظلوم لا كيان له، ويرى أنَّ المستعمر والمحتل هما سبب تلك النكبة والظلم المباشر، يقول في قصيدته (وأعدوا)[3]:

ضُـيِّعَ المَضْـعَوفُ لا ظُفْـرَ لَـهُ وَنَجـا المَضْـعُوفُ لَـوْ طَـوَّلَ ظُفْـرَهْ
وَدُمُـــوعُ الـــذّلِّ مَـــا رَقَّ لَهَـــا قَلْـبُ ظُلْـمٍ إِنَّ قَلْـبَ الظُّلْـمِ صَـخْرَهْ
قُـــوَّةُ المـــرْءِ لَـــهُ حُجَّتُـــهُ وَهْـيَ إِنْ يَظْلِـمْ تَقُـفْ فـي النَّـاسِ عُـذْرَهْ

ويلجأ الشاعر عبد الرحيم محمود إلى القرآن الكريم، ويضيف قائلاً من نفس القصيدة:

وَأَعِـــدُّوا لَـــمْ يَقُلْهَـــا رَبُّكُـــم عَبَثـاً، فَلْتُحْسِـنُوا فـي الـذِّكْرِ نَظْـرَه

([1]) البيتجالي، مشاهد الحياة، ص226.

([2]) الأفغاني، ديوان الأفغاني، ص129.

([3]) المناصرة، ديوان عبد الرحيم محمود، ص140.

ونحس بصوت رفضه وغضبه في معظم قصائده الوطنية، فهو حين يتوجه إلى الشعب، يشفق عليه من زعاماته، ويرفض بريطانيا، ويرفض سياستها الظالمة في حكم الشعب العربي.

وفي قصيدته (إلى كل متهاود) يقول الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود[1]:

يَـــا شَـــعْبُ يَـــا مِسْـــكِينُ لـــم تُنْكَـــــبْ بِنَكْبَتِـــــكَ الشُّـــــعُوبُ
قَلَّـــــدْتَ أَمْـــــرَكَ مَـــــنْ بِهِـــــمْ لا يُرْجَـــــعُ الحَـــــقُّ الغَصِـــــيْبُ
لَهَفِـــــيْ عَلَيْـــــكَ أَلاَّ تَـــــرَى يَـــا شَـــعْبُ حَولَـــكَ مَـــا يُرِيـــبُ؟

أمَّا الشاعر أبو الإقبال اليعقوبي، فيوجِّه رسالة شعرية إلى صديقة الأستاذ، وديع البستاني سنة (1930م)، يبدؤها بحرقته على الشعب المصفد بالأغلال، ومنها يقول[2]:

أَوَدِيْـعُ لَـمْ تَجْهَـرْ بِصَـوْتِكَ عَالِيـاً وَالـدَّارُ حَتَّـى اليَـوْمَ فـي أَغْلاَلِهَـا
تَشْـكُو وَلَمَّـا يَسْـتَمِعْ لِشَـكَاتِهَا أَحَـدٌ، وَمَـا تَشْـكُو سِـوَى أَهْوَالَهـا
فَالفَـاتْحُونَ ومَـا بِهِـمْ مِـنْ رَحْمَـةٍ لَـمْ يَعْمَلُـوا إلاَّ عَلَـى إِذْلاَلِهَـا
فَـاجْهَرْ بِصَـوْتِكَ والبُغَـاةُ كَمَـا تَـرَى فَلَعَلَّـهُ يَقْضِـي عَلَـى آمَالِهَـا

ويجيبه البستاني قائلاً من قصيدته (أبو إقبال)[3]:

"أَبَـا الإقبَـال" نَـادِ "أَبَـا فُـؤَادٍ" وَأَنْـتَ أَنَـا، ونَـنْفَخُ فِـي رَمَـادِ
وقَلْبُـكَ مِثْـلُ قَلْبِـي فـي التِيَـاعٍ وَشِـعْرُكَ مِثْـلُ شِـعْرِيْ فـي النَّـوادي

لقد وصف الشعر الظلم الذي أحاق بالفلسطينيين والأردنيين جراء الانتداب والاحتلال، فقد تهاوت البيوت على سكانها وفزع الأطفال وارتعبوا، فهربوا إلى الجبال والأودية، وما يصاحب ذلك من حزن عميق، وفواجع وضحايا.

ولا ينسى الشعراء أن يتوجهوا إلى ربهم، ضارعين إليه أن يخفف عن الشعب المصائب والشدائد، فحسبها ما تقاسيه من الهجرة اليهودية والاحتلال الإنجليزي.

([1]) محمود، عبد الرحيم، الأعمال الكاملة، ص59.

([2]) اليعقوبي، سليم، (1948م)، النظرات السبع، مطبعة التقدم، القاهرة، ص54.

([3]) البستاني، وديع، (1946م)، ديوان الفلسطينيات، ط1، بيروت، ص؟؟.

ومن القصائد الرائعة التي ترمز إلى الشعب الذي يرزح تحت الاحتلال والانتداب، للشاعر إبراهيم طوقان ف قصيدته (الحبشي الذبيح)، وفيها يقول[1]:

بَرَقَـــتْ لَـــهُ مَسْـــنُونَةٌ تَتَلَهَّـــبُ أَمْضَـى مِـنَ القَـدَرِ المُتَـاحِ وَأَغْلَـبُ
حَـزَّتْ فـلا حَـدُّ الحَدِيْـدِ مُخَضَّـبٌ بِـــدَمٍ، ولا نَحْـــرُ الـــذَّبِيحِ مُخَضَّـــبُ
قَـالُوا حَـــلاوَةُ رُوحِـــهِ رَقَصَـــتْ بِـــهِ فَـــأَجَبْتُهُمْ مَـــا كُـــلُّ رَقْـــصٍ يُطْـــرِبُ
أَعَذابُـــهُ يُـــدْعَى حَـــلاوَةُ رُوحِـــهِ؟ كَـــمْ مَنْطِـــقٍ فِيْـــهِ الحَقِيْقَـــةُ تُقْلَـــبُ
إنَّ الحَـــلاوَة فـــي فَـــمٍ مُـــتلَمِّظٍ شَـرَهاً لِيَشْـرَبَ مـا الضَّـحِيَّةُ تَسْـكُبُ

وتشير القصيدة أن الشعب الفلسطيني يذبح ويعذب، ويتلذذ المستعمر والمحتلّ على آهاته وعذاباته.

ومن أبرز الذين تأثروا بما آل إليه حال المنكوبين، وساروا على نهجه في شعره، (إبراهيم الدباغ) الذي عاش في مصر، وإسكندر الخوري البيتجالي، "وتبعهما ابتداءً من سنة (1926م) وما بعدها، الشعراء برهان العبوشي وعبد الرحيم محمود، ومحمد العدناني، وحسن البحيري، ومحمود الحوت"[2].

يقول الشاعر إبراهيم الدباغ في قصيدته (وحوش الإنسانية الضاربة في حديقة أبيقور)[3]:

يَـا سَـائِلِي عَـنْ هَـوَى نَفْسِـي وبُغْيَتِهـا مِـنَ الحَيَـاةِ وَقَـدْ غُصَّـتْ بِتَكْـدِيرِ
هَوايَ تَحْرِيرُ أَهْلِ الأَرْضِ عَنْ مَـلأٍ مِـــنَ الهُـــدَاةِ وَأَقْطَـــابِ الدَّسَـــاتِيْرِ
فَكُـلُّ نَفْـسٍ لَهَـا مِـنْ سَـعْيِهَا أَمَـلٌ وَلَـــنْ تَنَـــالَ مُنَاهَـــا دُونَ تَحْرِيْـــرِ

وتتجلى في هذه الأبيات الرغبة في تحرير أهل الأرض المغتصبة من نير الاحتلال، فهي غاية المنى، وذلك هوى النفس وبغيتها في الحياة الحرة الكريمة.

([1]) طوقان، إبراهيم، الأعمال الكاملة، ص104.

([2]) السوافيري، الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني، ص162.

([3]) الدباغ، ديوان الطليعة، ص168-169.

وهذا الشاعر إبراهيم طوقان تناص نظمه آيات قرآنية، داعياً إلى حراسة الحدود، وفداء الأوطان بالدم، ففي قصيدته "حطين"، يقول[1]:

أَيَّـــــــامُ كَانَـــــــتْ وَرْدَةً بِـــــدَمِ البَوَاسِـــــلِ كالـــــدِّهَانِ
أَبَـــــداً رِثَـــــاؤُكَ فِيْهِمَـــــا عَيْنَـــــانِ دَوْمـــــاً تَجْرِيَـــــانِ
بِالعاَدِيَـــــاتِ لَدَيْـــــهِ ضَـــــبْحاً وَالأَسِـــــنَّةِ فـــــي اللُّبَـــــانِ

وفي ذلك ذكرى لأيام الجهاد التي عاشها الشاعر وأهل ببلده في فلسطين، أيام ورود زاهية، لكنَّها خُضِّبت بالدم الأحمر القاني، فترى الخيل غاديات جاهزة للذود عن الوطن.

ويأسى الشاعر (إبراهيم طوقان) لحال الناس الذين لا يهبُّون للدفاع عن أنفسهم ومستقبل أبنائهم، ولا يقاومون المحتلّ لأراضيهم وديارهم، وهو يرثي "أبا المكارم عبد المحسن الكاظمي" بقوله[2]:

تَمَكَّـنَ الـذُّلُّ مِـنْ قَـوْمِي فـلا عَجَـبٌ أَلاَّ يُبَـــالُوا بِتَقْرِيـــعٍ وَتَأْنِيـــبِ
مَا أَشْرَفَ العُذْرَ لَوْ أَنَّ الوَغَى نَثَرَتْ أَشْـلاءَهُمْ بَـيْنَ مَطْعُـونٍ ومَضْـرُوب
لَكِـنْ دَهَـتْهُمْ أَسَـالِيبُ العُـدَاةِ وَهُـم سَـاهُونَ لاهُـونَ عَـنْ تِلـكَ الأَسَـالِيبِ
ويَقْنَعُـــونَ بِمَبْـــذُولٍ يُلَوِّحُـــهُ مُسْـــتَعْمِروهُمُ بِتَبْعِيـــدٍ وتَقْرِيْـــبِ
كَـــأَنَّهُمْ لَـــمْ يُشَـــيَّدْ مَجْـــدُ أَوَّلِهِـــمْ علـــى السُّـــيُوفِ وَأَطْـــرَافِ الأَنَابِيـــب

وقد ردَّد إبراهيم طوقان صرخاته القوية لاستنهاض الهمم، واستثارة العزائم، للوقوف في وجه الغزو الصهيوني الاستعماري، والتنبيه للمؤامرات التي تحاك للأمة.

وهذا الشاعر خليل زقطان، يئن مع الطبقة الفقيرة الكادحة، ويثور في وجه الغاصب المستعمر، في قصيدة (مع طبقات الشعب الكادح)، وفيها يقول[3]:

يَا شَاعِرِيْ أطلّق سَمَـــــا ءَكَ وَاهْبِطِ الكُوخَ الحَقِيْـرْ
وَدَعِ التَّمَرغَ في بُـــــرو جِ العَاجِ في الفَرْشِ الوَثِيْرْ
واشْعُرْ مَعَ الفَلاَّحِ والعُـــ ـمَّالِ بالأَلَمِ المريـــــــرْ

([1]) طوقان، إبراهيم، الأعمال الكاملة، ص63.

([2]) طوقان، إبراهيم، الأعمال الكاملة، ص174.

([3]) زقطان، ديوان صوت الجياع، ص77.

وَخُذِ الحَقِيْقَةَ مِنْ أَنيـــنِ البُؤسِ مِنْ جُوعِ الفَقِيـــــر

وإذْ يطلب الشاعر (خليل زقطان) من الشعراء جميعاً، أن ينزلوا من أبراجهم العاجية، ليشعروا بالألم مع الفلاحين والعمال، حيث البؤس وصراخ الجياع، فذاك الأدب الرفيع المعبر عن حال البؤساء، فالعذارى التي تهيم على وجوهها، والأيتام الغارقون في دموعهم، والشيوخ الذين حملوا أعوامهم المثقلة بشظايا الخطوب... كلهم ضحايا الظلم، وهم معين الشعر الصادق.

وفي قصيدة قصصية بعنوان (من مآسي الاستعمار البريطاني في فلسطين) يتناول الشاعر هارون هاشم رشيد، القصة الآتية[1]:

قِصَّـــةٌ حَـــدَثَتْ بِـــالأَمْسِ مِـــنْ عِشْـــرِيْنَ عـــامْ
حَـدَثَتْ فـــي عَهْـدِ الاسْـتِعْمارِ فـــي عَهْـدِ الظَّـلامْ
حَـدَثَتْ فـــي قَرْيَتِـــي الخَضْـرَاءِ فـــي أَرْضِ السَّـلامْ
كُلَّمَـــا إِنْ ذَكَرْتُهـــا اهتَـــزَّت مِـــنَ الرُّعْـــبِ العِظَـــامْ

وملخص القصة التي ساقها الشاعر على لسان طفل صغير، أن أمه انتظرته في أصيل يوم وهو عائد من الحقل، لتجذبه بعنف داخل المنزل، وكان الانتداب البريطاني الظالم يطارد المجاهدين، ويفتش دورهم، وأحياناً ينسفها، وأحياناً تقع الطامة الكبرى فينسف القرية.

تغلق الأم باب المنزل على ولدها، وفي الصباح الباكر، وعندما بزغ الفجر، سمعت الأم صهيل الخيول، وضجيج الجنود الذين احتشدوا على باب المنزل يسألون عن زوجها، فترد الأم مبتسمة أنَّه لا علم لها عن مكان زوجها. فأمر الضابط بإطلاق النار على الأم أمام طفلها، دون أن يرعوي لمشاعر طفل بائس فقير.

ويدعو الشاعر إبراهيم طوقان إلى التحلي بالصبر، وأَنْ تسلك الشعوب العربية سبيل النجاح بحكمة وتؤدة كي تتغلب على مصاعب الحياة التي فرضها الصهاينة والبريطانيون، ففي قصيدته (تفاؤل وأمل)، يقول[2]:

كَفْكِـــــفْ دُمُوعَـــــكَ، لَـــــيْسَ يَنْفَعُـــــكَ البُكَـــــاءُ، ولا العَوِيْـــــلُ

([1]) رشيد، هارون هاشم، (1950م)، الديوان، مع الغرباء، ط1، دار القدس، بيروت، ص50-55.
([2]) طوقان، إبراهيم، ديوان إبراهيم طوقان، ص46-47.

وَانْهَـــضْ ولا تَشْـــكُ الزَّمَـــانَ فَمَـــا شَـــكَا إلاَّ الكَسُـــولُ
مَـــا ضَـــلَّ ذُوْ أَمَـــلٍ سَـــعَى يَومـــاً وحِكْمَتُـــهُ الـــدَّلِيلُ

ويستمر الشاعر ناصحاً ومحذراً من نفس القصيدة، فيقول:

كَـــمْ قُلْـــتُ: "أَمْـــراضُ الـــبلاد" وأَنْـــتَ مِـــنْ أَمْرَاضِـــهَا
يَـــا مَـــنْ حَمَلْـــتَ الفَـــأْسَ تَهْـــدِمُهَا عَلَـــى أَنْقَاضِـــهَا
اقْعُـــدْ فَمَـــا أَنْـــتَ الّـــذِي يَسْـــعَى إِلَـــى إِنْهَاضِـــهَا

إلى أن يقول[1]:

وَطَـــنٌ يُبَـــاعُ ويُشْـــتَرَى وتَصْـــيِحُ: "فليحيَـــى الـــوَطَنْ"!!
لَـــوْ كُنْـــتَ تَبْغِـــي خَيْـــرَهُ لَبَـــذَلْتَ مِـــنْ دَمِـــكَ الـــثمنْ

وهي دعوة إلى نفض غبار اليأس، والتَّبصُّر في الأمور. ولنا في شعب إسرائيل الذين تاهوا على وجوههم زمن موسى –عليه السلام– وتفرقوا في الآفاق عبرة، يقول إبراهيم طوقان في قصيدته (الرد على رئوبين شاعر اليهود)[2]:

يَـا يَهُـودِيَّ هَـلْ سَـمِعْتَ بِشَـعْبٍ ضَـلَّ حَتَّـى فـي كُـلِّ قُطْـرٍ يَهِـيمُ
شَـعْبُكُمْ كالـذُّبَابِ فـي كُـلِّ أَرْضٍ مِنْـهُ شَـيءٌ عَلَـى القُـذُورِ يَحُـومُ
وعَجِيـبٌ مِـنَ العَجَائِـبِ أن يَطْـ ـلُبَ حكمـاً ودَهْـرَهُ مَحْكُـومُ

ويناجي (إبراهيم طوقان) المسلمين والمسيحيين، ولا يخصِّص واحدة منها: الغوث، الغوث، فالانتداب والمحتل يتربصان بنا الدوائر.

فمن قصيدته (شريعة الاستقلال)، يقول[3]:

نَادَيْـتُ قَـوْمِي لا أُخَصِّـصُ مُسـلِماً أَبْنَـاءُ يَعْـرُب فـي الخُطُـوبِ سَـوَاءُ
إِنَّ الكِتَـــابَ شَـــرِيعَةُ اسْـــتِقْلالِكُمْ فَتَـــدَبَّرُوهُ وأَنْـــتُم الخُلَفَـــاءُ...

وأما – عرار– فيذكِّر القادة العرب أنَّ عملاء الانتداب ضرر في أي مكان حلوا، وجميعهم يعملون لصالح الصهيونية، واستعمار الوطن العربي، ولو أظهروا لنا غير ذلك.

([1]) طوقان، إبراهيم، ديوان إبراهيم طوقان، ص47.

([2]) طوقان، إبراهيم، الأعمال الكاملة، ص113.

([3]) طوقان، إبراهيم، الأعمال الكاملة، 228.

فمن قصيدته (عودة الهبر)، يقول عرار[1]:

وَاعْطِـــفْ عَلَـــى الجُنْـــدِي وَاسْتَشْـــهِدْ مَواطِنَنـــا مُحَمَّـــدْ
وَاسْـــأَلْ "فريـــدريكَ بـــن بيـــك" إذا شَـــكَكْتَ بـــذاك يَشْـــهَدْ

فمن قصيدة (يا سراة البلاد) ينادي الشاعر إبراهيم طوقان مستغيثاً ومستصرخاً سراة البلاد، أن ينفضوا عنهم غبار السياسة وأطماعها، ويتخلصوا من آثار الانتداب على مجتمعهم، فيقول[2]:

يَـا سُـرَاةَ الـبِلادِ يَكْفِـي الـبِلادَا مَـا أَذَابَ القُلُـوبَ وَالأَكْبَـادَا
وَعْـدُ بِلْفُـورٍ دَكَّهَـا فَلِمَـاذَا تَجْعَلُـون الأَنْقَـاضِ مِنْهَـا رَمَـادا؟
تَنْبِـذُونَ الأَوْطَـانَ فِـي طَلَـبِ المَنْصِـبِ وَالـدِّيْنِ وَالهُـدَى وَالرَّشَـادَا
وَطَـنٌ بَـائِسٌ يُبَـاعُ وَأَنْـتُمُ لا تَزَالُـونَ تَخْـدَعُونَ العِبَـادَا
قَـامَ مِـنْ بَيْـنِكُم سَمَاسِـرَةُ السُّـوْءِ فَهَـلْ تَشْـتَكُونَ ثَـمَّ اقْتِصَـادَا
فِـي غَـدٍ يَنْشَـأُ الصِّـغَارُ فَيَبْغُـونَ تِـلاداً وَمَـا تَـرَكْتُمْ تِـلادَا
بِعْتُمُـوهُ إِلَـى العَـدُوِّ فَمِـنْ أَيْـنَ يُلاقُـوْنَ مَلْجَـأً وَمِهَـادَا

وفي قصيدة أخرى بعنوان (كارثة نابلس)، يحذر الأمة من الدخلاء، ومن اندفاعاتهم كالجراد الذي يأكل الأخضر واليابس، ويمحق خيرات الأرض، ويحل محل أهلها الأصليين، فقال[3]:

دُخَـلاءُ الـبِلادِ، إنَّ فلسـطينَ لأَرْضٌ كُنُوزُهَـا مِـنْ نَكَـالِ
تِبْرُهَـا صُـفْرَةُ الـرَّدَى فَخُـذُوهُ عَـنْ بَنِيْهَـا، وَآذِنُـوا بِارْتِحَـالِ
رَبِّ لُطْفـاً، فَقَـدْ أَتَانَـا نَـذِيْرٌ بِوَبَـاءٍ مِـنْ بُعْـدِ هَـذَا الوَبَـالِ
وَجَـرَادٌ، وَكُـلُّ آتٍ قَرِيْـبٌ أَوَ بَعْـدَ الإِمْحَـالِ مِـنْ إِمْحَـالِ؟
رَبِّ إِنَّ الكُـرُوبَ تَتَـرَى عَلَيْنَـا حَسْـبُنَا كُـرَبٌ هِجْـرَةٌ وَاحْـتِلالِ

فالشاعر يجأر إلى الله تعالى أن يحمي البلاد والعباد من هذا الطوفان.

أفكار استعمارية:

([1]) عرار، عشيات وادي اليابس، ص191.

([2]) طوقان، إبراهيم، الأعمال الكاملة، ص58.

([3]) طوقان، إبراهيم، الأعمال الكاملة، ص75.

أ. تحقير المرأة:

حاول الانتداب أن يُحَقِّر المرأة، فهبّ الشعراء ينكرون عليها اتِّباعها لتقاليده، وفي ذلك يقول البيتجالي في قصيدته (نحن ونساؤنا)[1]:

انْهَـــضْ أَيَـــا شَـــرْقُ حَـــالاً ... واســـــــتَغْفِرِ الرَّحْمَانَـــــــا
مـــا عـــاشَ شَـــعْبٌ جَهُـــولٌ ... لا يُكْـــــــرِمُ النِّسْـــــــوَانا
يـــا شَـــرْقُ أُنْثَـــاكَ تَشْـــقَى ... فَكُـــــنْ لَهَـــا مِعْوَانَـــا
هَـــلاَّ عَطَفْـــتَ عَلَيْهَـــا ... وَصُـــنْتَهَا مِـــنْ أَذَانَـــا
لا تَكْتَفِـــي بِجَلالِهَـــا ... ولُبْسِـــهَا الفُسْـــطَانا

وفي هذا دعوة إلى تعليم المرأة ومساعدتها بلطف والعطف عليها، وتجهيزها بما يلْزَمُ.

ب. إذلال المرأة سبب في تأخُّر الأمَّة:

وهي فكرة روّج لها الاستعمار كثيراً، ودعا المرأة للسفور، وضرب لها مثالاً من غانياته، فتصدى له الشعراء، داعين إلى التمسك بالفضيلة، وفي ذلك يقول البيتجالي من قصيدته (نحن ونساؤنا)[2]:

عَلِّـــمْ فَتَاتَـــكَ كَـــيْ لا ... "تَضِـــيْعُ يَوْمَـــاً لِحَانَـــا"
قُـــلْ لِلنِسَـــاءِ نُهوضـــاً ... كَـــيْ تَـــنْهَضَ الأَوْطَانَـــا
لـــولاَ النِّسَـــاءُ لَكَانَـــت ... شَـــقيةً دُنْيَانَـــا..
يَـــا شَـــرْقُ لَـــولاَ نِسَـــانَا ... مـــا ذَلَّ يَومـــاً فَتَانَـــا

فتعليم الفتاة واحترام مشاعرها، والأخذ بيدها من أهم أسباب تقدم المجتمع، فالنساء شقيقات الرجال، ونصف المجتمع، وهن صانعات الرجال.

ج. التقليد الغربي:

لقد زيّن الاستعمار تقاليده وانحلاله الخلقي، مستغلاً نزوع الشباب نحو إشباع حاجاتهم الجنسية، وظهور مفاتن الفتاة، واعتبر ذلك تقدماً وحضارة.

([1]) البيتجالي، مشاهد من الحياة، ص150-151.

([2]) البيتجالي، مشاهد من الحياة، ص150-151.

وفي ذلك يقول الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود في قصيدته (بين الشرق والغرب)[1]:

قَـــوْمِي لأَنْـــتُم عِبْـــرَةُ الأَقْـــوَامِ هَـــلْ تُنْسَـــبُونَ لِيَافِـــثَ أَوْسَـــامِ
أَبْنَـــاءُ عَمِّـــي مِـــنْ نِـــزَارٍ ويَعْـــرُبٍ لَيْسُـــوا بَـــأَغْرَابٍ ولا أَعْجَـــامِ
يَتَرَسَّـــمُونَ الغَـــرْبَ حَتَّـــى يُوشِـــكُوا أَنْ يَعْبُـــدُوهُ عِبَـــادَةَ الأَصْـــنَامِ
مَـــا قُلَّـــدُوهُمْ مُبْصِـــرِيْنَ وَإِنَّمَـــا تَبِعُـــوا نِظَـــامَهُم بِغَيْـــرِ نِظَـــامِ
لِلْغَـــرْبِ عَـــاداتٌ كَغَـــازاتٍ سَـــرَت فِـــي الشَّـــرْقِ مَسْـــرَى الـــدَّاءِ بالأَجْسَـــامِ
لا تَـــأمَنُوا المُسْـــتَعمِرِينَ فَكَـــمْ لَهُـــمْ حَـــرْبٌ تَقَنَّـــع وَجْهُهَـــا بِسَـــلامِ
حَـــرْبٌ عَلَـــى لُغَـــةِ الـــبِلادِ وَأَهْلِهَـــا لَيْسَـــت تُشَـــنُّ بِمَـــدْفَعٍ وحُسَـــامِ

وفي ذلك تحذير من اتِّباع الغرب في عاداته السيئة، إذ على الشعب أن لا يندفع وراء المستعمر الذي لا يرجو له الخير، بل يجب التبُّصر في كل خطوة، والوعي بأهداف المستعمر.

الشاعر عبد المنعم الرفاعي، إذْ يحاول الشاعر الاقتراب منه؛ ليستأنس به، ويبُوح له عمَّا في داخله من أسرار، وما يجترَّه من آلام مبعثها سلب الوطن واغتصابه، وظلم المستعمر والصهيوني المغتصب، قال[2]:

يَـا أَخِـيْ اللاَّجِـئَ فِـي الأُفُـقِ الغَرِيـبْ
هَـاتِ حَـدِّثْنِي عَـنِ الهَـمِّ المُـذِيْبْ
أَنَـا مِـنْ نَبْعِـكَ أَحْيَـا فـي مغِيْبِـي
عِشْـــتُ والآلامُ دائـــي وَطَبِيْبِـــي
غَـرَّ مِنِّـــي النـــاسَ زَهْـــوِيْ ونَسِـــيْبِي
كَلَهِيـــبِ النَّـــارِ وَضَـــبَّاءِ الشُّـــبُوبْ
تَحْتَـــهُ لَوْعَـــةُ مَحْـــرُوقٍ مَـــذُوبْ
فَـــادْنُ مِنِّـــي رُبَّ شَـــاكٍ مُسْـــتَجِيْبْ

([1]) محمود، عبد الرحيم، الأعمال الكاملة، ص52.

([2]) أحمد، عبد المنعم الرفاعي، حياته وشعره، ص140.

وَارْوِ لِـــي قصـــةَ مَغْلُـــوبٍ سَـــلِيْبْ

لقد عاش الشاعر المحنة بنفسه، واكتوى بنار النكبة، واصطلى بنارها، إلاَّ أنَّه أراد أَنْ يسمعها من فم لاجئٍ مَكْلُوم؛ ليقف على مزيد من الآلام والأحزان التي يبعثها فقد الأوطان.

د- بثّ الأحقاد وبث الضغائن:

لقد حَرِص الانتداب على بثِّ الأحقاد والضغائن بين الناس، انطلاقاً من مقولة فَرِّق تَسُد التي اتَّخذها سياسة، وقام الشعراء بدورهم في نشر الوعي والدعوة إلى التضامن ونبذ الأحقاد، والتلاحم في وجه المخططات الصهيونية، ففي قصيدته (تحية* الريحاني)، للشاعر إبراهيم طوقان، يقول[1]:

جِئْـــتَ وَالقَـــوْمُ يَـــا أَمِـــيْنُ سُـــكَارَى وَعَبِيْـــــدُ المَـــــآرِبِ الشَّخْصِـــــيَّهْ
جِئْـــتَ وَالقَـــوْمُ فِـــي فِلَسْـــطِيْنَ نَهْـــبٌ لأَيَـــــادِيْ المَطَـــــامِعِ الأَشْـــــعَبِيَّهْ
دَبَّ فِيْنَـــــا الشِّـــــقَاقُ يَـــــا لِـــــبَلادٍ أَصْـــبَحَتْ تَحْـــتَ رَحْمَـــةِ الحِزْبِيَّـــهْ
وَعَزِيْـــزٌ عَلَـــيَّ أَنْ تُبْصِـــرَ العَـــيْنُ فِلَسْـــطِيْنَ وَهِـــيَ تُعْطَـــى هَدِيَّـــهْ
وَفِلَسْـــطِيْنُ لَـــنْ تَكُـــوْنَ ضَـــحِيَّهْ قَبْـــلَ أَنْ تَـــذْهَفَ النُّفُـــوس ضَـــحِيَّهْ

ويدعو الشاعر إبراهيم طوقان للتضامن، فمن قصيدته (تفاؤل وأمل)، التي ألقيت في مؤتمر عُقِد في القدس الشريف (1928م)، قال[2]:

اللهَ ثُـــمَّ اللهَ مَـــا أَحْلَـــى التَّضَـــامُنَ وَالوِفَاقـــا!
بُوْرِكْـــتَ مُـــؤْتَمَراً[3] تَـــأَلَّفَ لا نِـــزَاعَ ولا شِـــقَاقَا
اليَوْمَ يَشْرَبُ مَوْطِنِي كَأَسَ الهَنَـاءِ لَكُمْ دِهاقا

---

* هو أمين فارس أنطون يوسف بن المطران باسيل البجاني، ولد في 23 تشرين ثاني 1876م في بلدة الفريكة قضاء المتن في جبل لبنان، ولقِّب بالريحاني؛ لكثرة شجر الريحان المحيط بمنزله.

([1]) طوقان، إبراهيم، الأعمال الكاملة، ص72.

([2]) طوقان، إبراهيم، الأعمال الكاملة، ص89.

([3]) عقد في تلك السنة مؤتمر (عربي عام) في القدس الشريف، ونشرت في 12 تموز، 1928م.

فهو يرحب بالمؤتمرين، ويدعوهم إلى مزيد من التضامن والوفاق، أمَّا (عرار) فيقول في قصيدته (قهر النفوس)[1]:

وَقَـالُوا: لَقَـدْ هُـدَّتْ بُيُـوتٌ مِـنَ الشِّـتَا فَقُلْـتُ: لَقَـدْ هُـدَّتْ نُفُـوسٌ مِـنَ القَهْـرِ
سَـتُرْجِعُ مَـا هَـدَّ الشِّـتَاءُ يَـدُ البِنَـا وتَعْجِـزُ عَـنْ رَدِّ النُّفُـوسِ يـدُ الـدَّهْرِ

وبهذا يرى (عرار) أنَّ قَهْر النفوس بفعل المستعمر يعجز الدَّهر عن بُرْئِهِ.

تقدير المجاهدين:

لقد دعا الشعراء إلى المحافظة على مكارم الأخلاق؛ لأنَّ المحنة التي تمرُّ بها البلاد العربية لا تحتمل اختلال القيم، أو سقوط الأخلاق، يقول الشاعر إبراهيم طوقان في قصيدته (رثاء الشيخ سعيد الكرمي)[2]:

لَيْـتَ قَـوْمِيْ تَخَلَّقُـوا بِكَـرِيْمِ الخُلُـقِ هَـــذَا، عِنْـــدَ الخِصَـــامِ الشَّـــدِيْدِ
مَـــا أَشَـــدَّ افْتِقَارَنَـــا لِسُـــمُوِّ الخُلُـــقِ فـــــي هَـــــذِهِ اللَّيَـــالِيْ السُّـــوْدِ
مَـــا لَكُـــمْ بَعْضُـــكُمْ يُمَـــزِّقُ بَعْضـــاً أَفَـــرَغْتُمْ مِـــنَ العَـــدُوِّ اللَّـــدُودِ
شَـــــهِدَ اللهُ أَنَّ تِلْـــــكَ حَيَـــــاةٌ فُضِّـــلَتْ فَوْقَهَـــا حَيَـــاةُ العَبِيْـــدِ

وقد دعا الشاعر (إبراهيم طوقان) إلى التخلق بالأخلاق الفاضلة، وخاصة هذه الأيام التي تصارع فيها البلاد المستعمر؛ لأنَّها سبب النَّجاة، بعد أن أوصل المستعمر الناس إلى حياة أقلَّ وأَذلَّ من حياة العبيد!.

وفي الحثّ على الدفاع عن الوطن، يتسابق أبناؤه إلى الجهاد، وفي ذلك يقول الشاعر (إبراهيم طوقان) في قصيدته (نشيد البراق)[3]:

لاَ تَسْـــمَعُوا كَـــذِبَ الوُعُـــودِ أَعْـــدَاؤُنَا خَـــانُوا العُهُـــودِ
دُوْسُـــوا علـــى رُوْسِ اليَهُـــودِ فِـــدَى البُـــرَاقِ وَالحَـــرَمِ
شَـــبَابُنَا سُـــدُّوا الصُّـــفُوفْ قُومُـــوا عَلَـــيْهِمْ بِـــالأُلُوفِ
اللهَ مَـــا أَحْلَـــى الحُتُـــوفْ فِـــدَى البُـــرَاقِ وَالحَـــرَمِ

([1]) عرار، عشيات وادي اليابس، ص246.

([2]) طوقان، إبراهيم، الأعمال الكاملة، ص169-170.

([3]) طوقان، إبراهيم، الأعمال الكاملة، ص197.

وهنا يحث الشاعر الناس على افتداء البراق والحرم، وليكن الجميع صفّاً واحداً للذود عن حِمَى الوطن، استشعار اللَّذة في الاستشهاد فداءً له.

لقد تجلَّى الموقف الاجتماعي للشعبين الفلسطيني والأردني أثناء الانتداب الاستعماري والاحتلال الصهيوني، في الدعوة إلى النهضة القائمة على العلم والفكر والثقافة، كذلك تعليم المرأة وحفظ كرامتها وتوجيهها إلى الخُلُق السليم، والتمسّك بالدِّين الإسلامي الحنيف، والدعوة إلى تضامن أفراد الشعب، والدعوة إلى الجهاد في سبيل الله، ومقارعة المستعمرين.

الموقف الثقافي:

لقد أدرك الاستعمار أنَّ المثقف شعلة متقدّة ستؤجج الشعب في سبيل اقتلاع المستعمر من بلاد العرب، بعد أن اطمأَنَّ على خيراتها وبسط نفوذه عليها بطرقه المختلفة.

وتجلّت مواقفه وأثره على الثقافة المختلفة، فيما يلي:

1. التعليم المدرسي.
2. الثقافة الدينية والتاريخية والاجتماعية.
3. الثقافة الأدبية واللغوية.

1- التعليم المدرسي:

وهي الثقافة التي تقدَّم للأجيال المتعاقبة من خلال مناهج المدرسة الابتدائية حتى الثانوية العامة، فالانتداب لم يهيئ لأبناء البلاد جامعات وطنيّة يواصلون فيها تحصيلهم العلميّ؛ لهذا أمسى من ساعدته الظروف الاقتصادية من الشعب يرسل أبناءه إلى الجامعات العربية أو الأجنبية.

أمَّا المناهج، فقد حاولت حكومة الانتداب إخضاعها لرقابتها والحدّ منها؛ لأنَّها كانت تغرس في نفوس الطلبة حب الوطن، والفخر بالتاريخ، فعشقوا وطنهم وشعروا بانتمائهم الصادق إليه.

2- الثقافة الدينية والتاريخية والاجتماعية:

كانت المساجد والحياة مدرستين، أمدَّتا الشعراء بثقافة كبيرة، ووعي عميق، ودرس أغلب الشعراء القرآن الكريم والحديث الشريف وأفادوا منها، كما وقفوا على

الأحداث السياسية التي تعجّ بها فلسطين، فحضروا المؤتمرات، والتقوا بالشخصيات العربيَّة والأجنبيَّة والفلسطينيَّة.

وقد وهبت الطبيعة الشعراء رهافة في الحس، ورحابة في الخيال، وعمقاً في النظرة، وكان لاتصالهم بالجماهير إضافات جديدة على ثقافتهم وحياتهم.

وقد طاردت حكومة الانتداب الشعراء، فمنهم من هرب مهاجراً من فلسطين مثل الشاعر عبد الرحيم محمود، ومنهم من غاب في غياهب السجون، وكانت الكلمة جزاؤها السجن في أغلب الأحيان.

ولكنَّ الشعراء ظلُّوا على اتصالهم بهموم وطنهم وآلام شعبه، يطردهم المستعمر، فيتوسدون الكثبان، ويسندون رؤوسهم المثقلة بالهموم والتعب إليها.

فمن قصيدة (حجر في كثبان الرّمل)، يقول الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود[1]:

فِـــــيْمَ انْفِـــــرَادُكَ لا أَنِيْـــــ ـــسَ تَـــرَاهُ فـــي القَفْـــرِ المُخِيْـــفِ
فـــــي رِيْقَـــــةِ الـــــوَهْجِ الحَـــــرُوْ رِ، وَغُـــــلِّ عَاصِـــــفَةٍ عَصُـــــوْفِ
وَصَـــــــبَرْتَ لِلْهُـــــوجِ اللَّـــــوَا فِـحِ فـي الضُّـحَى صَـبْرَ الأُنُـوفِ
أَرَضِـــــيْتَ بِالصَّـــــحْرَاءِ عَـــــنْ ظِـــــلِّ المُنَمَّقَـــــةِ الغَرِيْـــــفِ[2]

ويثور الشاعر على المجتمع الذي لا يرحم الضعيف، ولا يأخذ بيد الفقير، فمن قصيدته "رثاء حمّال"، يقول[3]:

قَـدْ عِشْـتَ فِـي الـدُّنيا غَرِيْبـاً، وَهَـا قَـدْ مِـتَّ بَـيْنَ النَّـاسِ مَـوْتَ الغَرِيْـبْ
والنَّـــاسُ مُـــذْ كَـــانُوا ذَوُوا قَسْـــوَةٍ وَلَـــيْسَ لِلْبَـــائِسِ فِـــيْهِم نَصِـــيْبْ

إلى أن يقول فاضحاً نفاق الناس وتعلُّقهم بالثراء:

لَوَلَّـــوْا كُنْـــتَ فِـــي حَبْلِـــكَ شَـــنَّاقَهُمْ لَوَلْـــوَا حُزْنـــاً، وشَـــقُّوا الجُيُـــوبْ
أَوْ كُنْـــتَ مِـــنْ "سَـــلْكِ" رَزَّاقِهِـــم لَقَـــامَ عِنْـــدَ السَّـــلِّ ألفَـــا خَطِيْـــبْ[1]

([1]) محمود، عبد الرحيم، الأعمال الكاملة، ص99.

([2]) الغريف: الأجمة نفسها بما فيها من شجر. ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص979.

([3]) محمود، عبد الرحيم، الأعمال الكاملة، ص96.

وَنَزَّهُـــوْا حَبْلَـــكَ عَـــنْ عَيْبِـــهِ وبَلَّلُـــوا السَّـــلَ بِـــذَوْبِ القُلُـــوبْ
لَكِنَّـــكَ الحَمَّـــالُ، لَـــمْ يَطْمَعُـــوا فِيْـــكَ، وَلَـــمْ يَخْشَـــوْا أَذَاكَ الرَّهِيْـــبْ

ويهاجم الشاعر الحالة التي وصل إليها المجتمع بفعل الاستعمار، وقوله (رزاقهم) دليل على ذلك.

ويثور الشاعر عبد الكريم الكرمي على الانتداب وهو يراه يعدم شيخاً تجاوز السبعين من عمره، ويرثيه رثاءً امتزج فيه الفكر والحس، مع صورة لمقارعة العدو، يقول في قصيدته (رثاء الشيخ المجاهد فرحان السعدي)[2]:

انْشُـــرْ عَلَـــى لَهَـــبِ القَصِـــيْدِ شَـــكْوَى العَبِيْـــدِ إلـــى العَبِيْـــد
شَـــــكْوَى يُرَدِّدُهـــــا الزَّمَـــــا نُ، غَـــدَا إِلـــى الأَبَـــدِ الأَبِيْـــد

ويشاركه في الموقف شعراء آخرون من أمثال: عبد الرحيم محمود في قصيدته (أبي كمال)، إلاَّ أنَّ قصيدة الكرمي جاءت مثالاً للحزن الرافض "ونموذجاً فنيّاً راقياً للشعر القوي، والإحساس الصادق، والوعي العميق"[3].

3- الثقافة الأدبية واللغوية:

لقد نهل الشعراء من معينين، هما: التحصيل العلمي، ثم الحياة، فقد كان الشاعر يمتح من هذين المعنيين ما يقوي به قريحته؛ ليصلح مجتمعه، ثم يقارع عدوه الذي يجثم على أرضه.

ونذكر الشاعرين: إبراهيم طوقان وعبد الكريم الكرمي ومتانة علاقتهما، حيث التقيا بالشاعرين الكبيرين: معروف الرصافي، ومحمد مهدي الجواهري، وكان لهذا انعكاس في أدبهم جميعاً بالإضافة إلى عرار الذي عاصر الأمير عبد الله بن الحسين وشعراء البلاط الأميري، فأثرى منهم جميعاً.

كل هؤلاء الشعراء قاوموا الاستعمار والصهيونية، وألبوا الشعب ضد الاستعمار، وحثُّوه على المقاومة، وإصلاح المجتمع، فكان المستعمر لهم بالمرصاد، وقد ذكرنا في

([1]) السَّلُّ انتزاعُ الشيء وإخراجُه في رِفْق سَلَّه يَسُلُّه سَلاًّ واسْتَلَّه فانْسَلَّ وسَلَلْتُه أَسُلُّه سَلاًّ والسَّلُّ سَلُّك الشعرَ من العجين ونحوه. ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص339.

([2]) الكرمي، عبد الكريم، (1978)، ديوان أبي سلمى، دار العودة، ط1، بيروت، ص21.

([3]) محمود، عبد الرحيم، الأعمال الكاملة، ص45.

الفصل الأول في مبحث (المثقف والسلطة) ما لاقاه هؤلاء من عنت وعذاب مقيم، وتكبيل يد، وأطلق الانتداب العنان للصهيوني يبني الجامعات، ويقيم المدارس، وسهّل له كل أسباب المعرفة، وحرمها على العرب.

وعلى الرغم من كيد المستعمر، ووضع العراقيل أمام المثقفين، فلقد وجدت طوائف من المتعلمين حصَّلوا قدراً من التعليم الحديث في المدارس الطائفية والأجنبية في داخل البلاد وخارجها، وطوائف أخرى حصَّلوا قدراً من التعليم القديم في المدارس الثانوية والعالية في إستنبول أو طرابلس الشام، أو بيروت وفي الأزهر الشريف.

موقف طمس الهوية:

حاول الاستعمار طمس هوية أهل البلاد في الأردن وفلسطين، ولم يترك سبيلاً إلا سلكه، ولكن الشعب تَصَبَّر ولات مصطبر، حتى ضَجَّ شاعر الأردن عرار، في قصيدته (والعلم في عمان أزياء)، يقول[1]:

لاَ تَحْسَبِ الجُرْحَ فِيْمَنْ لا يَضِجُّ أَسًى ... يـا "كـوكس" مُنْـدَمِلاً فَالضَّـيْمُ نَكَّـاءُ

وَالحَـقُّ لاَ بُـدَّ مِـنء إِشْـرَاقِ طَلْعَتِـهِ ... مَهْمَـا اسْـتَطَالَتْ عَلَـى أَهْلِيْـهِ ظَلْمَـاءُ

وَقُـوَّةُ الضَّـعْفِ إِنْ جَاشَـتْ مَرَاجِلُهَـا ... تَنَمَـرَتْ نَعْجَـةٌ، واسْتَأْسَـدَتْ شَـاءُ

يَـا مَـنْ يَظُـنُّ جِـرَاحَ القَـوْمِ قَـدْ بَرِئَـتْ ... إِنْ عَـادَهُمْ مِـنْ نَزِيْـفِ الْكَلْـمِ إِغْمَـاءُ

فَوَثْبَـــهُ النَّـــزْعِ لا يُعْـــدَلُ بِقُوَّتِهَـــا ... والضَّـــغْطُ يَفْجُـــرُ وَالإِرْهَـــاقُ نَكَّـــاءُ

خاطب عرار الإنجليز من خلال (كوكس) الذي عمل على طمس هوية الشعب الفلسطيني.

([1]) عرار، عشيات وادي اليابس، ص102.

الفصل الثالث

التشكيل الفنِّي

1.3 بناء القصيدة:

لقد كانت هنالك حركتان شعريَّتان قبل وحدة الضَّفتين، إحداهما في فلسطين، والأخرى في شرق الأردن، وكان الاتِّصال بينهما يتمُّ من خلال لقاءات الشُّعراء في القطرين قبل عام 1948م، وقد بلغ هذا الاتِّصال أوجه على إثر حدوث نكبة فلسطين عام 1948م، وخروج قسم كبير من شعراء فلسطين إلى الضفة الغربيّة وإلى شرق الأردن.

وقد شهد عام 1950م التحام الحركتين الشِّعريَّتين في شرق الأردن وفلسطين، وتوحدهما في حركة شعريّة واحدة بإعلان وحدة الضفتين، فمنذ ذلك الحين أصبح كل فلسطيني في الضفة الغربيّة أو الشَّرقيّة أردني الجنسيّة، وبذلك أصبحت عبارة "الشِّعر الأردني" تعني شعر الأردنيين في الضفتين: الغربية، والشرقية.

أولاً- الحركة الشِّعريّة في فلسطين:

من الملاحظ أنَّ أغراض الشِّعر في الفترة موضوع الدراسة، قد انحصرت "في الأمور الدينيّة والتَّراسل بالشِّعر، والمدح والرِّثاء، والفخر الفردي، واللعب بالحروف، والتلاعب بالألفاظ؛ لإظهار البراعة اللُّغويّة، ومعارضة قصائد الشُّعراء السَّابقين، وتقريظ الكتب والصُّحف والمجلاَّت، والتَّرحيب بالشَّخصيَّات المرموقة التي زارت فلسطين"[1].

وفي ذلك يقول ناصر الدِّين الأسد "إنَّ الشِّعر- بفعل الظُّروف السيِّئة قد استحال نثراً منظوماً أشبه ما يكون بنظم الفقهاء والنُّحاة حين يصبُّون قواعدهم في ما عرفوه من بحور مقفاة"[2].

([1]) السوافيري، **الاتجاهات الفنية في الشِّعر الفلسطيني المعاصر**، ص13.

([2]) الأسد، **الاتجاهات الأدبيّة الحديثة في فلسطين والأردن**، ص115.

ففي الفترة بين 1919–1925م، ظهر شاعران هما: إبراهيم الدبَّاغ[1]، وإسكندر البيتجالي[2]، الذي كان أوَّل فلسطيني طرق الموضوعات الاجتماعيّة، وأوَّل من استخدم الأسلوب القصصي في الشِّعر الفلسطيني، وقد نوَّع في القافية، فمن قصيدته (ارحموني) من ديوان (العنقود)، قال[3]:

صَاحَ لَمَّا سَمِعَ الحُكْمَ عَلَيْهِ "ارحموني" يَا قَضَاةُ، يَا قُضَاهْ
أُمُّـهُ مُـذْ سَـمِعَتْهُ يَسْـتَغِيثُ أَسْـرَعَتْ، واحْتَضَـنَتْهُ، قَبَّلَتْـهْ
سَـأَلَتْهُ "وَلَـدِي هَلْ رَحَمُوكَ" قَال: "يَـا أُمَّـاهُ" انْسِـي، وَتَأَسِّـيْ

"ويمكن وصف معظم شعر الدبَّاغ بأنَّه مجرَّد نظم قيل في مناسبات"[4]. أمَّا الشَّاعر عادل الغضبان، فقد وصف الدبَّاغ بأنَّه "شاعر العربيّة"[5]، كما ورد في ديوان (في ظلال الحريّة) لإبراهيم الدبَّاغ.

ويتَّفق ناصر الدِّين الأسد مع السوافيري في هبوط مستوى الشِّعر في هذه الفترة، حيث يقول الأسد: "ومن العبث الذي لا طائل وراءه أن نستشهد بشيء من هذا النَّظم"[6].

([1]) ولد في يافا 1889م، وتوفي في القاهرة 1946م، وقد طبع له في مصر ديوان الطليعة، ج1، عام 1926م، والطليعة ج2، عام 1938م، وله ديوان في ظلال الحريّة. (العودات، يعقوب، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، (1976م)، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ط1 ص195).

([2]) هو إسكندر بن الخوري جريس يعقوب، ولد في بيت جالا بجوار بيت لحم في فلسطين عام 1890م، وقد أصبح حاكم صلح، وممَّا يروى عنه أنَّه كان يصدر الأحكام نظماً، وله دواوين منها: الزفرات، ودقَّات قلب، وآلام وآمال، والعنقود، وتوفي عام 1973م. (الكيالي، عبدالرحمن، (1973م)، **الشِّعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر– بيروت، ط1، ص92).

([3]) البيتجالي، إسكندر الخوري، (1946م)، **ديوان العنقود**، مطبعة بيت المقدس، القدس، ص145.

([4]) السوافيري، **الاتجاهات الفنية في الشِّعر الفلسطيني المعاصر**، ص83.

([5]) صيام، زكريا عبد الرَّحمن، (1979م)، **حياة الشِّعر الفلسطيني حتى نكبة 1948م**، جامعة الأزهر– القاهرة، ص36.

([6]) الأسد، **الاتجاهات الأدبيّة الحديثة في فلسطين والأردن**، ص116.

شهدت فلسطين في الفترة بين 1925–1948م نهضة أدبيّة لِمَا طرأ عليها من عوامل سياسيّة، واجتماعيّة، واقتصاديّة، وفكريّة "انعكست آثارها على الأدب والفكر بعامّة، وعلى الشِّعر بخاصّة"[1].

وقد جاء الشِّعر الفلسطيني في أشكال ثلاثة[2]: الأول: موحَّد الوزن والقافية والرّوي، والثاني: موحَّد الوزن، منوَّع القافية والرّوي، والثالث: الموشَّحات

ومن شعراء هذه الفترة: إبراهيم طوقان[3]، وعبد الكريم الكرمي[4]، وعبد الرَّحيم محمود، ومطلق عبد الخالق[5]، ومحمَّد خورشيد (محمَّد العدناني)[6]، ومحيي الدِّين الحاج عيسى الصفدي[7]، وبولس شحادة[8]، وعصام حمَّاد[9]، وراضي عبدالهادي[10]، عبدالهادي[10]، وكان أشهرهم جميعاً إبراهيم طوقان، وعبد الكريم الكرمي، وعبد الرَّحيم محمود.

وسجَّل إبراهيم طوقان بطولة من بطولات الشعب الفلسطيني في قصيدة (الثلاثاء الحمراء) التي قالها في شهداء البراق الذين أعدمتهم بريطانيا عام 1930م،

([1]) السوافيري، **الاتجاهات الفنيّة في الشِّعر الفلسطيني المعاصر**، ص85.

([2]) السوافيري، **الاتجاهات الفنيّة في الشِّعر الفلسطيني المعاصر**، ص63.

([3]) ولد في نابلس عام 1905م، وتوفي عام 1941م، وقد جمع المرحوم ديوانه بنفسه، ولكن المنيّة عاجلته، وقد أشرف أخوه أحمد على طبع ديوانه عام 1955م. (ديوان إبراهيم، ص9، ص11–32).

([4]) وهو ابن سعيد الكرمي، ويكنَّى أبا سلمى، ولد في دمشق عام 1907م، ومن أشهر دواوينه: أغنيات بلادي، المشرَّد، من فلسطين ريشتي. (العودات، أعلام الفكر والأدب في فلسطين، ص538–539).

([5]) ولد في مدينة الناصرة بفلسطين عام 1909م، وتوفي عام 1937م)، وجمع شعره بعد وفاته في ديوانه (الرحيل)، (العودات، **أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، ص382).

([6]) عُرِف محمَّد خورشيد بهذا الاسم حتى عام 1936م، وبعدها أصبح يُعرف بـ (محمَّد العدناني)، ولد في جنين 1903م، ومن دواوينه: فجر العروبة، والوثوب، والروض. (العودات، **أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، ص431–435).

([7]) ولد في صفد عام 1897م، وله مسرحيَّتان هما: مصرح كليب، وأسرة الشَّهيد. (الكيالي، عبد الرحمن، (1973م)، **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص212).

([8]) ولد في رام الله، 1882م، وتوفي 1943م، وفاز بالدرجة الأولى في إحدى مسابقات الهلال لتعريب قصيدة إنجليزية، ولم يجمع شعره في ديوان. (الأسد، **محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن**، ص48).

([9]) هو ابن حسني حمَّاد، ولد في مدينة جرش عام 1925م، ولمَّا كبر عاد إلى بلده نابلس، وقد تنقَّل في عددٍ من الوظائف منها: مراقب في شعبة المذيعين 1949م، في دار الإذاعة السورية بدمشق، ثمَّ عمل مستشاراً للإذاعة السورية، ومديراً عاماً للبرامج 1957م، ثمَّ مسؤولاً في القسم العربي في إذاعة ألمانيا الغربية، ومن آثاره: ديان بيان فو (ملحمة شعرية)، ورسالة إلى ولدي (مطوَّلة شعريّة). (العودات، **أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، ص138–140).

([10]) ولد في مدينة نابلس عام 1910م، تخرَّج في الكلية العربيّة، وقد تنقَّل في عددٍ من المناصب الإدارية في الأردن، ومن آثاره الشعريّة: الروضة. (العودات، **أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، ص427–428).

وعلى الرُّغم من التزامه في قصيدته وحدة الوزن، إلاَّ أنَّه نوَّع القافية والرّوي، وفيها يقول)[1]:

لَمَّـــا تَعَـــرَّضَ نِجْمُـــكَ المَنْحُـــوسُ وتَزَنَّحَـــتْ بُعـــرَى الجِبَـــالِ رُؤُوسُ
نَـــاحَ الأَذَانُ وأعْـــوَلَ النَّـــاقُوسُ فاللَّيْـــلُ أكْـــدَرُ والنَّهَـــارُ عَبُـــوسُ

ويقول في قصيدة له بعنوان (تفاؤل وأمل)[2]:

حَـــيِّ الشَّـــبَابَ وَقُـــلْ سَـــلامَاً إِنَّكُـــمْ أَمَـــلُ الغَـــدِ
صَـــحَّت عَـــزَائِمُكُمْ عَلَـــى دَفْـــعِ الأَثِـــيْمِ المُعْتَـــدِي
وَطَنِـــي أَزُفُّ لَـــكَ الشَّـــبَابَ كَأَنَّـــهُ الزَّهْـــرُ النَّـــدِي
رَيْحَانُـــهُ العِلْـــمُ الصَّـــحِيحُ، وَرُوحُـــهُ الخُلْـــقُ الحَسَـــنْ
وَطَنِـــي، وَإِنَّ القَلْـــبَ يَـــا وَطَنِـــي بِحُبِّـــكَ مُـــرْتَهَنْ
لا يَطْمَـــئِنْ، فَـــإِنْ ظَفِـــرْتُ بَمـــا يُرِيـــدُ لَـــكَ اطْمَـــأَنْ

كذلك استخدم إبراهيم طوقان الموشَّحات، كما في موشحه (حملتني نحو الحمى أشجاني)[3]، ومن الأغراض التي طرقها أيضاً الأناشيد الوطنيّة[4]، حيث كان بطلها الذي لا يجارى، وقد نوَّع القافية والرّوي، واتَّخذ شكلاً قريباً من الموشَّحات.

وهذا محمَّد إسعاف النشاشيبي[5]، يشارك أبناء مصر في مأتم أمير الشُّعراء– أحمد شوقي– يوم الأربعين لوفاته عام 1932م، حيث يقول:

بُلْبُـــــلُ الكَرْمَـــــةِ وَلَّـــــى أَيْـــــنَ غَـــــابَ البُلْبُـــــلُ
غَـــــادَرَ الطَّيْـــــرَ ثَكَـــــالَى فـــي حَنِـــينٍ وأَنِـــيْنٍ وَشَـــجَنْ
زَهْـــــرُ الكَرْمَـــــةِ يَبْكِـــــي بِـــدُمُوعٍ ظَـــاهِرَاتٍ فـــي الصَّـــبَاحْ

([1]) السوافيري، **الاتجاهات الفنيّة في الشِّعر الفلسطيني المعاصر**، ص107.

([2]) طوقان، إبراهيم، **ديوان إبراهيم**، ص49–50.

([3]) طوقان، إبراهيم، **ديوان إبراهيم**، ص98.

([4]) طوقان، إبراهيم، **ديوان إبراهيم**، ص191، 195، 197.

([5]) صيام، زكريا عبد الرَّحمن، (1979م)، حياة الشِّعر الفلسطيني (من أوائل القرن الحالي حتى نكبة عام 1948م)، (مخطوطة)، ص20؛ ياغي، عبد الرَّحمن، (1969م)، **حياة الأدب الفلسطيني الحديث**، منشورات المكتب التجاري،– بيروت، ص223.

فَـــــــــنَنُ الكَرْمَـــــــــــةِ آسٍ لا اهْتِـــزَازَ لا ارْتِيَـــاحَ لا طَـــرَبْ
بَهْجَـــةٌ زَالَـــتْ، وَجَـــاءَتْ وَحْشَـــةٌ وَعُـــرَى الكَرْمَـــةِ حُـــزْنٌ لا يُـــرِيمْ

وقد عبَّر النشاشيبي عَنْ عاطفته الحزينة بهذا الشَّكل المتحرِّر من وحدة القافية والرّوي.

والشَّاعر هنا وهو في حضور الحزن لا يستطيع السيطرة على انفعالاته، فهو لا يريد أن يكبِّله قيد القافية الموحَّدة؛ خشية أن تحدّ من التعبير عن حالته النفسيّة، وتجربته الشِّعريّة.

بالإضافة إلى تنويع القافية، فإنَّ عدد التفعيلات غير متساوٍ بين أشطر الأبيات، فاختلف الوزن. ففي البيت الأول عدد التفعيلات اثنتان في الصَّدر، واثنتان في العجز، وعدد تفعيلات البيت الثاني اثنتان في الصَّدر، وثلاث في العجز، والبيتان الثالث والرابع كالبيت الثاني في ترتيب تفاعيله وعددها. وقد كان نظام البيت القديم يقتضي تساوي عدد التفعيلات في الصَّدر والعجز في القصيدة الواحدة.

ومن أمثلة التنويع في القوافي قصيدة (كان غازي)، للشاعر عبد الرَّحيم محمود[1]، ومنها قوله:

كَـانَ نَجْمَـاً يَهْتَـدِي السَّـارِي بِـهِ فِـي دَيَـاجِيرِ اللَّيَـالِي الكَالِحَـاتِ
كَـــمْ قُلُـــوبٍ رَقَصَـــتْ خَفَّاقَـــةً حِينَمَـــا لاحَ، بَـــدِيعَ الخَفَقَـــاتِ
أَدْخَـــلَ النُّـــورَ عَلَـــى أَفْئِـــدَةٍ كُـنَّ مِـنْ نُـوْرِ الأَمَـانِي مُقْفِـرَاتِ

كَانَ نَجْمَاً ثُمَّ غَابْ
وَتَوَارَى فِي التُّرَابْ
لَهْفُ قَلْبِي

نَفَـــخَ المَـــوْتُ عَلَيْـــهِ فَانْطَفَـــأ وَانْطَـــوَتْ أَنْـــوَارُهُ فِـــي الظُّلُمَـــاتْ
وَرَنَـــتْ أَبْصَـــارُنَا كَيْمَـــا تَـــرَى مَأْفِـــلَ الـــنَّجْمِ فَـــرُدَّتْ غَرِقَـــاتْ

وقد ولَّدَ الشَّاعر في هذا المقطع جوَّاً موسيقيّاً ينسجم تمام الانسجام مع حالته النفسيّة، وتجربته الشِّعريّة.

([1]) محمود، عبد الرحيم، الأعمال الكاملة، ص83.

"وكأنَّما موجات الحزن تخرج أوَّل ما تخرج من نَفَس الشَّاعر طويلة ممتدَّة، كما في الأبيات الثلاثة الأولى من المقطع السابق، وقد ساعد على ذلك تفعيلات بحر الرّمل الست بما فيها من مدٍّ صوتي، وانسياب نَفَسي، ثمَّ تأخذ هذه الدفقات الشُّعوريّة الحزينة في الانحسار والانخفاض والتلاشي في داخل الشَّاعر تدريجيَّاً، ثمَّ يعود نَفَسُهُ الحزين إلى الانطلاق والامتداد، والارتفاع من جديد ليعيد سيرته الأولى"[1].

لقد نوَّع الشاعر القافية والرويّ، ويبدو أنَّ الشُّعراء الفلسطينيين الذين نوَّعوا قد تأثَّروا إلى حدٍ ما بفن الموشَّح، وبعض أشكال القصيدة المهجريّة.

وقد عمد الشَّاعر إبراهيم طوقان أيضاً إلى الرَّمز في التطرُّق إلى موضوعاته، كما يتَّضح في قصيدته (الحبشيّ الذبيح)[2].

وممَّا يلاحظ أنَّ الشُّعراء في فترة ما بعد سنة 1936م إلى ما قبل النكبة قد تفاوت شعرهم، فمنهم من تمسَّك بوحدة القافية، ومنهم من استخدم المقطوعات، وجعل لكل مقطوعة قافية واحدة، ومنهم من نوَّع في المقطوعة الواحدة.

وهناك مسحة من حزن تشتمل على شعر هذه المرحلة "وكأنَّه حزن الذي يخشى وقوع الكارثة"[3]، ومن أشهر شعراء هذه الفترة: معين بسيسو[4]، وحنَّا جاسر[5]، وهارون هاشم رشيد[6]، ودعد كيالي[7]، ومحمود الحوت[1].

([1]) الشلبي، **عبد الرَّحيم محمود شاعراً**، ص259.

([2]) طوقان، إبراهيم، **ديوان إبراهيم**، ص142-143.

([3]) ياغي، **حياة الأدب الفلسطيني الحديث**، ص302، 306.

([4]) ولد في غزة عام 1926م، ودرس بالجامعة الأمريكية في القاهرة، وتخرَّج في قسم الصحافة عام 1952م، ومن دواوينه الشِّعرية (المعركة)، و(قصائد مصريّة). (العودات، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، ص51-52).

([5]) ولد في قرية الطيِّبة الفلسطينيّة عام 1925م، هاجر إلى الأرجنتين سنة 1951م، وكان يدافع عن القضية الفلسطينيّة هناك.

([6]) ولد في مدينة غزة بفلسطين عام 1927م، زاول مهنة التدريس في مخيَّمات اللاجئين في قطاع غزة، من أشهر دواوينه: مع الغرباء، وعودة الغرباء، وأرض الثورات، وحتى يعود شعبنا، ورحلة العاصفة. (العودات، **من أعلام الفكر والأدب الفلسطيني**، ص219-220).

([7]) هي ابنة عبد الحي كيالي من مدينة يافا، ولدت عام 1934م، ونظمت الشِّعر وهي صغيرة، تخرَّجت في قسم الآداب في جامعة القاهرة عام 1963م، ولها ديوان (ولم تمطري يا غيوم).

ومنذ نكبة عام 1948م، أصبح الشِّعر شعر النكبة، أو المأساة، أو الكارثة؛ لأنَّه اتَّخذ النكبة موضوعاً له، وقد طرق موضوعات وثيقة الصِّلة بالمأساة، كالثورة على الأمم المتحدة، وحرب فلسطين، وقيام دولة العدوان الإسرائيلي، والثورة على الحكَّام، ووصف فلسطين، وحالة اللاجئين وخيامهم، والحنين والشَّوق، والدَّعوة إلى الجهاد، وأخذ الثأر، وتحرير البلاد، والدَّعوة إلى الوحدة العربيّة، ورثاء المدن الفلسطينيّة، ومن أشهر الشُّعراء الذين طرقوا هذا الباب: أبو سلمى، وكمال ناصر[2]، وعبد الرَّحيم محمود، وبرهان الدِّين العبوشي[3]، وفدوى طوقان[4]، وسلمى الخضراء الجيوسي[5].

([1]) ولد محمود في مدينة يافا بفلسطين عام 1916م، وحصل عام 1940م على شهادة أستاذ في العلوم من الجامعة الأمريكية في بيروت، ومن آثاره الشِّعرية: المهزلة العربية، وملاحم عربية، واللهب الكافر، وصراخ الأرض. (العودات، من أعلام الفكر والأدب الفلسطيني، ص143-144).

([2]) ولد كمال ناصر في مدينة غزة عام 1925م، وهو ابن بطرس ناصر من (بير زيت) شمالي رام الله في فلسطين. طبع له ديوان (جراح تغنِّي) في بيروت عام 1960م. (الكيالي، **الشِّعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، ص310).

([3]) ولد برهان العبوشي في جنين بفلسطين عام 1911م، وقد شارك في الحركة الفلسطينيّة الوطنيّة، وله دواوين ومسرحيَّات شعريّة، ومن أهمّها: ديوان جبل النار، وديوان النيازك، ومسرحية وطن الشهيد، ومسرحية شبح الأندلس، ومسرحية عرب القادسية. (العودات، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، ص430-431).

([4]) هي ابنة المرحوم عبد الفتاح طوقان، ولدت في مدينة نابلس بين عام 1919-1920م، وقد صدرت لها أول مجموعة شعرية عام 1952م، بعنوان: (وحدي مع الأيام)، ثمَّ (أعطنا حباً)، ثم، (الليل والفرسان)، ثمَّ (أمام الباب المغلق). (آل جندي، أدهم، (1954م)، **أعلام الأدب والفن**، مطبعة مجلة سوريا، ط1، ج1، ص378-379).

([5]) هي ابنة المرحوم صبحي الخضراء الجيوسي، أحد وجهاء صفد، ولدت في السلط، حصلت على الدكتوراه، طبع لها ديوان: (العودة من النبع الحالم). (الكيالي، **الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، ص213-214).

ثانياً: الحركة الشِّعريّة في شرق الأردن من عام 1921-1956م:

كان شرق الأردن جزءاً من بلاد الشَّام حتَّى الحرب العالميّة الأولى، "وكانت حركته الشِّعرية جزءاً من الحركة الشِّعريّة في هذه البلاد"[1].

وقد بدأت الحركة الأدبيّة في الأردن مع قدوم الأمير عبدالله بن الحسين من الحجاز عام 1920م[2]، حيث كان قائداً، وسياسيَّاً، وشاعراً، يحب الشُّعراء ويقرِّبهم منه، وقد تجمَّع في بلاطه عدد من الشُّعراء، وكان معظمهم من خارج البلاد في بداية الحركة الشِّعريّة جاءوا مع الأمير ضمن حاشيته، أو جاءوا بعد ذلك بوقتٍ قصيرٍ ليساهموا في النِّضال في بلاد الشَّام، حيث اعتبروا الأردن منطلقاً لتحرير بلاد الشَّام، ومن هؤلاء الشُّعراء: "خير الدِّين الزِّرِكْلي السُّوري، والأمير عادل أرسلان اللبناني، وعبد المحسن الكاظمي العراقي"[3].

أمَّا الشُّعراء الأردنيون الذين انحدروا من أصل أردني، فلم يظهر نشاطهم الشِّعري بشكلٍ واضحٍ قبل هذه الفترة، "وكان مصطفى وهبي التل (عرار) المولود في إربد عام 1899م أكبرهم سنَّاً وأقواهم شاعريّة"[4].

لقد قام بسد الفراغ الأدبي قبل هذه الفترة شعراء البادية الشعبيُّون، ومنهم نمر ابن عدوان، وعلى الرميثي[5]، وعلي الطوقة[6] المعروف بأخي عليا.

([1]) الأسد، **الاتجاهات الأدبيّة الحديثة في فلسطين والأردن**، ص24.

([2]) الناعوري، عيسى، (1954م)، "الحركة الأدبيّة في الأردن"، "الكتاب العام"، واشنطن، ص11؛ وياغي، هاشم، (1972م)، مقال بعنوان: "الشِّعر"، ثقافتنا في خمسين عاماً، منشورات دائرة الثقافة والفنون، عمَّان، ص80؛ وحداد، نبيل يوسف صالح، (1976م)، **الحركة الشعرية في الأردن، 1921-1948م**، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم اللغة العربيّة وآدابها، ص44.

([3]) ياغي، "الشعر"، ثقافتنا في خمسين عاماً، ص237.

([4]) حدَّاد، **الحركة الشعرية في الأردن**، ص44.

([5]) حدَّاد، **الحركة الشعرية في الأردن**، ص45.

([6]) المغيض، تركي أحمد الرجا، (1979م)، **الحركة الشعرية في بلاط الملك عبدالله، 1921-1948م**، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة القديس يوسف، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، بيروت- لبنان، ص9.

وقدم إلى الأردن الشَّاعران: الشيخ فؤاد الخطيب (شاعر الثورة العربية الكبرى)، ومحمَّد الشريقي، حيث كانت تربطهم بالأمير عبدالله صداقات قديمة، كذلك وفد إلى شرق الأردن بقصد العمل بعض الشُّعراء، مثل الشَّاعر اللبناني محمَّد علي الحوماني الذي أقام بضع سنوات ثمَّ عاد لوطنه عام 1927م، ومنهم من ظلَّ مقيماً في البلاد طيلة حياته، كالشَّاعرين شكري شعشاعة (ت1963م)، وجميل ذياب[1] (ت1958م).

لقد قامت قصيدة العشرينيات على الشِّعر المحافظ، يقول الشَّاعر الأمير شكيب أرسلان[2]، من قصيدة (نصيحة):

كَفَى بِي أيُّهَا اللاحِي العَذَابَا ... فَدَعْ عَنْكَ المَلامَةَ والعِتَابَا
شَبَابٌ كُلُّهُ ألَمٌ وَبُؤْسٌ ... فَكَيْفَ إذَا تَجَاوَزْتَ الشَّبَابَا
وَمَنْ لِي بالسَّعَادَةِ بَعْدَ خَطْبٍ ... أرَانِي أُمَّتِي ذَهَبَتْ ذَهَابَا
أعَبْدَ اللهِ إنْ تُرِدِ المَعَالِي ... فإنَّ لَهَا- هُدِيتَ إلَيْهِ- بَابَا
سَلِ اليَرْمُوكَ أيْنَ تَكُونُ مِنْهُ ... إذَا لَمْ تَقْحَمِ الخَيْلَ العُرَابَا
أمَامَكَ مَنْ إذَا نَزَلُوا بِأرْضٍ ... أصَابُوهَا انْتِهَاكَاً وانْتِهَابَا
إذَا مَا اسْتَعْبَدُوا أحْرَارَ قَوْمٍ ... أبَوْا أنْ يُعتِقُوا مِنْهُمْ رِقَابَا
وَخَلْفَكَ أُمَّةٌ تَقْضِي وَتَحْيَا ... إذَا مَا طَاشَ سَهْمُكَ أوْ أصَابَا
أُعِيذُكَ أنْ يَطِيبَ لَكَ التَّوَانِي ... وأنْ تَرْضَى بِمَا وَعَدُوا طِلابَا
هُوَ الرِّقُ الذِي لا رَيْبَ فِيْهِ ... أرَادُوهُ فَسَمُّوهُ انْتِدَابَا

والأبيات السابقة تمثِّل النَّمط التقليدي أو المحافظ لقصيدة العشرينات، وقد بنيت على أساس وحدة البيت، ويحمل كل بيت فكرة مستقلّة ساقها الشَّاعر بقالب موسيقي.

وقد اعتمد على الوحدة الموسيقيّة الإيقاعيّة المتمثِّلة في تفعيلات بحر الوافر (مفاعلتن مفاعلتن فعولن) في كل شطر، وقد جاءت القافية نهاية موسيقية استراح عندها الشَّاعر استراحة أملتها طبيعة البناء الموسيقي للقصيدة.

([1]) حداد، **الحركة الشعرية في الأردن، 1921-1948م**، ص47.

([2]) الزِّركلي، خير الدِّين، (1925م)، "عامان في عمَّان، (مذكرات عامين في عاصمة شرق الأردن)، المطبعة العربية بمصر، نشر يوسف توما البستاني، ص113.

وقد ساق الشَّاعر أفكاره ضمن هذا البناء العمودي، محاولاً إبراز خيبة أمله في تحرير سوريا عن طريق الأردن، وقد غلبت على القصيدة نغمة الأسى والحزن بقوله: (شباب كلّه ألم وبؤس)، وقوله: (ومن لي بالسعادة بعد خطبٍ).

2.3 اللُّغة والأسلوب:

أ- الرَّمز

المعنى اللُّغوي: قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت177هـ)، في معجمه (العين): "إنَّ الرَّمز يكون باللِّسان والصَّوت الخفيّ، ويكون بالإيماء بالحاجب بلا كلام، ومثله الهمس"[1]، ورأى ابن دريد: "أنَّ الرَّمز هو الإيحاء والإيماء، وهو الإشارة"[2]، وقال تعالى: ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾[3].

المعنى الاصطلاحي: "الرَّمز شيء ما يشير إلى شيء آخر، مع عدم إغفال مستوى الدِّلالة الحقيقيّة فيه"[4].

أهميّة الرَّمز:

ترجع أهميّة الرَّمز في الكشف عن الجماليات التعبيريّة للقصيدة، وإبراز المعنى من خلال الإيماء والتكثيف. والشِّعر الأردني الذي تأثَّر بالاتجاهات والمدارس والمحاولات التجديديّة والتيارات الأدبيّة العربيّة والغربيّة، أخذت تدخله أشكال عديدة من التغيير والتطوُّر، وتمثَّل ذلك في تغيير الشكل الشِّعري ليميل إلى الرَّمز والأسطورة، وظهور الغموض والإبهام في القصيدة الحديثة.

([1]) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (1984م)، **العين**، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دائرة الشؤون الثقافيّة- بغداد، العراق، ج7، ص366.

([2]) ابن دريد، محمَّد بن الحسن (ت321هـ)، (1348هـ)، **جمهرة اللُّغة**، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ط1، حيدر أباد، ج2، ص325.

([3]) سورة آل عمران، الآية (41).

([4]) فتوح، أحمد محمَّد، (1978م)، **الرَّمز والرَّمزيّة في الشِّعر العربي المعاصر**، ط2، دار المعارف- القاهرة، ص33.

الرَّمز في الشِّعر الأردني الحديث:

بدأت منذ قيام الثَّورة العربيّة الكبرى، نشأة الدَّولة العربيّة الفيصليّة في سوريا، فبعد مجيء الأمير عبدالله بن الحسين إلى شرق الأردن عام 1920م، تشكَّلت نواة الحركة الأدبيّة، فقد كان شاعراً وقائداً ومشاركاً في المساجلات الشعرية والمداخلات الأدبيّة مع الشُّعراء والأدباء.

ومن أدباء تلك الفترة عادل أرسلان، وخير الدِّين الزِّركلي، ومصطفى الغلاييني، وعبد المحسن الكاظمي، وفؤاد الخطيب، وسعيد الكرمي، ومحمَّد الشريقي، ومصطفى الكيلاني، ومصطفى وهبي التل، وصبحي أبي غنيمة، وعبد المنعم الرِّفاعي، وتيسير ظبيان[1].

ولقد حمل الشُّعراء هموم الأردن وفلسطين، وظهر ذلك في اتجاهين: الاتجاه الكلاسيكي، ومن شعرائه حسني فريز، وعيسى الناعوري، وهارون هاشم رشيد، ومحمَّد سليم الرشدان، ورفعت الصليبي، وحسني زيد الكيلاني، ومحمود الروسان، ويوسف العظم، وسليمان المشيني، ومحمود الأفغاني، واتجاه آخر ربط القديم مع الحديث، ومن شعرائه حيدر محمود، ويوسف الخطيب، وخالد الساكت، وخالد محادين، وأيوب طه، وأمين شنَّار.

وقد اعترف الدكتور ناصر الدِّين الأسد بتأثُّر الشُّعراء الأردنيين والفلسطينيين بشعراء مصر ولبنان والعراق وسوريا، وإفادتهم منهم[2]، وقد تمثَّل في مصطفى وهبي التل، وشكري شعشاعة، خطا الشُّعراء المحافظين المصريين.

وفي الأربعينات من القرن العشرين، حاول عدد من الشُّعراء في الأردن وفلسطين اقتفاء أثر زملائهم في مصر بمعالجة المسرحيَّات الشِّعرية، والشِّعر القصصي، والملاحم، وبعض القصائد على لسان الحيوان، فقد كتب رفعت الصليبي في مجال الشِّعر القصصي قصيدة (حصاد الإثم).

([1]) شطناوي، **الرَّمز في الشِّعر الأردني الحديث**، ص34.

([2]) شطناوي، **الرَّمز في الشِّعر الأردني الحديث**، ص35.

ونظم حسني فريز مسرحيّة بعنوان (الطوفان)، "ونظم أديب عباسي قصائد على لسان الحيوان والجماد، وتطوَّر الشَّكل الشِّعري فاتَّجهوا نحو الرَّمز والأسطورة"[1].

وكان الشِّعر الحرّ قد ظهر كتجديد في بداية الخمسينات من القرن العشرين على يد نازك الملائكة، وبدر شاكر السيَّاب، وعبد الوهاب البيَّاتي، وأحمد عبد المعطي حجازي. ونسج الشُّعراء الأردنيون والفلسطينيون على منوالهم، وتأثَّروا أيضاً بالأدب الغربي وبخاصة شعر إليوت، وشيلي، وكولردج عن طريق الترجمة والقصائد المترجمة في المجلات الثقافيّة.

"وفي الأردن، فإنَّ الشِّعر الحرّ قد لاقى رواجاً لاستعماله لدلالات الألفاظ استعمالاً رمزيَّاً موحياً[2]، وقد استعمل الشِّعر الحرّ التعابير الصُّوفيّة ذات الدِّلالات الدينيّة، ورموز وإشارات تاريخيّة تراثيّة أسطوريّة تشفُّ عن موروث شعبي فكري وجداني، ومن شعراء هذه المجموعة عبد الرَّحيم محمود، وأمين شنَّار، وتيسير السبول.

وكثرت في شعرهم المصطلحات الآتية: العاصفة، والربَّان، وسيزيف، وعويليس، وثبلونا، وتموز، والصَّلب، والمسيح، والبحر، والحلاج، والسندباد، وعنترة، وعبلة، وكربلاء، وأهل الكهف.

ولقد أعطت نكسة 1948م، نزعة الحزن والتشاؤم وجلد الذَّات، وأعطت دفعة قويّة نحو الابتكار والتجديد في محاولة للتمرُّد على الماضي، إلى حد التطرُّف والرَّفض لكل ما سبق، ثمَّ البحث عن أشكال ومضامين جديدة.

"ومن مظاهر هذا التمرُّد، استخدام الشِّعر الحرّ والتغيير في الشَّكل، واستخدام الرُّموز والأساطير والحوار وشيوع الغنائيّة، واستخدام الصُّور الشِّعرية والتُّراث والفلكلور والقصيدة ذات البناء الدّرامي"[3].

وقد مال قسم من الشُّعراء إلى استغلال الرَّمز والاتِّكاء على الإشارات التاريخيّة في قصائدهم ذات الأبعاد السياسيّة، ونظموا في القلق والاغتراب والعبث والحيرة.

([1]) شطناوي، **الرَّمز في الشِّعر الأردني الحديث**، ص36.

([2]) شطناوي، **الرَّمز في الشِّعر الأردني الحديث**، ص38.

([3]) شطناوي، **الرَّمز في الشِّعر الأردني الحديث**، ص35.

وقد رأى أنصار الشِّعر الجديد أنَّه ثورة على الاستبداد والتواكل، فاتَّخذ الشِّعر الحرّ أسلوباً جديداً للتعبير عن قسوة الحياة، واعتمد الإيجاز والغموض والصُّور الملوَّنة وفوضى التداعي والتكرار غير المناسب والاغتراب.

ولقد بدأ في هذا النَّوع من الشِّعر نزوع الشعراء نحو توظيف التُّراث واستهلاكه في بناء القصيدة؛ لِمَا يحمله من دلالات ورموز، وميل إلى الغموض، ومبالغة في استخدام مناهج الحداثة والتجريب الأجنبيّة.

وإنَّ التجديد في النَّسق المكاني، أو الصُّورة، أو النَّسق الزَّماني، أو الإيقاع العروضي كان العامل في تفجيرها.

ظواهر وأساليب رمزيّة في الشِّعر الأردني الحديث:

- الصُّورة الرَّمزيّة:

وتهدف الصورة الرمزية إلى نقل الشُّعور والإحساس وتثبيت الأفكار العاطفيّة في النُّفوس، "والصُّورة في أساسها نوع من الرَّمز؛ لأنَّها تجسِّد الفكر والشُّعور"[1]. وقد ظهرت عند الشُّعراء الصُّور المركّبة، و الصُّور الكليّة التي تتكوَّن من مجموع الصُّور الجزئيّة التي تتآزر في بنائها وسائل الأداء المختلفة، من ألفاظ وصور وإيقاعات؛ ممَّا يجعل القصيدة أكثر ترابطاً وانتظاماً تضمّها وحدة عضويّة وموضوعيّة.

استخدم الشُّعراء الصُّور الجزئيّة الحديثة، ومن أنواعها التشبيه المطوَّر، والميل نحو الإيحاء بالصورة بدلاً من التوضيح، كما استخدم الشُّعراء التشخيص والتجسيد والتجريد وتراسل الحواس، واستخدموا الصُّور السَّمعيّة والبصريّة والحركيّة والبنية الدراميّة، والتضاد، بالإضافة إلى الحوار والبنية القصصيّة الرَّمزية.

ومن القصائد التي تطالعنا فيها الصُّورة الشِّعرية قصيدة (عمَّان) للشَّاعر عبدالمنعم الرِّفاعي، وفيها يقول[2]:

عَمَّانُ، يَا حُلْمَ فَجْرٍ لاحَ واحْتَجَبَا عَفْوَاً إذا مَحَتِ الأيَّامُ مَا كُتِبَا
أبْكِي لِوَحْدِي، فَحَتَّى دَمْعَتِي فَقَدَتْ مِن طُولِ غُرْبَتِهَا خِلاً وَمُصْطَحَبَا

([1]) داود، أنس، (1975م)، **الأسطورة في الشعر العربي الحديث**، دار الجيل للطباعة- القاهرة، ص242.

([2]) الرِّفاعي، عبد المنعم، (1979م)، **المسافر**، ط1، الدار المتحدة للنشر- بيروت، ص64.

أُقَبِّـلُ الـرَّكْنَ كَـمْ مَسَـتْهُ مِـن شَـفَةٍ مَثْلُومَـــةٍ بَلَّغَتْـــتْ أَشْـــوَاقُهَا كَـــذِبَا
أَأَغْتَـدِي وَشِـرَاعِي كُلَّمَـا جَمَحَـتْ سَـــفِينَتِي رَدَّهُ طَيْـفُ الحِمَـــى فَصَـبَّا
وَكَـمْ وَقَفْـتُ عَلَـى الأَفْـلاكِ أَسْـأَلهَا هَلْ غَيرُ طَيْفِكِ أغرى في المَدَى وَسَبَى
يَـا أُخْـتُ عُمْـرِي أَأَنْسَـى أَنَّ مَجْلِسَـنَا فِـي جَانِـبِ السَّـيْلِ كَـانَ المَنْـزِلُ الرَّحَبَـا
وَأَنْـتِ فِـي ظِـلالِ (العَـيْنِ) غَانِيَـة أَلْقَـتْ عَلَـى خِـدْرِها مِـنْ سِـحْرِهَا حَجَبَـا

وتظهر في هذه الصُّورة صورة عمَّان المشرقة الحبيبة المشتاقة لحبيبها، ويعيد الشَّاعر تشكيل هذه الصُّورة من خلال إضفاء الألوان الموحية، والصُّورة الموحية والأساليب الإنشائيّة، وتوظيف الأفعال بين الماضي والحاضر، "كما استعان الشَّاعر بالطبيعة معتمداً الأساليب البلاغيّة القديمة والحديثة، حتَّى غدت الصُّورة جزءاً من الذَّات"[1].

وقد ذكر الشَّاعر: جمحت سفينتي، إشارة إلى التشتُّت والضَّياع في الحياة. كما ويظهر الإتِّكاء الواضح على التشبيه والاستعارة بين الشَّاعر وصوره، حيث أصبحت الصُّورة وسيلة لنقل انفعال الشَّاعر التعبير عن أحاسيسه ومشاعره.

وقد عبِّر اسكندر الخوري في قصيدته (أوبعد هذا من خلاف؟) عن الحالة النفسيّة للصِّراعات الشخصيّة في سبيل الجاه والثَّراء، في الوقت الذي تحكَّم الأجانب في اقتصاديَّات البلاد، وكان للحركة دور وللتقهقر رمز يظهر فيه حال أبنائها من العدم والفقر، يقول[2]:

كُـــلٌّ يَسِـــيرُ إلـــى الأمَـــا مِ وَنَحْـــنُ نَمْشِـــي القَهْقَـــرِيَ
لا عَيْشَـــــنَا عَـــــيْشٌ وَلا شَـــبَهٌ لَنَـــا بَـــيْنَ الـــوَرَى
هُنَـــا فَأَصْـــبَحْنَا كَأَنْعَـــا مِ تُبَـــاعُ وَتُشْـــتَرَى
فِـــي ذِمَّـــةِ المَاضِـــي لَنَـــا مَجْـــدٌ تَرَكْنَـــاهُ وَرَا
فَلِـــذَلِكَ لا عَجَـــبٌ إذَا فِيْنَـــا البُغَـــاثَ تَنَسَّـــرَا
بِمُهَـــاجِرِينَ أَخَـــالهم جَـــاؤُوا إِلَيْنَـــا عَسْـــكَرَا

([1]) شطناوي، لقمان، (2006م)، **الرَّمز في الشِّعر الأردني الحديث**، ط1، مطبعة الروزنا- عمَّان، ص48.

([2]) الخوري، **مشاهد الحياة**، ج1، ص244.

وابـــنُ الـــبِلادِ يَسِـــيرُ فِـــي أوْطَانِـــــــهِ مُنْكَسِـــــــرَا

وقد جسَّد الشَّاعر الهوان الذي ناله الشَّعب الفلسطيني حتَّى غدا كالأنعام، يباع ويشترى، ويستأسد البغاث وهم أقل الناس بغدرهم وخيانتهم وعمالتهم للعدو المغتصب، فيستأسد العدو في الأرض، ويتطاول على أهله الأصليين.

وقال يخاطب إحدى صويحباته من قصيدته (تذكارات)[1]:

أظْنَنْتِنِـــي مَـــنْ بَعـــضِ جُنـــدِ "أبِـــي حنِيـــك" يَـــا بُنَيَّـــةِ
فَرَمَقْتِنِـــي شَـــزَراً وَلَـــمْ تَـــدَعِي مَجَـــالاً لِلْتَّحِيَـــةِ

وكذلك الشَّاعر محمَّد العزِّي، يهيج فرحاً في مجموعته الشِّعرية (من رجال الجفر)، عندما يُطرد الفريق (جلوب) من قيادة الجيش الأردني، قال[2]:

يَـــا لَهَـــا وَحْشِـــيَّة سَـــاخِرَة عَنْـدَهَا السَّـفَّاحُ بِـاللِّصِّ* الْتَقَـى
أيُّهَـا الحَـارِسُ مِـن أهْلِـي هُنَـا مَـوْطِنُ العِلَّـةِ والـدَّاء، هُنَـا
إنَّ مَـــنْ تَحْسِـــبُهُ "صَـــاحِبَنَا"* غَـادِرٌ مِـنْهُمْ وَمَـا يَوْمَـا وَفَـى

وفي آخر قصائده قبل وفاته، ندَّد الشَّاعر بأعداء الوطن، ووصفهم بأقبح الأوصاف، ففي قصيدته (خاتمة المطاف)، قال عرار[3]:

لا بَـارَكَ اللهُ فِـي قَـوْمٍ عَـرفْتُهُم بَعْـدَ التَّجَـارِبِ أعْـدَاءً لأوْطَـانِي
فَـإنَّهُم خِسَـةٌ، أعْـدَاءُ مكرمـةٍ مَـا أكْـرَمَ المَـوْتَ أبْقَـاهُم وَنَـادَانِي

فهم أعداء الاستقلال والحريّة التي نادى بها الشَّعب، وقد دفع الشاعر دمه ثمناً لاستقلال وطنه، وفي ذلك يقول الشَّاعر فؤاد الخطيب من قصيدة (النهضة العربيّة[4]):

عَـرَبٌ تَطَـوَّعَ كَهْلُهُـمْ وَغُلامُهُـم لِلْمَـوتِ غَيْـرَ مُسَـخَّرٍ بِقَيَـادِ
وَثَبَـتَ بِهِـم فِـي نَقْـعِ كُـلِّ كَرِيهَـةٍ هِمَـمُ الغُـزَاةِ وعِفَّـةُ الزُّهَـادِ

([1]) عرار، عشيات وادي اليابس، 442.

([2]) الأسد، **الحياة الأدبية الحديثة في فلسطين**، ط1، ص450.

* الصَّاحب: الفريق (جلوب)، حيث لُقِّبَ بالصَّاحب.

* السفاح واللص: الاستعمار والصهيونيّة.

([3]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص389.

([4]) الخطيب، فؤاد، (1959م)، **الديوان**، دار المعارف- مصر، ص416-422.

وَمَــن اشْــتَرَى اســتقلالَهُ بِدِمَائِــهِ لَــمْ يَسْــتَنِمْ لأذَى وَلا اسْــتِعْبَادِ

إنَّ الحريّة والاستقلال هما أمل الشُّعوب الحرّة الكريمة، وقد نادى بها أمير الشُّعراء قبلهم، حيث قال[1]:

وَلِلْحُرِّيَّــــةُ الحَمْــــرَاءِ بَــــابٌ بِكُــلِّ يَــدٍ مُضَــرَّجَةٍ يُــدَقُ

أنواع الرَّمز في الشِّعر الأردني المعاصر:

لقد استقى الشِّعر الأردني رموزه من الطبيعة بما تحويه من مكوِّنات، وكان "للرُّموز الأسطوريّة دورٌ في الإيحاء بالأفكار والرؤى بدلاً من التعبير المباشر عنها"[2].

كذلك الرُّموز الدينيّة وبشكلٍ خاص رموز الأنبياء، والرُّموز التاريخيّة، كالأبطال والقادة، وكذلك الرُّموز الصُّوفيّة والرُّموز الأدبيّة الشَّعبيّة، فضلاً عن رموز التمرُّد والثَّورة، والرُّموز الشخصيّة، كالمرأة، ورمز المكان والتجربة، والرُّموز اللونيّة على النَّحو التَّالي:

1- الرُّموز الطبيعيّة:

وتتضمَّن الآتي:

أ- رموز فصول السَّنة:

يقول الشَّاعر محمود عبد الحميد الأفغاني في ذكرى الخامس عشر من أيَّار[3]:

أيَّــارُ، أيَّــارُ يَــا شَــهْرَ المَآسِــي لَقَــدْ جَــدَّدْتَ بالقَلْــبِ العَــذَابَا

تُــذَكِّرُنِي بِمَــنْ ظَلَمُــوا، وَجَــارُوا وَمَــنْ خَــانُوا عُهُــودِي، والكِتَابَــا

وَتَبْعَــثُ ذِكْرَيَــاتِ الأمْــسِ حَتَّــى كَــأنَّ الأمْــسُ يَــا أيَّــارُ ثَابَــا

ونجد الأفغاني يكرِّر تذمّره من أيَّار، ويعتبره نحساً في جبين الأمّة العربيّة، في قصيدته بعنوان (غداً... موعدنا)، يقول[4]:

"أيَّــارُ" وَيْلَــكَ قَــدْ جَفَّــتْ مَآقِينَــا! مِمَّــا بَكَيْنَــا عَلَــى أشْــلاءِ مَاضِــيْنَا!

([1]) شوقي، أحمد، (1985م)، الشوقيات، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، ج1، ص75.

([2]) شطناوي، الرمز في الشعر الأردني الحديث، ص91.

([3]) الأفغاني، الديوان، ج1، ص89.

([4]) الأفغاني، **الديوان**، ص129.

تَـــذْهَبُ وَتَـــأْتِي والآلامُ صَـــامِدَةٌ تَجِيشُ فِي صَدْرِنَا، والوَجْدُ يَصْلِينَا
"أيَّـارُ" ذِكْـرَاكَ مَـا تَنْفَـكُّ تَطْعَنُنَـا طَعَنَاتها النَّجْلِ، فـي أغْلَـى أمَانِينَـا
كَـمْ ذِكْرَيَـاتٍ أيَـا "أيَّـارُ" دَامِيَـةً؟! مَـا زَالَ رَجْـعُ صَـدَاهَا فِـي حَوَاشِـيْنَا
كَـمْ ذِكْرَيَـاتٍ نَرَاهَـا الآنَ مَاثِلَـةً؟ تَكَـادُ تَلْمِسُـها لَمْسَـاً أيَادِيْنَـا!!
كَمْ ذِكْرَيَاتٍ تُذِيبُ الصَخْرَ نَكْتُمُهَا بَـيْنَ الجَـوَانِحِ.. نَطْوِيهَـا، فَنَطْوِينَـا!

ب- الليل والنَّهار والشَّمس والقمر:

وقد تجلَّى الليل مثالاً للشُّجون وتجدُّد المخاوف، ويمثِّل النهار والشَّمس بزوغ الأمل، في حين يعبِّر القمر عن "أبعاد عديدة كالجمال والفرح والأمل، كما أنَّ القمر أصبح صورة للمرأة المحبوبة، ورمزاً للخير والخصوبة، وكذلك غدا رمزاً للوطن"[1].

يقول الشَّاعر إبراهيم عبد الفتاح طوقان في حفلة تكريم المناضل (فيصل الأوَّل) التي أُقيمت في عمَّان تنويهاً بجهاد هذا المناضل العربيّ بعنوان (مرثيّة فيصل)، يقول[2]:

شَـيِّعِي الليْـلَ وَقُـومِي اسْـتَقْبِلِي طَلْعَـةَ الشَّـمْسِ وَرَاءَ الكَرْمِـلِ
وَاخْشَـعِي، يُوشِكُ أن يَغْشَـى الحِمَـى يَـا فِلِسْـطِينُ سَـنَىً مِـن فَيْصَـلِ
يَـا لَهَـا مِـنْ دِيْمَـةٍ يَرْفَعُهَـا مَنْكِـبُ الأُفُـقِ لعَـيْنِ المُجْتَلَـى

وقد رثى إبراهيم طوقان (فيصل الأوَّل) حتَّى أقبل إليه المغفور له الملك عبدالله معانقاً ومهنِّئاً على هذه القصيدة الخريدة الفريدة، وقد أراد برمزه إلى الليل موت (الفيصل)، وحمله من سويسرا بحراً إلى فلسطين، وهو طلعة نديّة كنور الشَّمس السَّاطع لمَّا حلَّ بالكرمل من فلسطين، وهو كريمٌ سخيٌّ ترمقه كل عين.

ويرمز الليل إلى الهم المقيم الذي يجلوه الصَّباح، يقول الشَّاعر الأفغاني في قصيدته (ذكرى 15 أيَّار) [3]:

وَضَـجَّ اللاجِئُـونَ، بِكُـلِّ قُطْـرٍ وَمَـا تَرَكُـوا... دُعـاءَ، مُسْـتَجَابَا!
أَمَـا لِلَّيْـلِ مِـن فَجْـرٍ صَـحِيحٍ؟ يُـدَاوِي جُـرْحَ مَـنْ أضْـحوا سِـغَابَا

([1]) شطناوي، **الرمز في الشِّعر الأردني الحديث**، ص127.

([2]) طوقان، فدوى، **أخي إبراهيم**، ص58.

([3]) الأفغاني، **الديوان**، ج1، ص90.

أُحَــاوِلُ أنْ أَبُــوحَ، بِــبَعْضِ سِــرِّي فَأُشْــفِقُ أنْ أُعِيــبَ، وأنْ أُعَابَــا

وقد حاول اللاجئنون حلاً بكل جهدٍ متاح، ودعاء مستجاب، وهاموا في أقطار شتَّى، فيتساءل الشَّاعر عن حلٍّ يُبرئ المكلوم ويستر المكتوم.

وفي قصيدة أخرى له بعنوان (قسماً... بيافا)، يقول[1]:

اللَّيْــــلُ... لَيْــــلٌ عَسْعَسَــــا! والكَــوْنُ، يَــا وَطَنِــي، قَسَــا

بِــالأمْسِ... كُنْــتَ مُقَدَّسَــا!؟ واليَــوْمَ... صَــرْتَ مُدَنِّسَــا

كَبِــــدِي يُمَزِّقُــــهُ الأَسَــــى فَــأَقُولُ... يَــا رَبِّــي، عَسَــى

وهو يرمز بقوله (الليل) إلى الظُّلم الذي بدأ رويداً رويداً يخيِّم على فلسطين، ويشير إلى الأمس، إلى وقت الرَّخاء والحريّة التي عاشت فيه فلسطين.

وقد جاء الأفغاني بقصيدةٍ بعنوان (ليلاي) يناجي فيها محبوبته، قائلاً[2]:

لَئِنْ غِبْتِ عَنْ عَيْنِي، فَمَا غِبْتِ لَحْظَةً عَنْ القَلْبِ.. إنَّ القَلْبَ، لَيْلايَ، يَشْهَدُ

وَأَنْتِ الضُّحَى، والليلُ، والشِّعْرُ والهَوَى وَأَنْتِ المُنَى، والرُّوحُ، والعَقْلُ، واليَدُ

يَقُولُونَ.. تُبْ، عَنْ حُبِّ لَيْلَى، وَذِكْرِهَا فَحَسْبُكِ مــن لَــيْلاكِ، ذَاكَ التَّشَــرُّدُ

أهَــلْ يَحْسِــبُ الغُــرَّ الجَهُــولَ، بِــأَنَّنِي سَأَسْلُو هَوَى لَيْلِي؟ وَلَـيْلايَ أَعْبُـدُ!

ويتَّخذ الأفغاني من الشَّمس رمزاً للوضاءة، ونبراساً ينير دياجير الظَّلام، ففي قصيدته (أرض الفداء)، يقول[3]:

يَــا فِلَسْــطِينُ، أيَــا أَرْضَ الفِــدَا مَـوْطِنَ الأبْطَـالِ، يَـا خَيْـرَ المَثَـل

يَا عَرُوسَ العُرْبِ، يَا شَمْسَ الهُدَى يَـا جِنَـانِ الخُلْـدِ، يَـا نُـورَ المُقَـل

فهو يرمز إلى الشَّمس بأنَّ فلسطين نبراس الأمّة يهتدي بها.

2- الرُّموز الحيوانيّة:

"يستعمل الشَّعراء الرُّموز الحيوانيّة والطيور لتحمل مدلولات معاصرة، ومن أبرزها: الخيل، والجمال، والغزلان، والذئاب، ومن الزواحف: الأفاعي، ومن حيوانات

([1]) الأفغاني، **الديوان**، ج1، ص22.

([2]) الأفغاني، **الديوان**، ج1، ص31.

([3]) الأفغاني، **الديوان**، ص81.

الماء: الحيتان، والأسماك، ومن الطيور: العصفور، والحمامة، والغزال، والخفَّاش، والعقاب، والنورس، والبوم، ومن الحشرات: الفراش، والجراد والعناكب"[1]، وفيما يلي وقفة عند عدد منها:

أ- الخيل:

حملت الخيل معنى العزّة والنَّخوة والرُّجولة، واتَّصلت بالخيل دلالة الخير، لقوله الرسول ﷺ: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والمغنم)[2].

ب- الغزالة:

وقد وردت عند الشُّعراء رمزاً للخصوبة واستمرار الحياة، ورمزاً للمرأة المحبوبة، يقول الشاعر الأفغاني في قصيدته (على أوطاني)[3]:

كَمْ ظَبْيَةٍ فِي رَوْضَةٍ، رَوَّضْتُهَا! وَسَحرتُهَا عَفْوَاً، بِسِحْرِ بَيَانِي

وَلَكُمْ شَدَوْتُ مَعَ الطُّيُورِ قَصَائِدَا فِيها أريجُ العِطْرِ، مِنْ عَمَّانِ

وهو بذلك يرمز إلى الحسناوات اللاتي سحرن بيانه في أرض وطنه.

وترمز الغزالة إلى المرأة الجميلة في قول عرار من قصيدته (يقولون إنِّي إن شربت ثلاثة)[4]:

أنَاشَدُكُمْ وَادِي الشِّتَا وَظِبَاءَهُ وَغْزْلانَ وَادِي السِّيرِ والأعْيُنَ الدُّعْجَا

وَقَلْبَاً شَجِيَّاً كُلَّمَا خَطَرتْ لَهُ خَوَاطِرُ مِنْ لَيْلَى، بِأشْوَاقِهِ عَجَّا[5]

ج- الذئب:

وقد استخدم الذئب دلالة على الأعداء، كما حمل معاني أخرى كالافتراس والغدر والمكر والخداع، يقول الشاعر خليل زقطان في قصيدته (يا شرق) [6]:

([1]) شطناوي، **الرمز في الشعر الأردني الحديث**، ص102.

([2]) البخاري، أبو عبدالله محمَّد بن إسماعيل، (1991م)، **صحيح البخاري**، دار الفكر للطباعة والنشر، ج1، ص115.

([3]) الأفغاني، **الديوان**، ص164.

([4]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص151.

([5]) عج: امتلأ.

([6]) زقطان، **صوت الجياع**، ص41.

يَـا مَـنْ إلـى تَشْـرِيدِنَا قَـدْ سَـارَعُوا وَعَلَـى الرُّجُـوعِ تَخَـالَفُوا وَتَفَرَّقُـوا
هَذِي الخِيَامُ الشَّاهِدَاتُ عَلى الأسَى مَـلأى بِمَـنْ بِـأكُفِكُمْ قَـدْ مُزِّقُـوا
رَسَمَتْ ذِئَـابُ الغَـرْبِ أبْشَـعَ خُطَّـةٍ لِمَصِـيرِنَا وَدُعَيْتُمُـوا لِتُطبقُـوا

د- الأسد:

وهو رمز الزعامة والقوَّة كما في قول عرار من قصيدته (إذا داعبه الحب)[1]:

بِأدْغَالِـكَ يَـا زَيْتُـو نُ "بُرْمَـا" اسْتَأْسَـدِ الـذِّئْبُ

إنَّه يرمز إلى اللَّئيم الخرير قد قوي نابه فاستأسد وظلم.

وأمَّا الأفغاني، فيقول في قصيدته (نشيد فلسطين)[2]:

شَـبَابَ العُرُوبَـةِ، أُسْـدَ العَـرِيْن شَـبَابَ الجِهَـادِ، شَـبَابَ الشَـمَمْ
إلـى الثَّـأْرِ مِـنْ زُمْـرَةِ المُجْـرِمِين فَقَـدْ جَـاوَزَ الخَصْـمُ، كُـلَّ الـذِّمَمْ

وهنا يرمز إلى القوة والمنعة التي يتحلَّى بها الشباب الثائر للقصاص من المجرمين. وقال في قصيدة (الثائر)[3]:

وَتَصَـدَّى اللَّيْـثُ يَحْمِـي (الحَرَمَـا) مِـنْ دَخِيـلٍ ظَـالِمٍ مُخْـتَلِسِ

إنَّه يرمز إلى الإنسان القوي الذي يهب فداءً لوطنه، بالأسد.

هـ- أسماء حيوانات متفرِّقة:

1- الكلاب:

تُضرب مثالاً للنَّذالة والخسَّة، كقول عرار في قصيدة (إلى برفين)[4]:

إنَّ الـذِين وَصـفتهم لَـمْ يَـنهمهم عمَّـا أتُـوا شَـرَفٌ يَعِـزُّ وَدِيـنُ
هُـم كـالكِلابِ فَـإنْ سَـمِعْتِ نِبَـاحَهُم فَتَـذَرَّعِي بِالصَّـبْرِ يَـا بـرفينُ

وهنا يرمز لأولئك الذين تنصَّلوا من الأدب والشَّرف، بالكلاب الضَّالة، ويطلب منهم التجمُّل بالصَّبر على سوء الأدب.

([1]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص111.

([2]) الأفغاني، **الديوان**، ص50.

([3]) الأفغاني، **الديوان**، ص144.

([4]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص514.

وفي قصيدة أخرى يصف عرار أصحابه، وبعض أقاربه بأنَّ كلامهم كذب وهم كالكلاب في ضعفها، ففي قصيدة (يقول لي الأقارب)، يقول[1]:

يَقُــولُ لِــي الأقَــارِبُ وَالصِّــحَابِ رُوَيْــدكَ، سَــوفَ يَقْتُلُــكَ الشَّــرَابُ
ظَنَنْــتهُم أُســودَ شَــرَىً وإذْ بِــي ببيِّــنِهِم* ومَيْــنِهِم** الكــلاب

2- الأفاعي:

وقد جاءت للدِّلالة على الأعداء، وهي رمز للطَّامعين المستغلِّين لخيرات الأرض وأعوانهم. يقول عرار في قصيدته (أنفاس عيد الفصح)[2]:

كُــلُّ مَــا أرْجُــوهُ لَــوْ أنَّ مُنَــى عَــاثِرِ الجَــدِّ إذا يَرْجُــو تَصِــحُّ
أن أرَى لِــي بَيْــتَ شَــعْرٍ حَوْلَهُــ ـنَّ شَـلايَا قَوْمِـكِ السَّـرحانِ سَـرَحُ
فِــي فَــلاةٍ لَــيْسَ للعلــجِ* بِهَــا حَيَّــةٌ تَسْــعَىْ، وثُعْبَــانٌ يَفُــحُّ**

وأمنية الشاعر- ولو أنَّه عاثر الحظ- بيتٌ من الشَعَر حوله عدد من غنم السّرحان تسرح، وأن لا يرى للأعجمي الغريب عيوناً تسعى بين النَّاس وتنفث سمّها القاتل بينهم.

3- القرد:

ويرمز إلى التعاسة والبؤس والفاقة، يقول الأفغاني في قصيدته (ناديت... ولكن)[3]:

يَا أحْمَدُ الشَّرْعِ، ضَاعَ الشِّعْرُ فِي زَمَنٍ القِـرْدُ فِيـهِ يُسَـاوِي رَهْـطَ غُـزْلانِ!
فَعَصْــرُنَا عَصْــرُ تَــدْجِيلٍ وزَعْبَــرةٍ وَعَصـرُنا، عَصـرُ آفَّـاكٍ، وزُعْـرَانِ!

([1]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص115.

* بينّهم: الواضح.

** مينهم: كذبهم.

([2]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص160-161.

* العِلج: من كفار العرب العجم. ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص858.

** فح الثعبان: تنفس قبل أن ينفث سمّه. ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص1056.

([3]) الأفغاني، **الديوان**، ص102.

فهنا يخاف الشَّاعر على ضياع الشعر، في وقت تحطم القيم، وفي وقت كثر فيه الشطَّار، وأصبح التَّافه يساوي أضعاف ذي العِلْية والجاه.

4- الفئران:

وترمز إلى الدَّناءة والسَّلبيّة في الأمور، وفي ذلك يقول الأفغاني في قصيدته (أيُّها النائمون)[1]:

يَـا نَـائِمِينَ عَلَـى المَذَلَّـةِ! حَسْـبُكُم هَــذَا الرُّقَــادُ، أَلَسْــتُمُوا أَحْيَــاء؟!
فِـــي كُـــلِّ يَـــومٍ لِلعَـــدُوِ مَكْيَـــدَةٌ وَالكُـلُّ فِـي لَعِـبٍ! صَـبَاحَ مَسَـاءْ
والفَـأرُ أَصْـبَحَ ضَـيْغَمَاً فِـي أَرْضِـكُم وَطَغَـى اللَّئِـيمُ، بِلُؤْمِـهِ، وأَسَـاءْ

فهو ينبِّه إلى خطورة تخاذل الأمّة، وجلوسها متقاعسة عن قضيتها، والعدو سادر في غيِّه صباح مساء، وأصبح العدو اللَّئيم الذي يشبه الفأر حقارة ودناءة كالضيغم الأسد الهصور في أرضكم يصول ويجول دون رادع.

3- رموز الطُّيور والحشرات:

لقد استخدم الشُّعراء الطُّيور رمزاً للشعوب المهاجرة أو العائدة إلى فلسطين، وأحال الرَّمزُ كذلك إلى الإنسان المعذَّب، ومن هذه الطيور:

1. العصفور:

وهوي رمز للحريّة والانطلاق من الأسر، وكذلك للدِّلالة على الحبِّ، ورَمَزَت أيضاً للَّاجئ الفلسطيني مع معاني الحزن والتفاؤل والأمل، كقول الأفغاني في قصيدة (على أوطاني)[2]:

وَلَكُـمْ شَـدَوْتُ مَـعَ الطُّيـورِ قَصَـائِداً فيهـا أريـجُ العِطْـرِ، مِـن عَمَّـانِ
يَـا شَـاعِرِي هِـيَ ذِكْرَيَـاتٌ حُلْـوَةٌ قَـدْ عَاودَتْـكَ لِجَنَّـةِ الـرَّحْمَنِ

وقد رمز إلى الحياة الحلوة في بلاده مع الأطيار والصَّوت الشَّجيّ، وبقيت تلك اللَّحظات ومضات حلوة في حياته، حيث شبَّه ترنُّم الشعراء بالقصائد بشدو العصافير.

([1]) الأفغاني، **الديوان**، ص93.

([2]) الأفغاني، **الديوان**، ص164.

2. الحمامة:

وأهم دلالالتها عند الشُّعراء أنَّها رمز للحبّ والسَّلام والحزن، كقول الشَّاعر مؤيد إبراهيم الإيراني في قصيدته (يا حبيبي)[1]:

يَـــا حَمَـــامَ الأرَاكِ يَكْفِـــي هَـــدِيلاً أرأيـــتَ النُّـــوَاحَ يَشْـــفِي غَلِـــيلاً؟

أمْ رَأيْتَ العَلِيلَ يُجْدِي عَلِيلاً؟

فُرُوَيْـــــدَاً فَالحُـــــبُّ دَاءٌ عَيَـــــاءٌ وَكِلانَـــا يَـــا طَـــائِرُ فِيـــهِ سَـــوَاءُ

وقد رمز إلى هديل الحمام بالنّواح، وهو ينوح لبعده عن وطنه، وقد غدا والطَّير سواء.

3. العندليب:

ويرمز إلى الصَّوت الشَّجيّ، وقد يرمز إلى النّواح على الأحباب والأوطان، يقول مؤيد إبراهيم الإيراني في قصيدته (الأرق)[2]:

الليـلُ أهـدأ مَـا يَكُـونُ وَمَـا سِـوَى صَوْتِ السُّكُونِ الجَّمِ يَطْرُقُ مَسْمَعِي

أو صَوْتُ قَلْبِي تَحتَ أذْيَالِ الدُّجَى يَبْكِـي عَلَـى أمَـلٍ إلَيْـهِ قَـدْ نُعِـي

أو صَـوتُ نَـوحِ العَنـدلِيبِ وَيَـا لَـهُ مِـــن مُطْـــرِبٍ بِنُوَاحِـــهِ المُنْقَطِـــعِ

يُصْـــغِي إلَـــى أنَّـــاتِ قَلْبِـــي تَـــارَةً وإلَـــى بُكَـــايَ وَتَـــارَةً يَبْكِـــي مَعِـــي

ويطرق صوت العندليب ونواحه السُّكون المقيم، والقلب المصدوع بالفراق، ويتجاوب صداه مع أحزان القلب المكلوم.

وفي قصيدة أخرى بعنوان (تحت أذيال الظَّلام) ينادي الشَّاعر العندليب كي يشجو بطرب، عَلَّ صوته يجذب أحباءه، والشَّجو هو رمز الحياة السَّعيدة، قال[3]:

إيـــهٍ يَـــا عَنْـــدَلِيبُ غَـــنِّ وَغَـــنِّ فَعَسَـــى تَجْـــذِبُ الحَبِيـــبَ بِلَحْـــنِ

([1]) الإيراني، مؤيد إبراهيم، (1931م)، **الدموع**، مطبعة الجميل، حيفا، ص73.

([2]) الإيراني، **الدموع**، ص81.

([3]) الإيراني، **الدموع**، ص75.

4- الرموز النباتيّة:

لقد استخدم الشُّعراء الأردنيون الرُّموز النباتيّة دلالة على الأرض، موطن الخصب والنَّماء، ومن أبرزها:

1. الشَّجرة:

وتدل على العطاء "والتَّجدُّد ورمز للخلود"[1]. يقول تيسير السبول في ديوانه (أحزان صحراوية)[2]:

أيُّ سِرٍّ سَحِيقْ
أنت والكِبْرِيَاء
آن أن تَرْحَلا
فالمَسَاءُ ينتظرْ... والشَّجَرْ
مَدَّ أيْدِيهِ عَاشِقاً
سَائِلاً أنْ تَعُودْ
لِنَسوغَ الجُدُودْ

2. رمز الوردة:

وهي رمز للحب ونضارة الخدود وسعادة الدُّنيا، وإذا ذبلت دلَّت على عكس ذلك. ويقول الشَّاعر، عرار في قصيدته (بقايا ألحان وأشجان)[3]:

خَـدَّاكِ يَـا بِنْـتُ مِـن دَحْنُـونِ دِيرتِنَـا رُوحِـي فِدَاءُ الخُدَيْدِ الأحْمَرِ القَانِي

الدحنون الأحمر رمز للجمال، والورد رمز إلى النَّضارة والشَّباب التي تعلو محيا محبوبته.

وفي قصيدة أخرى بعنوان (أمِنْ شاشانيّة؟)، يقول[4]:

"أمِـــنْ شَشَـــنِيَّة" تَهْـــدِي الـــدِّيَارَا وَبِنْـــتُ العُجْـــمِ تَمْنَعُنَـــا المَـــزَارَا
وَرُبَّـــة شَرْكَسِـــيَّةٍ قَبـــلَ "بيبـــي" "بِـــوَادِي السِّـــيرِ" زَارَتْنَـــا افْتِخَـــارَا

([1]) عجينة، **موسوعة أساطير العرب**، ص280.

([2]) السبول، تيسير، (1998م)، **الأعمال الكاملة**، ط1، دار أزمنة، عمان، ص118.

([3]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص371.

([4]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص228.

لِنَقْطِــفَ مِــنْ جَنَــانِ الخَــدِّ وَرْدَاً وَرُمَانــاً مِــنَ النَّهْــدِ المُــوَارِى

أمَّا الشَّاعر الأفغاني، فيرمز بالوردة إلى الأرض، وإلى فلسطين، ولا يرى الورد وشذاه العبق غير بعض شذا فلسطين ورباها، ففي قصيدته (روحي فداك)، يقول[1]:

مَــا الــوَرْدُ؟ مَــا النِّسْــرِينُ؟ مَــا زَهْــرُ الرِّيَــاض... سِــوَى شَــذَاكِ

وَرُبَــــاكِ، وَحْــــدَكِ، جَنَّتِــــي للهِ مَــــا أَبْهَــــى... رُبَــــاكِ

فهو يتغنَّى بفلسطين، ويعتبر رائحتها (شذاها) مثل الورد النِّسرين، وزهر الرياض ألذّ من كل أنواع الورود رائحة.

3. النخيل:

ترمز إلى الرفعة وعلو الشأن، وترمز النَّخلة إلى الخلود، وهي رمز الشَّباب الحيّ، وترمز أيضاً إلى أرض العرب لكثرة وجودها فيها، "والشَّاعر العربي حديثاً يصف بأنَّها أرض عربيّة"[2].

يقول الشَّاعر محمَّد البدور في قصيدته (مرايا الضَّرير)[3]:

كَانَ جَدِّي مِثْلَ جَدِّكَ
يَعْشَقُ اللَّيْلَ وَسُمَّارَ اللَّيَالِي
هَزَّ جِذْعَ النَّخْلِ يَوْماً بِيَدَيْهِ
قَالَ يَا نَخْلُ عَطِشْنَا
ثُمَّ مَاتَ
قَبْلَ أنْ يَبْتَلَّ رِيْقُهُ

وهزَّ جذع النَّخل رمز قرآني يشير إلى المساعدة والقوة طلباً لاستمرار الحياة، وقد رمز بالموت إلى انقطاع الأمل والإحساس بحدّة المفارقة، فقد مات الجدّ دون أن يبتلَّ ريقه من ماء وطنه فلسطين الذي فارقه إلى الأبد.

([1]) عجينة، **موسوعة أساطير العرب**، ص278.

([2]) الخطيب، أحمد، (1994م)، **مرايا الضرير**، عمَّان، ص41.

([3]) الخطيب، **مرايا الضرير**، ص41.

5- الرُّموز الأسطوريّة:

لقد استفاد الشُّعراء الأردنيون من الرُّموز الأسطوريّة اليونانيّة، والرومانيّة، والأساطير المصريّة، وحضارة ما بين النهرين، "ويرى بعض النقَّاد أنَّ استخدام الرَّمز الأسطوري من معالم القصيدة الحديثة وممتلكاتها"[1]، والرُّموز الأسطوريّة في التراث العربي، ومن أبرز الرموز (نيرون) الذي أحرق روما، كما جاء في قصيدة (تاريخ البطولة) للشاعر الأفغاني، يقول[2]:

إيـــهٍ فَرَنْسَـــا... ذَبِّحِـــي أو قَتِّلِـــي وَعَلـــى رُؤُوسِ الآمِنِـــينَ فَهَـــدِّمِي
لا تَرْحَمِـــي شَـــيْخَاً، ولا امْـــرَأةً، وَلا طِفْـلاً رَضِـيعَاً... مـرّة، لا تَرْحَمِـي
"نَيْـرُونُ" أشْـرَف مِنْـكِ فِـي آثامِـه فَتَرَسَّـمِي سُـبَلَ الـدَّمَارِ... تَرَسَّـمِي

وقد اتَّخذ من (نيرون) رمزاً للدَّمار والهلاك وإحراق الأرض، وتدمير الدِّيار، وكذلك فعلت فرنسا في الجزائر.

وفي ذلك يقول عرار في قصيدته (بين الخرابيش- منيّة المتمنِّي)، وفيها إشارة إلى الأسطورة القائلة: "إنَّ لكلِّ شاعر شيطاناً يوحي له بالشِّعر"[3].

لَيْـتَ الوُقُـوفَ بِـوَادِي السَّـيْرِ إجْبَـارِي وَلَيْـتَ جَـارَكَ يَـا وَادِي الشِّـتَا جَـارِي
لَعَلَّنِـي مِـن رُؤَى وَجْـدِي القَـدِيمِ بِـهِ أرْتَـادُ مَسَّـاً لِجِنِّيَّـاتِ أشْـعَارِي

وفي قوله (جنِّيَّات أشعاري) رمز لإسناد موهبة الشِّعر إلى الجن.

كذلك يقول إبراهيم طوقان في ردِّه على الشَّاعر الصهيوني (فَحَيَّاك بيَّالك)؛ الذي عاب على العرب بأمّهم هاجر، والتي كانت قد أهدتها سارة إلى أبينا إبراهيم عليه السلام، وقد أنجبت إسماعيل جدّ العرب، وبعد فترة أنجبت سارة العجوز (إسحاق) جد اليهود، قال[4]:

"هَـــاجَرُ" أُمُّنَـــا وَلُـــودٌ رُؤُومٌ لا حَسُـــودٌ وَلا عَجُـــوزٌ عَقِـــيمٌ
"يُوسُـــفُ" بَاعَـــهُ أبُـــوكُمْ "يَهُـــوذَا" إنَّ حُـــبَّ الـــدُّنْيَا فِـــيكُمْ قَـــدِيمٌ

([1]) داود، **الأسطورة في الشعر العربي الحديث**، ص19.

([2]) الأفغاني، **الديوان**، ص126.

([3]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص231.

([4]) الزعبي، **البدوي الملثَّم**، ص189.

"وَشِكِسْـــبِيرُ" خَالـــدُ القَـــوْلِ فِـــيكُمْ أمْـرُ "شَـيْلُوخَ" فِـي الـوَرَى مَعْلُـومُ
غَيْــرَ أنَّ الــذينَ مِــنْهُم شِكِسْــبِيرُ تَنَاسُـــوا مَـــا قَـــالَ ذَاكَ العَظِـــيمُ

وقد رمز إلى قصّة هاجر وابنها إسماعيل، وكذلك إلى الرَّمز القرآني في قصّة يوسف والجبّ، وكذلك إلى قصة شيلوخ وتاجر البندقيّة، وكلّها أساطير ذات دِلالات رمزيّة.

أمَّا قصيدة (الحبشي الذَّبيح) للشَّاعر إبراهيم طوقان، فقد رمز فيها إلى الأُمم المغلوبة على أمرها، ونحر الدِّيك الحبشيّ، هو نحر الأُمم المقهورة على مذابح الشُّعوب القويّة، وفيها يقول[1]:

بَرَقَـــتْ لَـــهُ مَسْـــنُونَةٌ تَتَلَهَّـــبُ أمْضَـى مِـنَ القَـدرِ المُتَـاحِ وأغْلَـبُ
حَـزَّتْ فَـلا حَـدُّ الحَدِيـدِ مُخَضَّـبٌ بِـدَمٍ وَلا نَحْـرُ الـذَّبِيحِ مُخَضَّـبُ
وَجَـرَى يَصِـيحُ مُصَـفِّقَاً حِينَـاً فَـلا بَصَـرٌ يَـزُوغُ وَلا خُطَـى تَتَنَكَّـبُ
قَـالُوا حَـلاوَةُ رُوحِـه رَقَصَـتْ بِـهِ فـأجَبْتهُم "مَـا كُـلُّ رَقْـصٍ يُطْـرِبُ"
إنَّ الحَـــلاوَةَ فِـــي فَـــمٍ مُـــتَلَمِّظٍ شَـرَهَاً لِيَشْـرَبَ مَـا الضَّـحِيَّةُ تَسْكُبُ
هِـيَ فَرْحَـةُ العِيْـدِ التـي قَامَـتْ عَلـى أَلَـمِ الحَيَـاةِ، وُكُـلُّ عِيـدٍ طَيِّـبُ

وهو بذلك يرمز إلى العذاب الأليم الذي أحاق بالشَّعب الفلسطيني، وفرحة الصهيونيّة التي قامت على تعاستهم وتشرُّدهم في البلدان.

ب- التناص:

التناص لغةً واصطلاحاً:

التناص لغةً: يرجع الجذر اللُّغوي إلى (نص، نصص)، ومن دلالته اللُّغوية الرَّفع والظُّهور. فالنص: رفعك الشيء. ونصَّ الحديث ينصّه نصَّاً: رفعه. وكل ما أُظهر فقد نُصَّ، والمِنَصَّة: ما تُظْهَرُ عليه العروس لتُرى.

([1]) طوقان، إبراهيم، الديوان، ص168.

ومنه قولهم: نصصت المتاع، إذا جعلت بعضه فوق بعض، ونصَّ الرَّجل نصَّاً: إذا سأله عن شيء حتَّى يستقصي ما عنده، ونصَّ كل شيء: منتهاه[1].

وقد جاء في (تاج العروس) للزبيدي قوله: "تناص القوم: ازدحموا"[2].

قال امرؤ القيس[3]:

وَجِيْدٍ كَجيدِ الرئمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلا بِمُعَطَّلِ

ويقول الأخطل[4]:

ألا طَرَقَت أرْوَى الرِّجَالَ وَصُحْبَتِي بِأرْضٍ تُنَاصِي الحَزْنُ مِنْهَا سُهُولَهَا

ففي البيت الأول جاء نصّته: رفعته، وفي البيت الثاني: تداخل الأرض المتعرِّجة مع السَّهلة.

التناص اصطلاحاً: جاء في نظرية النص لـ (رولان بارت)، "أنَّ التناص يدخل في كل مجالات الحياة، وهو ميدان لتداخل ثقافات متعدِّدة في حوار ومحاكاة ساخرة وتعارض"[5].

([1]) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (نصص)؛ ج14، ص163؛ انظر: الزَّمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، (1979م)، **أساس البلاغة**، دار صادر- بيروت، لبنان، مادة (نصص)، ص635-636.

([2]) الزّبيدي، محمَّد بن محمَّد بن عبد الرازق الحسني، (1979م)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، ط1، مطبعة الكويت، مادة (نصص)، ج19، ص182.

([3]) الكندي، امرؤ القيس، (1969م)، **الديوان**، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار المعارف- مصر، ص16.

([4]) السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين، (1966م)، **شعر الأخطل**، دار الفكر- بيروت، ص406.

([5]) بارت، رولان، (1991م)، **نقد وحقيقة**، ترجمة منذر عياش، ط1، دار الأرض- الرِّياض، السعودية، ص19.

يقول الإمام علي- كرَّم الله وجهه- "لولا أنَّ الكلام يعاد لنفذ"[1]. ويقصد بذلك أنَّ الكلام يُعاد، وتشكِّل هذه الإعادة عنصر الوجود لكلامنا اليوم التي لولاها لانعدم الكلام.

وسئِل المتنبي عن توارد الأفكار بين شاعرين يتَّفقان في المعنى، ويتواردان في اللَّفظ، فقال: "الشِّعر جادة وربَّما وقع الحافر على موضع الحافر"[2]. وكذلك فعل أبو عمرو بن العلاء، عندما سئِل عن الموضع ذاته، فأجاب: "تلك عقول رجال توافقت ألسنتها"[3].

يقول الجرجاني ملوِّحاً بالسَّرقات الأدبيّة بأنَّها: "داءٌ قديمٌ وعيبٌ عتيق، وما زال الشَّاعر يستعين بخاطر الآخر ويستمدّ من قريحته، ويعتمد على معناه ولفظه"[4]. وهذا ما يشير إلى حتميّة التداخل في النص بغض النَّظر عن الحسن أو القبح فيه.

ويرى الجاحظ، "أنَّ الشَّاعر مهما جاء بتشبيهات عجيبة وغريبة، فلا بُدَّ أنَّه استوحاها من شعراء سبقوه، واستعان بألفاظهم ومعانيهم، وجعل من نفسه شريكاً فيها"[5].

وأيَّدهُ بذلك ابن قتيبة الذي يرى أنَّ "الشَّاعر هو امتداد لأصوات السَّابقين من الشُّعراء الذين حفظ أشعارهم، فمكن له أن يكون نابغاً وبارعاً"[6].

ومن مصطلحات التناص ما يلي:

([1]) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله، (1952م)، **الصناعتين**، تحقيق: علي محمَّد البجاوي، ومحمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، ص196.

([2]) طبانة، بدوي، (1969م)، **السَّرقات الأدبيّة**، ط1، مكتبة الأنجلو- مصرية- القاهرة، ص36.

([3]) طبانة، **السَّرقات الأدبيّة**، ص36.

([4]) الجرجاني، علي بن عبد العزيز، (1966م)، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، دار القلم- بيروت، ص16.

([5]) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (1969م)، **الحيوان**، تحقيق: عبد السَّلام محمَّد هارون، ط3، بيروت، لبنان، ج3، ص311.

([6]) عبد الحفيظ، عبد السَّلام، (1978م)، **نقد الشِّعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلويّ**، ط1، دار الفكر العربي- القاهرة، مصر، ص266.

أ- التضمين:

وهو "استعارتك الأنصاف والأبيات من شعر غيرك وإدخالك إيَّاه في أثناء أبيات قصيدتك"[1].

يقول الشَّاعر- عرار- في قصيدته (أنفاس عيد الفصح)[2]:

مَـــوْطِنِي الأرْدُنُّ لكِنِّـــي بِـــهِ كُلَّمَـا دَاوَيْـتُ جُرْحَـاً سَـالَ جُـرْحُ

وعجز البيت لفتح الله النحَّاس، وأصل البيت هو:

كَـمْ أُدَاوِي القَلْـبَ، قَلَّـتْ حِيْلَتِـي كُلَّمَـا دَاوَيْـتُ جُرْحَـاً سَـالَ جُـرْحُ

ويستحضر الشَّاعر- عرار- أيضاً أبياتاً من بردة البوصيري المشهورة، إذْ قال في قصيدته (ما لي وللبان) [3]:

مَـا لـي لِلْبَـانِ والـزَّوْراءِ والعَلَـمِ وَالبَـرْقُ يُـومِضُ بِالعَلْيَـاءِ مِـنْ إضَـمِ

جِيـرانُ وَادِي الشِّـتَا، يَـا نَـاسُ أبْغَضَـهُم أحَـبُّ لِلْقَلْـبِ مِـنْ جِيـرانِ ذِي سَـلَمِ

وأمَّا أبيات البوصيري التي استحضرها الشَّاعر، فهي[4]:

أمِـنْ تَـذَكّرِ جِيـرانٍ بِـذِي سَـلَمٍ مَزَجَـتْ دَمْعَـاً جَـرَى مِـنْ مُقْلَـةٍ بَـدَمِ

أمْ هَبَّـتِ الـرِّيحُ مِـنْ تِلْقَـاءِ كَاظِمَـةٍ وَأوْمَضَ البَرْقُ فِـي الظَّلْمَـاءِ مِنْ إضَمِ

لَولا الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلى طَلَلٍ وَلا أرِقْـتُ لِـذِكْرِ البَـانِ والعَلَـمِ

ويبدو لي إضافة إلى ما سبق، أنَّ عراراً يردّ بهذه الأبيات على قصيدة للملك عبدالله بن الحسين التي يحنُّ فيها إلى الدِّيار الحجازيّة، ومنها[5]:

([1]) الجاحظ، **الحيوان**، ص311.

([2]) ديوان عرار، ص160؛ انظر: ابن معصوم، السيد علي صدر الدين المدني المعروف بابن معصوم، **سلافة العصر في محاسن الشعراء لكل مصر**، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، ص277.

([3]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص317.

([4]) البوصيري، شرف الدِّين أبو عبدالله محمَّد بن سعيد، (1955م)، **ديوان البوصيري**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مصر، ط1، ص190-191.

([5]) ظبيان، تيسير، (1967م)، **الملك عبدالله كما عرفته**، ط1، المطبعة الوطنية، عمان، ص101.

سَحَّتْ سَحَابَةُ شِعْرٍ فَاضَ عَنْ أَلَمٍ لِطُولِ عَهْدٍ مَضَى عَنْ جِيرَةِ الحَرَمِ
وَأَقْبَلَتْ وَهْيَ عَجْلَى تَجْتَلِي خَبَرَاً عَنِ الأحِبَّةِ إِذْ كَانَتْ بِذِي سَلَمِ

وقد عانى عرار من قومه وأهله حتَّى غدا جسداً يذوب، وروحاً تحترق، ونفساً عافت النَّاس وزهدت فيهم، وكفرت بهم، بعد أن سبرت غورهم وخبرت حقيقتهم، قال قصيدته (معروف الرَّصافي ثان)[1]:

لَقَدْ تَنَكَّرَ لِي أَهْلِي وأَنْكَرَنِي صَحْبِي وأَقْرَبُ مَنْ أَدْنَيْتُ أَقْصَانِي
فَهَاكَنِي كَيَتَامَى "الزُّطِّ" لا أَمَلٌ وَلا أَخٌ وَلا أَبٌ أَوْ أُمٌّ تَرْعَانِي

أمَّا قول عرار للأطبَّاء في أحد مستشفيات عمَّان، يتداوى بغير التي كانت هي الدَّاء، ومن نفس القصيدة السابقة:

قَالَ الأَطِبَاءُ، لا تَشْرَبْ، فَقُلْتُ لَهُم الشُّرْبُ لا الطِّبُ شَافَانِي وعَافَانِي

وهذا يتطابق مع قول المتنبي في قصيدته (الحمى)[2]:

يَقُولُ لِي الطَبِيبُ أَكَلْتَ شَيْئَاً وَدَاؤُكَ فِي شَرَابِكَ والطَّعَامِ
وَمَا فِي طِبِّهِ أَنِّي جَوَادٌ أَضَرَّ بِجِسْمِهِ طُوْلُ الجَمامِ

وفي قصيدة أخرى بعنوان (بقايا ألحان وأشجان)، يقول عرار[3]:

لَوْلا الهَوَى لَمْ أُرِقْ دَمْعَاً عَلى طَلَلٍ ولا حَنَنْتُ إلى أَطْلالِ عَمَّانَ

وصدر البيت للبوصيري من قصيدته المشهورة (بالبردة)- كما أسلفت-، وهو قوله[4]:

لَوْلا الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلى طَلَلٍ وَلا أَرِقْتُ لِذِكْرِ البَانِ والعَلَمِ

وقول عرار أيضاً من نفس القصيدة (بقايا ألحان وأشجان)[5]:

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنَ لَمْ تَسْتَبِحْ أَبِلِي "عَرْصٌ" من الشَّامِ أو "عَكْرُوتُ" لُبْنَانِي

([1]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص363.

([2]) المتنبي، أبو الطيب، (1997م)، **ديوان أبي الطيب المتنبي**، شرح أبو البقاء العكبري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ج4، ص145-148.

([3]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص377.

([4]) البوصيري، **ديوان البصيري**، ص190-191.

([5]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص379.

وصدر البيت لقريض بن أنيف، وهو شاعر أسلامي من قصيدة له في "ديوان الحماسة"، قال[1]:

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنَ لَمْ تَسْتَبِحْ أبِلِي بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بن شَيْبَانِ
إذَاً لَقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرٌ خُشُنٌ عِنْدَ الحَفِيظَةِ إنْ ذُو لُوْثَةٍ لانَا

أمَّا قول عرار من القصيدة ذاتها[2]:

لَسَوْفَ يَسْمَعُ حَتَّى الصمُّ من غُرَرِي آيَاتِ تَلْفُظُهَا أفْوَاهُ خُرْسَانِ

وفي هذا البيت يلتفت الشاعر إلى بيت المتنبي[3]:

أنَا الذِي نَظَرَ الأعْمَى إلى أدَبِي وَأسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ

ب- التلميح:

وهو "أن يشار إلى قصة أو شعر من غير ذكره"[4]، وهذه المصطلحات مع تقاربها مع المفهوم المعاصر للتناص، سواء بتضمين النص القرآني، أو الحديث الشَّريف، أو الإشارة، فإنَّها تُعدُّ حاملة لبذور التناص، ولكنَّها لا تستوفي المفهوم بأكمله دلاليَّاً وإجرائيَّاً.

ج- الاقتباس:

"وهو أن تضمِّن الكلام شيئاً من القرآن الكريم، أو الحديث الشَّريف، لا على أنَّه منه"[5]. والقرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشَّريف نموذجان "أعلى للكمال والجمال اللُّغوي"[1].

([1]) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، (1955م)، ديوان الحماسة، علَّق عليه وراجعه: عبد المنعم خفاجي، مصر، ج1، ص17؛ ورد بديوان أبي الطيب المتنبي، شرح أبي البقاء العكبري، ج3، ص367.

([2]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص382.

([3]) أبو تمام، (1983م)، **الحماسة**، تحقيق: عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان، دار اللواء- الرياض، ج1، ص75.

([4]) القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص436.

([5]) العسكري، **الصناعتين**، ص47.

وعليه، فإنَّ تداول الألفاظ والمعاني من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشَّريفة لا يُعدُّ عيباً بلاغيَّاً، بخلاف التداول من نتاج الآخرين.

يشير القزويني هنا إلى فتح الأقواس والتنصيص، إلى النَّقل من القرآن الكريم عن طريق الاستشهاد "لا على أنَّه منه"، وهذا أسماه بالعقد والحل[2]، واستشهد عليه بقول الشَّاعر[3]:

أنِلْنِي بالَّذِي اسْتَقْرَضْتُ خَطَّاً وَأَشْهِدْ مَعْشَرَاً قَدْ شَاهَدُوهُ
فَإنَّ اللهَ خَلاَّقُ البَرَايَا عَنَتْ لِجَلالِ هَيْبَتِهِ الوُجُوهُ
يَقُولُ إذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إلى أجَلٍ مُسَمَّى فَاكْتُبُوهُ

والبيت الأخير يكشف بجلاء توظيف الشَّاعر التُّراثي للآية القرآنيّة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾[4]. فمثل هذا التوظيف أشار إليه القزويني بالعقد، بينما يُطلق على ما يقاربه في النَّقد الحديث التناص بدلالاته المتشعِّبة. أمَّا "الحل، فهو أن يُنْثَرَ نظمٌ"[5].

وشَرْطُ القزويني لقبوله أمران: "أحدهما: أن يكون حسن الموقع، مستقرَّاً في محل غير قلق، والثاني: أنْ يكون سبكه مختاراً، لا يتقاصر عن سبك أصله"[6]، وهذا إشارة إلى عدم الإقحام.

ولنأخذ الألفاظ الدينيّة التي جاءت تضميناً في شعر عبد المنعم الرِّفاعي مثلاً، وقد اقتبس بعضها من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله في قصيدة (نور الهدى)[7]:

اللهُ أرسَلَهُ بِالحَقِّ فَانْبَلَجَتْ مِنْ سِدْرَةِ المُنْتَهَى آيَاتُهُ الغُرَرُ

([1]) حافظ، صبري، (1996م)، **أفق الخطاب النقدي**، ط1، دار شرقيات– القاهرة، مصر، ص62.

([2]) القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص436.

([3]) القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص433.

([4]) سورة البقرة، الآية (282).

([5]) القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص435.

([6]) القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص435.

([7]) أحمد، محمَّد موسى، **عبد المنعم الرِّفاعي**، ص167.

وقد اقتبس ذلك من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1].

وقوله في قصيدة (الأمة المجاهدة)[2]:

فِـي جَنَّـاتٍ تَفُـوحُ بِـالأَرَجِ الزَّاكِـي وَتَجْـرِي مِـنْ تَحْتِهَـا الأَنْهَـارُ

من قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[3].

وقوله في قصيدة (الهجرة)[4]:

يَـــذْكُرُ اللهَ بَكْـــرَةً وَعَشِـــيَّاً

من قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[5].

وقوله في قصيدة (الوحي)[6]:

طَـهَ واسْـمَعْ عِنْـدَ ذِكْـرِكَ آيَـةً عَقْـدَ النِّـدَاءِ جَلالُهَـا بِجَـلالِ

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿طه ۞ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[7].

التناص في النَّقد العربيّ الحديث:

"لم يَعرف النَّقد العربيّ الحديث مصطلح التناص إلاَّ في العقود الأخيرة، حيث عُدَّ من المفهومات المحدثة في الكتابات النقدية العربية"[8]، وقد شاب هذا التعريف

([1]) سورة التوبة، الآية (33).

([2]) أحمد، **عبد المنعم الرفاعي**، ص167.

([3]) سورة الصف، الآية (12).

([4]) أحمد، **عبد المنعم الرفاعي**، ص167.

([5]) سورة مريم، الآية (11).

([6]) أحمد، **عبد المنعم الرفاعي**، ص167.

([7]) سورة طه، الآيات (1 و 2).

([8]) لؤلؤة، عبد الواحد، (1994م)، "التناص في الشعر العربي المعاصر"، **مجلة الأقلام**، العدد (10)، ص27.

كثيرٌ من الخلط والتشويش والتداخل بين مفهوم التناص والمفاهيم الأخرى، مثل الأدب المقارن، والمثاقفة، ودراسة المصادر والسَّرقات[1].

"ولم تتَّفق الدَّراسات النقديّة الحديثة على مصطلح محدَّد، فقد ظهرت ترجمات للمصطلح، مثل: التناص أو التناصية، أو النصوصية، أو النص الغائب، أو النصوص المهاجرة"[2].

وبرغم الاختلاف الظَّاهر في هذه المصطلحات، إلاَّ أنَّها تتَّفق على مفهوم محدَّد هو حضور أو تداخل نصوص أخرى في نصٍّ واحدٍ جديد. ولهذا فإنَّ كل نص "هو امتصاص وتحويل لوفرة من النُّصوص الأخرى"[3]، قال بذلك (بنيس)، وقبله (باختين)، (باختين)، و (كرستيفا)، و (بارت).

ويعرِّف محمَّد مفتاح التناص بأنَّه: "تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيَّات مختلفة"[4]، ويدعو كاظم جهاد إلى الفصل بين ما يُعدُّ تناصاً وما يُعدُّ انتحالاً، وهو يؤمن "بضرورة التحويل والتعديل في النص المتناص"[5].

ويستخدم علوي الهاشمي مصطلحاً آخر يسمِّيه (التعالق النصِّي)، ويقصد به "وجود علاقة ما تربط بين نص شعري وسواه من النصوص الشِّعرية، سواء أكانت هذه العلاقة جزئيّة أم كليّة، إيجابيّة أم سلبيّة"[6].

([1]) المغيض، تركي، (1991م)، "التناص في معارضات البارودي"، **مجلة أبحاث اليرموك**- الأردن، المجلد (9)، العدد (**2**)، ص89.

([2]) المناصرة، عز الدين، (1985م)، **علم التناص المقارن**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص154-155.

([3]) بنيس، محمَّد، (1979م)، **ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقارنة بنيوية تكوينية**، دار العودة- بيروت، ص251.

([4]) مفتاح، محمَّد، (1985م)، **تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)**، ط4، المركز الثقافي العربي- بيروت، لبنان، ص125.

([5]) جهاد، كاظم، (1993م)، **أدونيس منتحلاً دراسة في الاستحواذ الأدبي والارتجاليّة الترجمة يسبقها ما هو التناص**، ط2، مكتبة مدبولي- القاهرة، مصر، ص13.

([6]) الهاشمي، علوي، (1998م)، **ظاهرة التعالق النصي في الشعر السعودي**، ط1، مؤسسة اليمامة- السعودية، ص93.

وعلى الرّغم من أنَّ (التناص) يبدو مصطلحاً جديداً، إلاَّ أنَّه مفهوم قديم، أشار إليه بعض النقَّاد العرب تحت مصطلح أسموه (التضمين)، وفصَّل هؤلاء النقَّاد في أشكاله وألوانه بشكلٍ يؤكِّد على تنبُّه التُّراث النَّقدي والبلاغي لمثل هذه الظَّاهرة مصطلحاً ومفهوماً.

وقد عرَّفه ابن الأثير، قائلاً: "وهو أن يضمِّن الشَّاعر شعره، والنَّاثر نثره كلاماً آخر لغيره قصداً للاستعانة على تأكيد المعنى المقصود"[1].

لجأ عرار إلى القرآن الكريم مرَّات عديدة، وكان يأخذ جزءاً من آية ويدمجها في ثنايا شعره، محاولاً أن يوظِّف هذا الاقتباس توظيفاً يكشف عن وعي متميِّز، يقول في قصيدته (سكر الدَّهر)[2]:

أيُّهَـــا البَـــاكي عَلَـــى أوْطَانِـــهِ لا يُـــرُدُّ الـــرُّوحَ لِلْمَيِّـــتِ نَـــوْحُ
بَـــارِكِ الظُّلْـــمَ وَصَـــفِّقْ لِـــلأذَى فَهُمَـــا نَصْـــرٌ مِـــنَ اللهِ وفَـــتْحُ

فهناك تناص مع الآية القرآنيّة مع الآية القرآنيّة ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، وقد اتَّخذ هذه الآية لإدانة واقعه، وجعل دلالتها سلبيّة، بالرُّغم من أنَّ الآية تحمل معنى إيجابيّاً، فهو يجعل الظُّلم والأذى نصراً وفتحاً.

وعليه، "ينبغي أن لا يفهم التناص على أنَّه تماثل دائماً، وإنَّما قد تتحوَّل دلالة النص الأصلي، وتتَّخذ بُعداً جديداً"[4].

فالشَّاعر يسخر من الإنسان الذي لا يعرف إلاَّ البكاء سبيلاً للدِّفاع عن الوطن، ولذلك تصبح مباركة الظلم والتصفيق للأذى معادلين للنَّصر والفتح، ومن هنا جاء التغاير بين سياق الآية الأصلي وسياقها الجديد الذي وضعت به.

([1]) ابن الأثير، ضياء الدِّين أبو الفتح نصر الله بن محمَّد، (1980م)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، (د.ط)، دار نهضة مصر – القاهرة، ج3، ص203.

([2]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص166.

([3]) سورة الصف، الآية (13).

([4]) الربابعة، موسى، (2000م)، **التناص في نماذج من الشعر العربي الحديث**، ط1، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعيّة والنشر والتوزيع، ص77.

وفي نقده لواقعه المؤلم، من قصيدة (عبود)، حيث قال[1]:

فِي مَوْطِنٍ سُكَّانُهُ عَبِيدُ
هَيْهَاتَ مِنِّي كُلُّ ما أُرِيْدُ
إنَّ غَدَاً وَمَا غُدٌ بَعِيْدٌ
لَسَوْفَ يُبْدِي بَعْضَ مَا يُعِيدُ
فَحَسْبُنَا لِبَعْضِنَا نَكِيْدُ
ضَلَّ غَوِيٌّ واهْتَدَى رَشِيدُ
إنْ فَازَ بِالغَنِيْمَةِ اليَهُودُ
فَحَوْضُهُم لا حَوْضكَ المَوْرُودُ
وَظِلُّهمُ لا ظِلِّكَ المَمْدُودُ
وَسَعْيُهُم لا سَعْيَكَ المَحْمُودُ

لقد تناص الشَّاعر – عرار – مع ثلاث آيات من القرآن الكريم، وهي: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾[2]، و ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾[3]، و ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۞ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۞ وَمَاء مَّسْكُوبٍ﴾[4]، وقد حوَّل سياق النص القرآني إلى سياق جديد، فالآية الأولى تتحَّدث عن قدرة الله تعالى في الخلق والبعث، وتحذير المشركين من التَّمادي في عصيانه والخروج على طاعته. أمَّا عرار فقد اتَّخذ منها ليكشف عن الخطر الذي سيداهم أولئك الذين لا يسمعون نصائحه.

وفي الآية الثانية، أثبت أنَّ الضَّلالة والغيّ مآلهما خطر محقَّق، وقد عبَّر عرار عنها بسوء المآل لمن لا يسمع النّصح والإرشاد.

([1]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص177.
([2]) سورة البروج، الآية (13).
([3]) سورة النجم، الآيتان (1، 2).
([4]) سورة الواقعة، الآيات (29–31).

وأمَّا الآية الثالثة، فقد نقل الشَّاعر سياقها إلى سياق جديد أيضاً، فإذا كان الظلّ الممدود من نصيب أصحاب اليمين، فإنَّه يصبح في نظره من نصيب اليهود؛ ولذلك جعل الشاعر اليهود ينعمون بالسَّعادة لأنَّ النَّاس لم يستمعوا إلى قوله وصرخاته.

ومن الملاحظ أنَّ الشاعر قد انحرف بالآيات القرآنيّة عن سياقها، وذلك من أجل إبراز سياق جديد لا علاقة له بالنص القرآني، وهنا تظهر قدرة الشاعر على تحويل النص الغائب وإعطائه بعداً جديداً.

وفي رثائه لابن عمّه (فؤاد)، يقول الشاعر عرار في قصيدته (رثاء فؤاد)[1]:

أفُـؤَادُ! مَـا الـدُّنْيَا؟ سَـرَابُ بِقيعـةٍ وَقِـحٍ يُقَعْقِـعُ فِـي مَفَـازَةِ بَـاقِعِ
إنْ تَخْـدَعِ الطَمَّـاعَ لَمعَتُـهُ فَلَـنْ تَقْـوَى عَلَـى عَبَـثٍ بِـذَقْنِ القَـانِعِ
فـارْبَعْ عَلـى ظِلْـعِ المَنِيَّـةِ، إنَّهَـا وَأَبِيْـكَ، أغْنَـى مِـنْ أغَـنِّ مَرَابِعِـي

وهنا يستلهم الشاعر معناه في البيت الأول بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[2].

فالآية الكريمة تقدِّم أعمال الكافرين كالسَّراب لا فائدة من ورائه، فالسَّراب يخدع الرَّائين، وكذا الحياة الدُّنيا الفانية.

"وعلى الرُّغم من أنَّ أبياته لا تتماثل مع فحوى النص القرآني، إلاَّ أنَّه يستلهم عبثية أعمال الكافرين، وأن ينقلها إلى سياقه ليجعلها متماثلة مع عبثيّة الحياة الدُّنيا من زاوية رؤيته الخاصة"[3].

فمن أجل أن يخضع الشاعر ما يضمن في شعره من أبيات للوزن، فإنَّه يلجأ إلى تغيير في كلمات الأبيات، ومثال ذلك قصيدة (سهاد) مهداة إلى شاعر فلسطين إبراهيم طوقان، قال[4]:

([1]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص278.

([2]) سورة النور، الآية (39).

([3]) الربابعة، **التناص في نماذج من الشعر العربي الحديث**، ص82.

([4]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص194.

وَلَــوْلا صِــغَارٌ كَزُغْــبِ القَطَــا وَمَأْسَــاةُ يُــتْمٍ وَثَــوْبُ حِــدَّادْ
وَحُزْنِــي عَلَيْــكَ جَزُوْعَــاً وَقَــدْ نَعَتْنِــي إِلَيْــكَ بَنَــاتُ المِــدَادْ
لَبِعْــتُ الحَيَــاةَ وَبَأْسَــاءَهَا بِسُــوقِ المَنَايَــا بِــأَدْنَى مَــزَادْ

وصدر البيت الأول قد ضمّنه الشاعر– عرار– حِطَّان بن المُعَلَّى الذي قال[1]:

وَلَــوْلا بُنَيَّــاتٌ كَزُغْــبِ القَطَــا رُدِدْنَ مِــن بَعْــضٍ إِلــى بَعْــضِ
لَكَــانَ لــي مُضْــطَرَبٌ وَاسِــعٌ فِـي الأَرْضِ ذَاتِ الطُـولِ والعَـرْضِ

فالشاعر عرار قد زهد في هذه الدُّنيا، ويروم نهايتها لولا صغاره الذين يمنعونه من ذلك، في حين أنَّ الشاعر حطان بن المعلى الذي أراد أن يسيح في الأرض لكن أبناءه يحولون دون هذا.

ج– **التكرار:**

استخدم الشعراء التكرار في قصائدهم لغايات فنيّة، والتكرار "ظاهرة أُسلوبيّة تستخدم لفهم النصّ الأدبيّ، وقد درسها البلاغيُّون، وتنبَّهوا إليها عند دراستهم لكثيرٍ من الشَّواهد الشِّعرية والنثريّة، وبيَّنوا فوائدها ووظائفها"[2].

وظاهرة التكرار تبدأ من الحرف، وتمتدُّ إلى الكلمة فالعبارة، فبيت الشِّعر، وبحور الشِّعر تتكوَّن من مقاطع عروضيّة متساوية، بالإضافة إلى أنَّ التفعيلات العروضيّة متكرِّرة في الأبيات، وهذه تخلق جوَّاً موسيقياً متناسقاً تثير في النَّفس إيقاعاً يثير في النَّفس انفعالاً.

يقول ابن رشيق القيرواني[3]: "وللتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني أقل من الألفاظ، فإذا تكرَّر اللَّفظ والمعنى جميعاً؛ فذلك الخذلان بعينه، ولا يحبّ الشاعر أن يكرِّر اسماً إلاَّ على جهة التشوّق والاستغراب إنْ كان في تغزُّلٍ أو نسيب".

([1]) أبو تمام، **الحماسة**، ج1، ص167.

([2]) المنصور، زهير أحمد، (د.ت)، ظاهرة التكرار في شعر أبي القاسم الشابي، دراسة أسلوبية، **مجلة أم القرى**، مجلد 3، العدد 21، ص165.

([3]) القيرواني، ابن رشيد، **العمدة**، ط2، تحقيق: محيي الدِّين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1963م، ص683.

ففي رثاء (تولستوي)[1]، يقول الشَّاعر محمَّد إسعاف النشاشيبي[2]:

يَـا رسـولَ السَّـلامِ مَـنْ لِلسَّـلامِ يَـوْمَ تُـذكِي نَـارَ الـوَغَى بِضِـرْغامِ

فقد كرَّر كلمة (السَّلام) مرَّتين، وهو يرثي هذه المدينة التي اشتعلت بنار الحرب، واكتوت بنارها.

أمَّا إبراهيم طوقان في قصيدته (الشاعر المعلم)، فقد صوَّر ما يلقاه المعلِّم من معاناةٍ ومتاعبَ وصعوباتٍ، فقال[3]:

"شَـوْقِي" يَقُـولُ وَمَـا دَرَى بِمُصِـيبَتِي "قُـمْ لِلْمُعَلِّـمِ وَفِّـهِ التَبْجِـيلا"
لَـوْ جَـرَّبَ التَّعْلِـيمَ شَـوْقِي سَـاعَةً لَقَضَـى الحَيَـاةَ شَـقَاوَةً وَخُمُـولاً
وَيَكَـادُ يَفْلِقُنِـي الأَمِيـرُ بِقَوْلِـهِ كَـادَ المُعَلِّـمُ أنْ يَكُـونَ رَسُـولاً
يَـا مَـنْ يُرِيـدُ الانْتِحَـارَ وَجَدْتُـهُ إنَّ المُعَلِّـمَ لا يَعِـيشُ طَـوِيلاً

فقد كرَّر الشَّاعر قول (شوقي) مرَّتين، و(المعلم) ثلاث مرَّات في أربعةِ أبيات، وذلك من باب التَّشوُّق والاستغراب، ورثاء لحال المعلِّم الذي يذوي لينير للآخرين دياجير الظَّلام.

ويأتي التكرار في الألفاظ والمعاني، كقول الشَّاعر خليل زقطان، وهو يصوِّر حال اللاجئين من قصيدة (قسماً بجوع اللاجئين)[4]:

أنَا قَدْ صَحَوْتُ عَلى الجِرَاحِ مِنْ بَعْضِي لِبَعْضِي
أنَا قَدْ صَحَوْتُ وَإذْ أنا مُلْقَى بِأَرْضٍ غير أَرْضِي
أنَا قَدْ صَحَوْتُ عَلى العُروبةِ تُزْدَرَى جَهْراً وتُغْضِي

وقد كرَّر عبارة (أنا قد صحوت) ثلاث مرَّات تأكيداً على الوضع الذي آل إليه اللاجئين من حالة مزرية.

([1]) **مجلة النفائس العصرية**، السنة الثالثة، 1911م، ص23.

([2]) النشاشيبي، محمَّد إسعاف، (1924م)، **الديوان**، مطبعة بيت المقدس، القدس، ص25.

([3]) طوقان، إبراهيم، **الديوان**، ص144-145.

([4]) زقطان، **صوت الجياع**، ص11.

"وقد أكَّد ابن سنان أنَّ التكرار لا يُعدُّ عيباً، إذا كان المعنى المقصود لا يتمّ إلاَّ به"[1]، فإذا لم يحقِّق التكرار هدفاً معنويَّاً أو موسيقياً لا غنى عنهما، يصبح نافلة يمكن حذفها؛ بل ويصبح مخلاً ببناء القصيدة ذاتها.

والتكرار على المستوى اللُّغوي ذو فائدة معنويّة، إذْ إنَّ إعادة ألفاظ معيَّنة في بناء القصيدة يوحي بأهميّة ما تكتسبه تلك الألفاظ من دِلالات، ممَّا يجعل ذلك التكرار مفتاحاً في بعض الأحيان لفهم القصيدة.

"فالتكرار يجب أن يأتي في العبارة في موضعٍ لا يثقلها، ولا يميل بوزنها إلى جهةٍ ما"[2]، ومثال ذلك، قول الشاعر خليل زقطان في قصيدته (فجر الدهماء)[3]:

أيُّهـــا الشَّـــرقُ! وكَـــمْ ناديتُـــهُ هَـلْ لَنـا مِـنْ عَـوْدةٍ لِلكِبْرِيَـاء؟!
كِبْرِيـــاءٌ تَسْـــحَقُ النِّيـــرَ الـــذي أخَضَـعَ الشَّـعْبَ وأعْلَـى الزُّعَمَـاء
كِبْرِيـــاءُ تَبْعَـــثُ الحِقْـــدَ عَلَـــى سَـــالِبِ الشَّـــرْقِ دمـــاءً وَثَـــراء
كِبْرِيـــاءٌ لا تَـــرَى مُسْـــتَعْمِرَاً أوْ سُـــجُوناً أو شَـــبَاباً سُـــجَنَاء

ولقد كرَّر الشاعر كلمة (الكبرياء) أربع مرَّات؛ وذلك للتركيز على أهميّة الكبرياء التي تحنو لها الرؤوس، وترفع الهامات عالياً بالعزِّ والكرامة.

وسأقف فيما يلي عند أنواع التكرار في شعر الفترة التي تقع بين 1921-1956م من شعر شعراء الأردن وفلسطين:

1- التكرار على مستوى الحرف (الصوت):

يقول الكبيسي: "وهو أبسط أنواع التكرار، وأقلّها أهميّة في الدِّلالة، وقد يلجأ إليه الشاعر بدوافع شعوريّة لتعزيز الإيقاع"[4].

ويختار الشاعر حرفاً عفواً، أو دون وعي منه، تبعاً لانفعاله النَّفسي، ومن الحروف المتكرِّرة قول عرار في قصيدته (رويداً إنَّه العيد)[1]:

([1]) الخفاجي، **سر الفصاحة**، ص92.

([2]) الملائكة، ق**ضايا الشعر المعاصر**، ص266-268.

([3]) زقطان، **صوت الجياع**، ص94.

([4]) الكبيسي، عمران حضير، (1982م)، **لغة الشِّعر العراقي المعاصر**، ط1، وكالة المطبوعات، ص144.

رُوَيْـــــدَاً إنَّـــــهُ العِيْـــــدُ وإنْ اللهَ مَوْجُـــــــــــــــــــــودُ
وَإنِّـــــي مِثْلَمـــــا قَـــــالُوا أخُـــــو نشـــــواتِ عربيـــــدُ
"سُـــــــليمى" إن بُخْلَكُـــــــمْ عَلـــــى عِلاَّتِـــــهِ جُـــــوْدُ

فقد كرَّر الشاعر الحرف (إنْ) أربع مرَّات في ثلاثة أبياتٍ من الشعر، وفي ذلك زيادة في التركيز على الوحدة، وإثبات ذاته وتأكيدها، وكذلك يركِّز على أهميّة العيد.

وهذا الشاعر محمود الأفغاني في قصيدته (على أوطاني)، يقول[2]:

أنَا قَدْ كَتَمْتُ الجُرْحَ في قَلْبِي، وفي سَمْعِي، وفـي رُوحِـي، وفـي وُجْـدَاني
أنَّـا قَـدْ كَتَمْـتُ مـع الوجِيـبِ لَـوَاعِجِي هَـــلاَّ كَتَمْـــتَ لَـــواعِجَ الأشْـــجَانِ

فقد كرَّر الحرف (في) أربع مرَّات في بيتٍ واحد، وفيه موسيقى خفيفة الظلّ، ناهيك عن تحديد مواطن كتمان الجرح وتعدادها.

وقد كرَّر الحرف (قد) مرَّتين، ممَّا يدلُّ على اليقين الذي لا يشوبه شكّ فيما يقول.

وفي قصيدة أخرى بعنوان (روحي فداك)، يكرِّر الشاعر حرف النِّداء، فيقول[3]:

يَـــا مَـــوْطِني... رُوحـــي فِـــدَاك فَـــوقَ الجميـــعِ متـــى أرَاك؟!
يَـــا مَـــوْطِني... لَـــكَ مُهْجَتِـــي درعٌ حصِـــينٌ مـــن عِـــدَاك
يَـــا مَـــوْطِني... يـــا كَعْبَتِـــي يَـــا مـــن أذُوبُ إلـــى لِقَـــاك
يَـــا مَـــوْطِني... آنَ الأوَانُ فَـــلا تَـــنَمْ عَمَّـــنْ رَمَـــاك!

فقد كرَّر الشاعر حرف النداء (يا) ست مرَّات في أربعة أبيات من الشعر، ويدلُّ ذلك على التصاقه بالوطن، وشدّة حرصه عليه، وليأخذ حذره عمَّن رماه بريب المنون.

ويظهر ممَّا سبق "أنَّ ظاهرة تكرار الحرف لها أثرها الخاص في إحداث التأثيرات النفسيّة للمتلقِّي، فهي قد تمثِّل الصوت الأخير في نفس الشاعر، أو الصوت الذي يمكن أن يصبّ فيه أحاسيسه ومشاعره عند اختيار القافية مثلاً، أو قد يرتبط ذلك بتكرار حرف داخل القصيدة الشعرية يكون له نغمته التي تطغى على النص؛ لأنَّ

([1]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص184.
([2]) الأفغاني، **ديوان الأفغاني**، ج1، ص164.
([3]) الأفغاني، **ديوان الأفغاني**، ص43.

الشيء الذي لا يختلف عليه اثنان أنَّ لا وجود لشعر موسيقي دون شيء من الإدراك العام لمعناه، أو على الأقل لنغمته الانفعالية[1].

وهذا الشاعر خليل زقطان يكرِّر الحرف (عن) عدّة مرَّات، ففي قصيدته (في العيد) يقول[2]:

في العيدِ قُلْ ما شِئْتَ عن حِرْمَانِهِ ... وشَـقَاءِ واقِعِـهِ وعَـنْ أحْكامِـهْ
وعَـنِ الخِيَـامِ وكـلِّ كَهْـفٍ مُظْلِـمٍ ... كـالقَبْرِ مُنْطَوِيَـاً عَلـى سُـكَّانِهْ
وَعَـنِ الحِسَـانِ وَقَـدْ هَجَـرْنَ مَعَـاقِلاً ... لِلطُّهْـرِ مـا شِـيْدَت لِغَيْـرِ حِسَـانِهْ
وَعَـنِ الصِّـغَارِ يُـرَدِّدونَ لِجُـوعِهِم ... مَـنْ يُطْعِـمُ البُؤَسَـاءِ مِـنْ إحْسِـانِهْ؟!
وَعَـنِ المُشَـرَّدِ حِـينَ يَـأتِي رَبْعُـهُ ... فَيُـرَدُّهُ الحُكَّـامَ عَـنْ إتْيَانِـهْ

وقد كرَّر الحرف (عن) سبع مرَّات، وهو تتبُّع مواطن القهر والبؤس في يوم فرحة وعيد. فمن الخيام التي أضحت رمزاً للتشرُّد والحرمان إلى الكهوف المظلمة التي أصبحت قصور الشُّرفاء المشرَّدين، إلى الصِّغار الذين يتضوَّرون بؤساً وجوعاً إلى المشرَّد الذي يوصد الباب أمامه من قاهريه.

2- تكرار الاسم:

وقد تعدَّدت هذه الظاهرة في شعر الشعراء الأردنيين، والشعراء الفلسطينيين في الفترة التي نحن بصددها، كقول شاعر الأردن عرار في قصيدته (مفرقة الندمان)[3]:

"كُـوخُ النَّـدامى" قَـدْ تَقَلَّـص ظِلُّـهُ ... وَعِراصُـهُ أقْـوَينَ مِـنْ نُدْمَائِـهِ
وَمَضَـتْ بِـرَبِّ الكُوخِ نَحْـوَ حِجَالِها ... خَرْقَـاءُ فـي يَـدِها زِحَـامُ عِنَانِـهِ
فَـوَدَدْتُ لَـوْ أنِّـي اسْـتَطَعْتُ حَمِيَّـةً ... "لِلْكُـوخِ" قَبْـلَ العقـد سـلَّ لِسَـانِهِ
وَارَحْمَتَـا "لِلْكُـوخِ" كَيْـفَ تَبَرَّمْـتَ ... ضَـجَرَاً صُـوَى اللَّـذَّاتِ فِـي عُنْفُوَانِـهِ
وَارَحْمَتَـا "لِلْكُـوخِ" إنَّ حُضَيْضَـهُ ... قَـدْ ضَـمَّ إشْـقَاقاً ذُرَى بُنْيَانِـهِ
وَارَحْمَتَـا "لِلْكُـوخِ" كَيْـفَ تَجَهَّمَـتْ ... مَـنْ بَعْـدِ إشْـرَاقٍ وُجُـوخُ زَمَانِـهِ

([1]) المنصور، **ظاهرة التكرار في شعر أبي القاسم الشابي، دراسة أسلوبية**، ص165.

([2]) زقطان، **صوت الجياع**، ص71.

([3]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص403

فقد كرَّر الشاعر كلمة (الكوخ) في كل بيت من الشعر، ويظهر تبرُّمه على الكوخ الذي ضمَّ أعزّ ذكرياته وأصحابه، ثمَّ آل إلى السقوط والانهيار، ويكِّر كلمة (وارحمتا) ثلاث مرَّات نادباً مكان الأحبّة والعشَّاق وذكرياتهم.

ومن منفاه في العقبة، عَنَّ لعرار أن يتوب عن شرب الخمر، وانصرف إلى القرآن وتفسيره، فمن قصيدته (توبة)، يقول[1]:

أَمَوْلاَنَـــــــــا، أَمَوْلاَنَـــــــــا هَجَرْنَـــــا الـــــدَنَّ والحَانَـــــا
أَمَوْلاَنَـــــــــا، أَمَوْلاَنَـــــــــا "بأيلـــــةَ" طـــــال مَثْوَانَـــــا

وقد كرَّر كلمة (أمولانا) أربع مرَّات في بيتين من الشعر، مظهراً استغاثته بالملك عبدالله بن الحسين– رحمه الله– وتوبته عن مجونه، وقد أرَّقه طول الفراق والنفي عن الأهل والخلاَّن.

3– تكرار الفعل:

لقد مرَّ آنفاً قول فدوى طوقان في قصيدة (مرثاة إلى النمر) قولها: (بل أنت تحلمين، تحلمين)، فقد كرَّرت الفعل مرَّتين– كما أسفلت– وكانت تروم أن يكون خبر وفاة أخيها حلماً بعيداً عن الحقيقة. كما كرَّر أخوها إبراهيم طوقان قبل وفاته حلمه الذي راوده في رؤية وطنه سالماً معافىً بقوله في قصيدة (موطني) منشداً[2]:

هـل أراك؟!

سَـــــــــالِمَا مُنَعَّمَـــــــــاً وَغَانِمًـــــــــا مُكَرَّمَـــــــــاً
هَـــــــــــــــــــلْ أرَاكَ فِـــــــــــي عُـــــــــــلاَكَ
تَبْلُـغُ السُّمَـاكَ
مَوْطِني!

وقد كرَّر الفعل المضارع (أراك) متفائلاً بالمستقبل الوضَّاء، بعد أن شرَّق وغرَّب ووطنه ملء عينيه وقلبه ولسانه، وظلَّ يتذكَّر ذلك الوطن المغصوب الذي استباحه

([1]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص325–327.

([2]) طوقان، إراهيم، **الديوان**، ص245.

العلج، وقد هاله الشعب المغلوب، والشرق المعطوب، فأرسل نشيجه شعراً باكياً؛ يخلِّد هول النكبة ويدعو إلى الثأر.

ويقول متغزِّلاً بفتاة المكتبة، وقد ملكت عليه جوارحه من قصيدة له بعنوان (في المكتبة) [1]:

مُتَعِّـــــــذِّبٌ بِنَهـــــــارِهِ حَتَّـــــى يَـــــزُورَ المكتبـــــهْ
مَـــا رُمْـــتُ أَكْثَـــرَ مِـــنْ حَـــدِيثِ طِيْـــــبُ ثَغْـــــرِكِ طَيَّبَـــــهْ
وَأَرُومُ سِـــــــنَّكِ ضـــــــاحِكَاً حتَّـــــى يَلُـــــوحَ وأَرْقُبَـــــهْ

فقد كَّرر الفعل الماضي (ما رمت، ومضارعه أروم)، حيث انتقل من الماضي إلى المضارع؛ ليبيِّن أنَّ أمله في هذه الفتاة الحسناء، لم يتغيَّر قديماً وحديثاً، وأنَّه جاد في حبِّها.

وفي قصيدة أخرى بعنوان (يوم الثلاثاء)، يقول[2]:

لاحَـــــتْ وُجُـــــوهٌ مِـــــلاحٌ خَلـــــفَ الحِجَـــــابِ صَـــــبُاحُ
لَقَـــــدْ بَخِلْـــــنَ وَلَمَّـــــا بَخِلْـــــنَ هَبَّـــــتْ رِيَـــــاحُ
هَـــــذَا نِقَـــــابٌ، وَهَـــــذَا شِـــــعْرٌ، وَهَـــــذَا وِشَـــــاحُ

وقد كرَّر الفعل الماضي (بخلن) مرَّتين؛ ليظهر مقدار جزعه أمام محاسن الصَّبايا التي أسفرت عن نقاب وشعر ووشاح في غاية الحُسن والجمال.

أمَّا في قصيدته (دعاء)، فقد كرَّر الفعل الناسخ (وليكن) ثلاث مرَّات على أمل أن يتحقَّق ما يرنو إليه، يقول[3]:

رَبِّ أَطْعِمْنِـــي غُلامـــاً شَـــاعِراً لِـــدَوَاعِي الحُسْـــنِ مِثْلِـــي مُـــذْعِنَا
وَلْـــيَكُنْ مَجْنُـــونَ لَيْلَـــى، وَلْـــيَكُنْ طَيِّـــبَ القَلْـــبِ ظَرِيفَـــاً لَسِـــنَا
وَلْـــيَكُنْ مِثْـــلَ أَبِيْـــهِ، إِنَّنَـــا لَـــمْ نُـــوَقِّرْ غَـــادَةً فـــي شِـــعْرِنَا

فقد تمنَّى غلاماً مثله في الحسن والإبداع والقريحة الشِّعريّة.

([1]) طوقان، إبراهيم، **الديوان**، ص94.

([2]) طوقان، إبراهيم، **الديوان**، ص155.

([3]) طوقان، إبراهيم، **الديوان**، ص284.

ومن تأكيد اللَّفظة الواحدة، نرى عبد المنعم الرفاعي في قصيدته (عند النيل) سنة 1942م، يقول[1]:

حَـــدِّثِينِي، حَـــدِّثِينِي إنَّ فِـــي صَوْتِكِ الحَانِي صَدى رحبَ المَعَانِي
بِـكِ مَـا بِـي.. فَكِلاَنَـا (مُتْعَـبٌ) وَكِلاَنَـا مِـن أسَـى البُعْـدِ يُعَـانِي

فهو يكرِّر فعل الأمر (حدِّثني) مرَّتين في بيت شعر واحد؛ وذلك لأنَّه يعتقد أنَّ صوتها هو رجب الزَّمان وصداه بكل معانيه.

وفي قصيدة أخرى بعنوان (اللاجئ)، حيث وقف عند مخيم للَّاجئين عام 1949م، فقال[2]:

أَتَرَانِـــي والأَسَـــى دَاجِـــي المَعَـــانِي
حَـــائمٌ حَـــوْلِي وَدَاوٍ فِـــي مَكـــانِي
والبطـــولاتُ أحادِيـــثُ الجَبَـــانِ
أتَرَانِـــي أنْظِـــمُ الشَّـــكْوَى تَرَانـــي

لقد كرَّر الشاعر الفعل المضارع (أتراني) ثلاث مرَّات، وهو في حالة يأس مقيم من مستقبل لهؤلاء المنكوبين قاتم آتٍ من بعيد.

4- تكرار التركيب:

ويشمل تكرار العبارة والشَّطر والصِّيغة والجملة، على النَّحو الآتي:

أ- تكرار الصِّيغة:

ويشمل على تكرار النِّداء والاستفهام وغيرها، ومنها قول الشاعر الأفغاني من موشّحه الأندلسيّ، بعنوان (يا رسول السِّلم) [3]:

يَـا رَسُـولَ السِّـلْمِ، يَـا بُشْـرَى السَّـمَا لِبَنِـــي الـــدُّنْيَا، بِـــرَوْحِ القُـــدْسِ
يَـــا مَسِـــيحَ اللهِ يَـــا رَمْـــزَ السَّـــلامِ أيُّهَـــا الهَـــادِي إلـــى خَيْـــرِ الـــدُّرُوبِ
يَـا رَسُـولَ السِّـلْمِ والْحُـبِّ الصَّـحِيحِ أيْـــنَ مِنْـــكَ اليَـــوْمَ غَـــرْبٌ وَثَنِـــيٌّ؟
يَـا مَسِـيْحَ السِّـلْمِ مَـنْ "مَهْـدِ المَسِـيْحِ" مِـنْ رُبَـى "الأقْصَـى" وطُهْـرِ "الحَـرَمْ"

([1]) الرفاعي، **المسافر**، ص187.

([2]) الرفاعي، **المسافر**، ص84.

([3]) الأفغاني، **الديوان**، ج1، ص138-140.

فقد كرَّر صيغة النِّداء بصيغة (يا رسول السِّلم) أكثر من مرّة في قصيدته آنفة الذِّكر، وكذلك قوله مكرِّراً (يا مسيح السِّلم)، وكلّها تضرُّعاتٍ إلى الله تعالى بكرامة رسول السَّلام السيِّد المسيح أن يرفع البلاء عن المسجد الأقصى وأرضه الطَّاهرة.

وقد يأتي التكرار بصيغة الاستفهام، كقول الشاعر الأفغاني في قصيدته (رجال العرب)، قال[1]:

كَـمْ فِئَـةٍ عَلـى فِئَـةٍ تَجَنَّـتْ؟ فَرَاحَـتْ تَنْـبِشُ اليَـوْمَ الرُّجَامَـا!

وَكَـمْ زَيْـدٍ تَنـاوَشَ عَـرْضَ عَمْـرٍو؟ وَكَـمْ عَمْـرٍو يسـاجِلَهُ المَلاَمَـا!

وقد جاءت صيغة السُّؤال (بكم) ثلاث مرَّات، وهذا يدلُّ على الكثرة الحاصلة من تجنِّي فئةٍ على أخرى، وأكل لحومهم لبعضهم بالغيب.

ب- تكرار الشَّطر:

وذلك كقول الأفغاني في قصيدته (نخوة العرب)[2]:

حَـيٍّ ثَـائِرَاً قَصْـرُهُ الجَبَـلْ

حَـيٍّ ثَـائِرَاً حَطَّـمَ الـوَثَنْ

حيث كرَّر صدر البيت كاملاً، مؤكِّداً التحيّة والتَّقدير للثَّائر الذي سكن الجبل قصراً، وحطَّم أوثان الصهيونيّة أملاً.

يقول الشاعر عبد المنعم الرفاعي في قصيدته (في شطِّ العرب) عام 1942م[3]:

مـا الَّـذِي يَمْـلأُ الضَّـمِيرَ غَرَامَـاً وَيُنْحـي شَـوارِدَ الأفْكَـارِ

مـا الَّـذِي يَمْـلأُ الضَّـمِيرَ غَرَامَـاً يُـري، حَـرَارَةَ الأَسْـرَارِ

وهو يكرِّر شطراً بأكمله، ويروم من ذلك أن ينحي شوارد أفكاره التي قضَّت مضجعه، ويشفي مرارة أسراره التي تلازمه، فهل إلى غرامٍ من سبيل؟

ج- تكرار الجملة:

([1]) الأفغاني، **الديوان**، ج1، ص132.

([2]) الأفغاني، **الديوان**، ج1، ص106.

([3]) الكوفحي، شعر عبد المنعم الرفاعي، ص102.

ويظهر ذلك أيضاً في شعر عبد المنعم الرفاعي في قصيدته (ذكري دمشق)، يقول[1]:

والشِّــعْرُ والغَــزَلُ الرَيَّــانُ مَبْسِــمُه وَمَجْلِســاً فــي حَوَاشِــي دُمَّــرٍ كَانَــا

وَهَــلْ تَفَــرَّقَ سُــمَّارِي ومُصْــطَحَبِي وَمجلــسٍ فــي حَوَاشِــي دُمَّــرٍ كَانَــا

وقد أحسن الشاعر ملاءمته العجز لصدري البيتين السَّابقين، وقد كرَّر عجز البيتين وأضفى على ذلك براعةٍ فنيّة، استوحاها من ذاكرته من الشِّعر القديم الذي حفظه، فرقَّت موسيقاه وعذُبت أنغامه.

وإنِّي لأرى أنَّ التكرار لا يُعدُّ عيباً إنْ أحسن الشَّاعر استعماله، ولا ينبغي أنْ ننسى أنَّ كل تكرار مهما يكن نوعه، تستفاد منه زيادة النَّغم وتقوية الجرس.

3.3 الصورة الفنية:

"فن الشعر هو فنّ التعبير بالصورة، التي تثير القارئ، وترتسم في مخيلته، وليس هو الكلام التقريري المرصوف، ولا التعبير المباشر الفج، فإنَّ في الشِّعر شيئاً غير الألفاظ والمعاني الذهنيَّة، وهو الصورة الخياليّة"[2].

وقد عرفت الصورة الفنية الشعريَّة على أنَّها: "تركيب لتصوير معنى عقلي وعاطفي متخيل، لعلاقة بين شيئين، يمكن تصويرهما بأساليب عدة، إمَّا عن طريق المشابهة، أو التجسيد، أو التشخيص، أو التجريد، أو التراسل"[3].

ويعرّف أنس داود الصورة الفنيَّة نقلاً عن (تندال)، فيقول: "إنَّ الصورة الشعريَّة في أساسها نوع من الرمز؛ لأنَّها تجسيد للفكر والشعور"[4].

([1]) الرفاعي، المسافر، ص48.

([2]) داود، **الأسطورة في الشعر العربي الحديث**، ص41.

([3]) أبو أصبع، صالح، (1979م)، **الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، ص31.

([4]) داود، **الأسطورة في الشعر العربي الحديث**، ص242.

والصورة الفنيَّة هي التعبير عن نفسية الشاعر، والتعبير المباشر يدل على فشل الشاعر في الخلق فشلاً يرجع في أسبابه إلى "عدم وجود المعادل الموضوعي[1]، الذي يقوم مقام الإحساس"[2].

إنَّ العلاقة بين الصور في أعلى الشعر المعاصر منزلة، أقرب إلى طبيعة عضويتها. فالشاعر أصبح يرى الصورة الفنيِّة جزءاً من نسق أوسع، وإطاراً أشمل، ويعني هذا "أنَّ الصورة الجزئيَّة ربَّما لا تعني متميزة عن إطارها، شيئاً ذا شأنٍ؛ لأنَّ الشاعر يفكِّر من خلال إطارٍ واسعٍ"[3].

فالصورة الشعريَّة الحديثة إذن صورة كليَّة، تتكون من مجموعة من الصور الجزئيَّة التي ترسم كل واحدة منها لوحة صغيرة موحية، فكل صورة جزئية توحي، لكنَّ الإيحاء الكلّي بالفكرة أو العاطفة أو الإحساس يأتي من الصورة الكلية.

والصورة قد تنشأ من خلال الجو الشعري الذي يرسمه الشاعر بوسائله التعبيريَّة والشعوريَّة، ولذلك فليس من الضروري أن تكون الألفاظ أو العبارات مجازيَّة، فقد تكون العبارات حقيقية الاستعمال وتكون مع ذلك دقيقة التصوير، دالَّة على خيال خصب.

وأنواع الصورة الشعرية من حيث البناء ثلاثة، هي[4]:

1. الصورة المفردة –البسيطة أو الجزئية.
2. والصورة المركبة.
3. والصورة الكلِّية.

الصورة في الشعر الأردني:

والشعراء الأردنيون والفلسطينيون استخدموا الصورة الشعريَّة في أشكالٍ ثلاثةٍ، هي:

([1]) المعادل الموضوعي: هو تجسيم الإحساس في صورة أو قصة أو غير ذلك؛ أي ترجمة الإحساس إلى شيء محسوس، يعادل هذا الإحساس. رشاد رشدي، (1971م)، **النقد والنقد الأدبي**، ط1، دار العودة، بيروت، ص8–9.

([2]) رشاد، **النقد والنقد الأدبي**، ص11.

([3]) ناصف، مصطفى، (1958م)، **الصورة الأدبية**، ط1، مكتبة قصر بالقاهرة، ص209.

([4]) أبو أصبع، **الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة**، ص41.

1. **الصورة الجزئية الحديثة: ومن أنواعها:**

أ. **التشبيه المطوّر:** وهو الذي يتخلى عن الشروط التقليدية في طرفي التشبيه، كتقارب المشبّه والمشبّه به، وواقعيتهما، أو وجود شبه حقيقي بينهما، حيث مال الشعراء إلى الإيحاء بالصورة بدلاً من التوضيح.

ب. **التجسيد والتشخيص:** ويظهران في دراسة الصورة المركبّة، والكلية.

2. **الصورة المركبّة، والكليَّة:** والصورة المركبَّة هي التي تتركب من صورتين جزئيتين أو أكثر، أمَّا الصورة الكليَّة فهي التي تتكون من مجموع الصور الجزئية في القصيدة.

3. **الصورة القديمة:**

أولاً: الصورة الجزئية (التشبيه المطور):

يقول عرار من قصيدته بعنوان (إلى برفين) يرد فيها على تذمرها من فتية على قارعة الطريق، لا أخلاق لهم[1]:

إنَّ الَّـذِيْنَ وَصَـفْتِهِمْ لَـمْ يَـنْهَهُمْ عَمَّـا أَتَـوا شَـرَفٌ يَعِـزُّ وَدِيْـنُ
هُـمِ كـالكِلابِ فَـإِنْ سَـمِعْتِ نِبَـاحَهُم فَتَـذَرَّعِيْ بالصَّـبْرِ يَـا بِـرْفينُ
يَـا ظَبْيَـةَ الـوَادِي، وَلا وَادٍ إِذَا مَـا كُنْـتِ فيـهِ ولا هُنَـاكَ حُـزُونُ

فقد شبّه الفتية المارقين على قارعة الطريق بالكلاب الضّالة، وكلامهم بالنّباح، وقد تمكّن الشاعر من رسم صورة معبّرة لـ (برفين) إذ غدت مشبَّهة بظبية الوادي، الصورة هنا جزئية تقف عند حدود التشبيه البليغ.

وفي قصيدة أخرى بعنوان (ضحك الربيع) يقول الشاعر، عرار مستغلاً الكناية تارةً والزهد تارةً أُخرى[2]:

"ضَـحِكَ الرَّبيـعُ" وَبَرْطَـعَ[3] الـدَّحْنُونُ فَـدَعِ الحَيَـاةَ كَمَـا تَكُـونُ تَكُـونُ
الـــــــــــــــــدَّحْنُونُ يـــا حُلْـــوَةَ النَّظَـــراتِ يَـــا بَـــرْفينُ

([1]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص514.

([2]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص332.

([3]) برطع: كلمة عامية وتعني: قفز مسروراً بلا اتزان.

فَهَـواكِ مـا يَنْفَـكُّ مُعْتَبِـلَ الشَّـوى[1]

فقد شبّه الربيع بإنسان، وحذف المشبَّه به ورمز إليه بشيءٍ من لوازمه وهو الضحك. وكذلك شبّه الدّحنون بألوانه الزاهية بالخراف الصغيرة التي تبرطع قافزة هنا وهناك على غير هدًى، وحذف المشبَّه به ورمز إليه بشيءٍ من لوازمه أيضاً على سبيل الاستعارة المكنية في كليهما.

وما ذاك إلاَّ أنَّ (برفين) طلقة المحيا، تخف في رشاقة وحيوية متناسقة القوام، وكل ما فيها حلو لا تشمئز العين لرؤياه.

وهذه الصور المتلاحقة الجزئية قد خدمت الشاعر في تصويره لجمال (برفين).

وفي قصيدة أخرى لشاعر الأردن عرار بعنوان (منية المتمني)[2]، يقول[3]:

أَفِـــي كُـــلِّ يـــومٍ مَنْـــزِلٌ وَرَحِيْـــلُ وَقَـــالٌ بِـــهِ ذَرْعـــاً تَضِـــيقُ وَقِيْـــلُ؟

وَعُمْـــرٌ كَـــأَحْلامِ اليَتِـــيْمِ كَآبَـــةً وَعَـيْشٌ كَجَـدْوَى المُسْـنَتِيْنَ[4] هَزِيْـلُ؟

وهنا نقف على منية الشاعر الذي يعشق أرضه وبلدته، وينفر من الرحيل والنزيل، والقال والقيل في وقت قصر فيه العمر، الذي يشبّه أحلام اليتيم بجامع الكآبة في كل، أو العيش الذي تجود بهِ سنون القحط، بجامع النزر القليل في كل. وفي ذاك الهزال بادٍ.

إنَّ هذه الصور الجزئية المتدفقة المتلاحقة في أبيات القصيدة قد خدمت الشاعر ليوحي أنَّ العمر فانٍ، وأنَّ الأمنيات المتحققة للإنسان ضئيلة كسراب بقيعة.

وفي مساجلة جرت للشاعر عرار مع الملك عبد الله بن الحسين، في قصيدة عرار الموسومة بـ (سَكِرَ الدَّهْرُ)، يقول[5]:

سَكِرَ الدَّهْرُ، فَقُلْ لـي: كَيْفَ أَصْحُو والنَّـــدَى يَبْخَـــلُ، وَالجُـــودُ يَشِـــحُّ

وَحَيَـــاتِي لا تَسَـــلْ عَـــنْ كُنْهِهَـــا إِنَّهَـــا حَـــانٌ وَأَلْحَـــانٌ وَصَـــدْحُ

([1]) معتبل الشوى: غليظ القوائم (اللسان: عبل، شوا) والاستعمال مجازي.

([2]) ورد اسم القصيدة بعنوان "منية المتنمي"، وأرى أن السابق أولى.

([3]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص304.

([4]) المسنتين: الذين أصابهم سنة وأجدبوا (اللسان: سنت).

([5]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص162.

إنَّ اختلاف القِيَم وتبدلّها مجاز استعمله الشاعر ليصل إلى انقطاع الكَرَم، وقلّة العطاء في صورة موحية إلى تبدّل موازين الحياة في نظر الناس، وكأنَّ الدَّهر قد سَكِرَ وغاب عن وعيه، فبدَّل قيمه وانحسرت فضائله عن المحتاجين.

وفي "رثاء الكاظميّ"[1] يقول الشاعر إبراهيم طوقان[2]:

سَلْ جَنَّةَ الشِّعْرِ مَا أَلْوَى بَدَوْحَتِهَا؟ حَتَّى خَلَتْ مِنْ ظِلالِ الحُسْنِ والطِّيْبِ
وَمَـنْ لِغُـرِّ القَـوَافِيْ وَهْـيَ مُشْـرِقَةٌ "كَأَوْجُـهِ البَـدَوِيَّاتِ الرَّعابِيْـبِ[3]"

وقد شبَّه الشاعر غر القوافي ومن يتصدَّر لها وينظمها في قالب عسجدي، حيث ينضح بها لسان الكاظميّ بأوجه البدويات الطويلات الممتلئات بجامع الوضاءة في كل.

وقد خدمت الصور الجزئية في الأبيات الشاعر فأجاد الوصف وما تعداه.

ويرى الشاعر إسكندر خوري البيتجالي في قصيدته (وهل يخفى القمر؟) أنَّ فلسطين أمٌّ ثكلى بوليدها، تندبه صباحاً مساءً، قال[4]:

يَـــا كَعْبَـــةَ الإِســـلامِ، يَـــا وَطَـــنَ المَسِـــيْحِ المُنْتَظَـــرْ
مَـــاذَا دَهَـــاكِ وَمَـــا جَـــرَى لَـــكِ مِـــنْ أَعَاجِيْـــبِ القَـــدَرْ؟
قُـــوْلِي فِلَسْـــطِيْنُ العَزِيْـــزَةُ لِـــيَ بِرَبِّـــكِ مَـــا الخَبَـــرْ؟
فَتَنَهَـــدَّتْ وَتَمَلْمَلَـــتْ وَدُمُوعُهَـــا شِـــبْهُ المَطَـــرْ
كَمُصَـــابَةٍ بِوَحِيْـــدِهَا جَعَلَـــتْ تَقُـــولُ عَلَـــى الأَثَـــرْ
أَوَلا تَـــرَى مَـــا حَـــلَّ بِـــيْ مِـــنْ ظُلْـــمِ بَعْـــضِ بَنِـــيْ البَشَـــرْ
كَـــذَبُوا فَمَـــا أَهْلِـــي كَمَـــا قَـــالُوا بَهَـــائِمُ كَـــالبَقَرْ
أَهْلِـــي رِجَـــالُ السَّـــبْقِ وَالإِقْـــدَامِ فِـــي كَـــرٍّ وَفَـــرْ

([1]) عبد المحسن الكاظميّ: أحد القادة الأبطال في مقارعة اليهود في فلسطين.

([2]) طوقان، إبراهيم، **الديوان**، ص167.

([3]) الرعابيب: جمع رعبوب، وهي المرأة الطويلة الممتلئة.

([4]) البيتجالي، **مشاهد من الحياة**، ص217.

فمن التجسيم وهي تحاور الشاعر، حيث شبهها بالمرأة التي تتأوه وتتنهد، وشبه دموعها بقطرات المطر المنهمر، وزاد أن شبهها بامرأة ثكلى بوليدها، تنتظر يوم الثأر، وشبَّه الأعداءُ قومَها بالبهائم.

كلّ هذه الصور الحزينة، من عويلٍ واستغاثةٍ، وثورةٍ عارمةٍ قد خدمت الشاعر في هدفه المنشود، أنَّ فلسطين باقية في ضمير أهلها مسلمين ومسيحيين، وهيَ تفخر بأهلها في جميع الأحوال؛ لأنَّها تعرف بطولاتهم.

ثانياً: الصورة المركبَّة والكليَّة:

الصورة المركبَّة: وهي تعتمد على تنامي الصورة الواحدة المتكرِّرة لتصوير الجوّ العام، وتتكون عندئذٍ من أكثر من صورةٍ جزئيةٍ.

الصورة الكليَّة: فهيَ الصورة الكاملة للقصيدة كلّها الممثلة للحزن أو السعادة. ومثال ذلك قصيدة الشاعر خليل زقطان بعنوان "يافا"، يقول[1]:

يَافَـــــا وَزَهْـــــرِ البُرْتِقَـــــالِ يَافَـــــا وَحُبُّـــــكِ وَالإِلَـــــهْ
أَنَـــا مَـــا تَرَكْتُـــكِ طَائِعـــاً رَغْـــمَ العَـــدُوِّ وَمَـــا أَتَـــاهْ

يناجي الشاعر يافا، مُقْسِماً بزهر البرتقال وبحبها وبالإله، أنَّه لم يغادرها إلا مستكرهاً، آملاً أن يندمل الجرح، ويعود الجريح إلى يافا، وتبقى أهازيج العزّ نشوى للسمّار، ويبقى الناي صداحاً معبّراً عن آهاتِ أهل فلسطين الذين تناثروا في البلاد.

ويعود الشاعر للتحدّي في صورٍ رائعةٍ، فيقسم بأنَّه سيفترش الصخر الجلمود صابراً، وسيتحدى الصِعَاب على الرَّغم من تفرّق صحبه وذويه في الأمصار، ولن يفقد الأمل بالعودة.

هذه الصور المتلاحقة لشاعر يمثّل أمَّة، يناجي بلداً ويعني فلسطين كلّها، وهذا الجريح الذي يمثّل المصابين من المجاهدين في فلسطين، وتلك الأهازيج ومزاميرها التي تبعث الأمل في النفوس، وتقويه، وصورة قلّة الأهل والأصحاب بسبب الهجرة أو الجهاد وشظف العيش، لا تفض من عزيمة المجاهدين، وبقي المتحدّي شامخاً يطلب الحياة...

([1]) زقطان، **ديوان صوت الجياع**، ص98.

كلّ هذا يمثّل صورة مركبّة، تنامت صورها المتكرّرة، وتضافرت معاً لتصل بالشاعر إلى الصورة الكليّة وهي التحدي والتصميم على العودة.

وهذا الشاعر إبراهيم طوقان، يحذّر الأمّة وزعماءها بأنَّ الصهاينة ينفذون منهجاً خطيراً، ويتوقع لهم مصيراً سيئاً إذا بقيت الأمّة على تهاونها، ففي قصيدته "مناهج" يقول[1]:

أَمَامَـــكَ أَيُّهَـــا العربِـــيُّ يَـــومٌ تَشِـــيْبُ لِهَوْلِـــهِ سُـــودُ النَّوَاصِـــي
وَأَنْـــتٍ كَمَـــا عَهْـــدتُكَ لا تُبَـــالِيْ بِغَيْـــرِ مَظَـــاهِرِ العَبَـــثِ الرِّخَـــاصِ
مَصِـــيرُكَ بـــات يَلْمَسُـــهُ الأَدَانِـــي وسَـــارَ حَدِيْثُـــهُ بَـــيْنَ الأَقَاصِـــي
فَـــلا رَحْـــبُ القُصُـــورِ غَـــدَا بِبَـــاقٍ لِسَـــاكِنَها، ولاَ ضِـــيْقُ الخِصَـــاصِ
لَنَـــا خَصْـــمَانِ: ذُو حَـــوْلٍ وَطَـــوْلٍ وآخَـــرُ ذُو احْتِيَـــالٍ وَاقْتِنَـــاصِ
تَوَاصَـــوْا بَيْـــنَهُمُ فَـــأَتَى وَبَـــالاً وَإِذْلالاً لَنَـــا ذَاكَ التَّواصِـــيْ
مَنَـــاهِجُ لِلإِبَـــادَةِ وَاضِـــحَاتٌ وَبِالحُسْـــنَى تُنَفَّـــذُ والرَّصَـــاصِ

فالشاعر يرى بعين بصيرته المصير السيئ الذي ينتظر الأمّة العربية، وهي لا تبالي، ودون أن تلوي لمآلها أي اهتمام، وبقيت في مناكفاتها الرخيصة، ومصيرها الفاني يدركه القاصي والداني إذا بقيت على حالها، ولن تبقى قصورها الشماء ولا خصاصها التعيسة السوداء، وسيأتي العدو على كل شيءٍ، وتدول دولته.

وللأمّة العربيَّة خصمان لدودانٍ: الدولة البريطانية المنتدبة، والصهيونية العالمية صاحبة المكر والاحتيال. وقد أجمعوا أمرهم على إبادة العرب أجمعين، طرداً من بلادهم فلسطين وبقية الدول العربية، أو بآلة الحرب المعروفة.

وكأنِّي بالشاعر يرسم صورة مركبّة لأمّة أوشكت على الأفول، يرى مصيرها الآفل العاجل على يد أعدائها، وهي قابعة في غياهب الفتن والتباهي بالقصور وملذات الحياة. وقد تداعت للشاعر صورٌ كثيرةٌ أوصلته إلى ما يروم من نصح للأمّة وبيان سوء مآلها، وأضحت الصورة المركبَّة واضحة للعيان. كما وأوضحت الصورة الكليَّة وهي المناهج المقننة لمحو هذه الأمّة.

([1]) طوقان، إبراهيم، **الديوان**، ص87.

يقول شاعر الأردن عرار يقول في قصيدته "التوبة"، وكان قد نُفِيَ إلى العقبة، وهناك عَنَّ له أن يتوب عن شرب الخمر، ويؤوب تائباً إلى رشده[1]:

أَمَوْلاَنَـــــــــا، أَمَوْلاَنَـــــــــا ... هَجَرْنَـــــا الـــــدَّنَّ وَالحَانَـــــا
وَبَـــــدَّلْنَا مِـــــنَ المَنْظُـــــومِ ... وَالمَنْثُـــــــــورِ قُرْآنَـــــــــا
فَمِـــــنْ "هُـــــودٍ" إِلَـــــى "طَـــــه" ... نُرَتِّلُهَـــــــــا وَ"رَحْمَانَـــــــــا"
لِتَسْـــــــبِيْحٍ بِـــــــهِ بَرِمَـــــــتْ ... مَخَـــــارِجُ قَـــــوْلٍ سُـــــبْحَانَا
إِلَـــــــى ذَقْـــــــنٍ أَطَلْنَاهَـــــــا ... بِعُثْنُـــــــــونٍ لِتَزْدَانَـــــــــا
لَعَـــــلَّ الرُّشْـــــدَ يُمْسِـــــكُهَا ... إِذَا مَـــــا الْغَـــــيُّ أَرْخَانَـــــا
أَمَوْلاَنَـــــــــا، أَمَوْلاَنَـــــــــا ... "بِأَيْلَـــــــةَ" طَـــــالَ مَثْوَانَـــــا
وَكَـــــمْ "بِالحِصْـــــنِ" فَاتِنَـــــةٍ ... تَـــــذُوبُ أَسًـــــى لِـــــذِكْرَانَا
فَهَـــــلْ مِـــــنْ مُبْلِـــــغٍ عَبُّـــــوْ ... دَ عَنَّـــــا بَعْـــــضَ مَـــــا كَانَـــــا
لَنَسْـــــتَفْتِيْهِ هَـــــلْ صَـــــحَّتْ ... بِهَـــــذَا الشَّـــــكْلِ تَقْوَانَـــــا

فالشاعر يعلن توبته، ويهجر الخمر والحانات والشعر، ويلتزم بالقرآن الكريم، ويعكف على التسبيح والتمسّك بأهداب العقيدة الإسلاميَّة، وقد أطال ذقنه وابتعد عن الغي وأسبابه.

ثمَّ يذكر ما لاقاه من عَنَت في منفاه، يشاطره في ذلك غادة في "الحصن" تذوب أسًى لذكراه، ويرى السعادة برؤيتها ثم إنَّه لا يخفي بَرَمَه من منفاه سائلاً عبود إمام الحضرة الأميرية إن كان ذلك يكفي لتوبته، ويسأل الأمير أن يعيده من منفاه.

وتبدو الصورة المركبّة جليّة في رجلٍ نُفِيَ عن أهله إلى العقبة، ثم يهجر أسباب الفسوق، ويلتزم بالدِّين الحنيف، ويأخذ بأسباب التوبة ثم يتوسل من منفاه إلى الأمير أن يفك نفيه، ليؤوب إلى إهلِهِ وذويه، فقد بلغ السيل الزبى.

لقد ساعدت الصور الجزئية المتلاحقة الشاعر للوصول إلى هدفه المراد، وهو إظهار تبرمّه وتوسلّه إلى الأمير أن يفك قيده ويعيده إلى أهله. أمَّا الصورة الكليّة فهي (التوسل للأمير) لإنهاء سجنه.

([1]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص333-337.

ثالثاً: الصورة الشعريَّة القديمة:

وتعتمد على البلاغة القديمة من تشبيه واستعارة، كالَّتي تظهر في تصوير عرار لمسيل وادي السير ساعة المطر من قصيدة "زفرات لاهثة" فقال[1]:

وَشِـعَابُ وَادِي السِّـيرِ سَـالَ لُجَيْنُهَـا لِلْبَـــرْقِ لَمَّـــا افْتَـــرّ عَـــنْ أَسْـــنَانِهِ

وقد سال هذا الوادي ساعة المطر، وكأنَّه الفضة، وقد تعلَّق به الشاعر رابطاً بينه وبين خد سلمى، فدحنونه يشبه خدها، على النحو التالي من قصيدته "ليالي الكوخ"[2]:

دَحْنُـونُ "وادِي السِّـيرِ" مِـنْ جَنَّاتِـهِ لا تُنْكِـــرِي، أَتَضَـــرجَا، خَـــدَّاكِ

ومن قصيدة (إلى المرابين– إخواني الصعاليك)، يحدّد عرار تعاسته مثل زمانه (الزفت) لما لهذا التشبيه من مشاعر التعاسة في النفوس، يقول[3]:

إِنَّ "الصَّـعَالِيكَ" مِثْلِـي مُفْلِسُونَ وَهُـمْ لِمِثْـلِ هَـذا الزَّمَـانِ (الزِّفْـتِ) خَنُّـونِيْ

فَمَـا أَنَـا رَاجِـعٌ عَـنْ كَيْـدِ طُغْمَـتِكُمْ حِفْظَـاً لِحَـقِّ "الطَّفَـارى" وَالمَسَـاكِينِ

فقد استعار "حق الطفارى" ليدل على الفقراء والمعوزين، كما أنَّه استخدم المَثَل العامّي في التشبيه، ليدلّ على العودة خالي الوفاض مِمَّا يروم، فمن قصيدته (ما روما)، يقول[4]:

وَبَـرْلِينُ فِيْهَـا العِـزُّ والـرُّزُّ والهُـدَى إِذَا لَـمْ يَنُـولَنَّ "تشيرتشـل" مَنْصِـبَا

وَعُـدْنَا "كَحُـرَّاثِ النُّبُـورِ" لأَهْلِنَـا وَلَـمْ نَقْـضِ لِلأَخْـوَانِ حَقّـاً تَوَجَّبَـا

وفي قصيدته (تسول شاعر) يصف هيامه وقد أضحى خيالاً، يقول عرار[5]:

رَجْرَاجَـــةُ الكَفْلَـــيْنِ مِـــنْ هَيَـــفٍ أَوْحَـــى لِـــرُمْحِ قَوَامِـــكِ الخَطَـــرا

هَـــلِ اتَّقَيْـــتِ اللهَ فـــي كَبِـــدٍ حَـــرَّى وَعَـــيْشٍ حُلْـــوُهُ مُـــرَّا

وَرَعَيْـــتِ حُرْمَـــةَ شَـــاعِرٍ دَنِـــفٍ يَشْـــكُو إِلَيْـــكِ العِـــوَزَ وَالفَقْـــرَا

([1]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص405.

([2]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص301.

([3]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص357.

([4]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص125.

([5]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص217.

يَبْكِـــي فَتُشْـــرِقُنِي مَدَامِعُـــهُ وَتَغُصُّـــهُ زَفَرَاتِـــيَ الحَـــرَّى
فَكَأَنَّـــهُ وَكَأَنَّهَـــا شَـــبَحاً قَبْـــرٍ يَلُـــوكُ بِشِـــدْقِهِ قَبْـــرَا

فقوله (وَعَيْشٍ حُلْوُهُ مُرًّا) كناية عن تعاسته لعدم الوصال، وكذلك (كَبِدٌ حرَّى) وينتهي إلى التشبيه بأنَّهما كالأشباح.

إنَّ صور الشاعر في النماذج السابقة تعتمد على التشبيه، وعلى الاستعارة، وهذه الصور تعتمد على البلاغة السائدة في تلك الفترة، وبالرَّغم من ذلك فإنَّ الصور في مجموعها توحي بالمضمون وتجسّد الفكرة والإحساس.

وتظهر الكناية واضحةً في قول عرار من قصيدة (أنفاس عيد الفصح)[1]:

أَنْ أَرَى لـــي بَيْـــتَ شَـــعْرٍ حَوْلَـــهُ مِـــنْ شَـــلاَيَا قَوْمِـــكَ السِّـــرحَانِ سَـــرْحُ
فـــي فَـــلاَةٍ لَـــيْسَ (لِلْعِلْـــجِ) فيهـــا حَيَّـــةُ تَسْـــعَى، وثُعْبَـــانٍ يَفُـــحُّ

وقد كنّى عن العلج بالغزاة، والحية والثعبان عن العدو وأعوانه.

ويبدو ذلك جليّاً في قصيدة (الاستقلال) للشاعر حسني فريز بمناسبة استلام جلالة الملك الحسين سلطاته الدستورية في (1954/05/02م)، إذ قال[2]:

إنَّ الضَّـمَائِرَ نَاجَـتْ سـيّداً بَطَـلاً كَمَا يُنَاجِي المُنَى ذُو الغَلَّةِ الصَّادِيْ
وَقَـدْ رَأَتْ فِـي حُسَـيْنٍ رَمْـزَ عِزَّتِهَـا وَرُوحَ نَهْضَـتِهَا، بَـلْ نَجْمَهَـا الهَـادِي

ويظهر تشبيه الملك– رحمه الله– بالنجم، بجامع الهداية في كل.

وفي هذا المجال، وفي (رثاء نافع العبوشي) يقول إبراهيم طوقان[3]:

لَهَفِـي علـى (نَـافعٍ) لَـوْ كَـانَ يَنْفَعُـهُ لَهَفِي... وَهَيْهَاتَ مَا فِي المَوتِ نَفَّاعُ
حَوَتْـهُ أَوْطَانُـهُ فـي جَوْفِهَـا فَغَـدَا كَأَنَّمَـا هُـوَ قَلْـبٌ وهِـيَ أَضْـلاعُ...

فقد شبّهه بالقلب والأرض هي المشبّه به بالأضلاع التي تحيط به. وسأحاول أن أتبع الصور التي رسمها الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود في قصائده والتي تشهد

([1]) عرار، **عشيات وادي اليابس**، ص156.

([2]) فريز، **هياكل الحب**، ج1، ص103.

([3]) طوقان، إبراهيم، **الديوان**، ص152.

على مواءمةِ الفِكر والعاطفة والخيال لهذه الفترة، فقد كان مقلاً من جهة، ومكتفياً بالصورة البسيطة من جهةٍ أخرى.

يقول في قصيدته "الشهيد"[1]:

وَجِسْـمٌ تَجَـدَّلَ فِـي الصَّحْصَـحَانِ ... تَنَاوَشُـــهُ جَارِحَـــاتُ الفَـــلا
فَمِنْـــهُ نَصِـــيْبٌ لِطَيْـــرِ السَّـــمَاءِ ... وَمِنْـــهُ نَصِـــيْبٌ لأُسْـــدِ الشَّـــرَى
كَسَـــا دَمُـــهُ الأَرْضَ بِـــالأُرْجُوَانِ ... وَأَثْقَـــلَ بِـــالعِطْرِ رِيْـــحَ الصَّـــبَا
وَعَفَّـــرَ مِنْـــهُ بَهِـــيَّ الجَبِـــيْنِ ... وَلَكِـــنْ عَفَـــاراً يَزِيْـــدُ البَهَـــا
وَبَـــانَ عَلَـــى شَـــفَتَيْهِ ابْتِسَـــامٌ ... مَعَانِيْـــهِ هُـــزْءٌ بِهَـــذِي الـــدُّنَا
وَنَـــامَ لِـــيَحْلُمَ حُلْـــمَ الخُلُـــودِ ... وَيَهْنَـــأَ فِيْـــهِ بَـــأَحْلَى الـــرُّؤَى
لَعَمْـــرُكَ هَـــذَا مَمَـــاتُ الرِّجَـــالِ ... وَمَـــنْ رَامَ مَوتـــاً شَـــرِيْفاً فَـــذَا

فقد عمد الشاعر إلى تصوير جسم الشهيد وقد جندل فوق الهضاب، فهو يرسم صورة جزئية تترابط مع باقي الصور لتصل إلى الصورة الكليَّة. وهذا مشهد فني واحد تعزّزه العناصر الحركيّة واللونيّة فيغدو أكثر إيحاءً وتعبيراً.

لقد استخدم كلمات استوحاها الشاعر من جوِّ المعركة، مثل (تناوشه، تجندل، الصليل، مسيل، عفر) وفيها عناصر حركيّة وصوتيّة، وظهر عنصر اللون في كلمتي (الدماء، الأرجوان).

وهذه صورة جزئية مشاهدة، وآزرها شعور وإحساس وفِكر، حتى غدت عميقة حيَّة، وتتابعت الصور وتلاحمت شيئاً فشيئاً حتى أفضت في النهاية إلى صورة كليّة خدمت تجربة الشاعر الفنيّة.

والصور المتتابعة الجزئية بدأت بتصوير جو المعركة في البيت الأوّل، من سماع الصليل، إلى مسيل الدماء، إلى جسد الشاعر الشهيد وقد جندل فوق الهضاب، وقد حطّت عليه الجوارح من طيورِ الجوّ تنهشه.

كلّ هذا رمز مأساوي للشعب الفلسطيني الَّذي لا ينفكّ سيل الدّماء منه، "ولكنَّه يترك للصورة مجال الإفصاح عن نفسها، وعن نفسية الشاعر والشهيد معاً"[2].

([1]) الشلبي، عبد الرحيم محمود، **شاعراً ومناضلاً**، ص191.

([2]) الشلبي، عبد الرحيم محمود شاعراً ومناضلاً، ص192.

ويتحقق للشاعر الشهيد حلمه في الشهادة، في موقف بطولي رجولي، ليغدو في الخالدين، وهنا تصبح الصورة الكلية إنسانية، وقد تجلّت في ابتسامته وهزئه من هذي الدنا، واتكائه على الصور المتلاحقة المترابطة مع انسجامٍ كبيرٍ مع الشعور العام في القصيدة.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة صورة المستعمر في الشعر العربي الحديث في الأردن وفلسطين في الفترة الواقعة بين 1921–1956م، وخلصت إلى عدد من النتائج، وهي:

وفرة الإنتاج الأدبي الشعري لشعراء المرحلة موضوع الدراسة، وإجماعهم على رفض الاحتلال، والإصرار على مقاومة المحتل بكل السبل الممكنة، سواء أكان ذلك بالكلمة أم بالسلاح، وقد عبّر الشعراء عن رفضهم لكافة أساليب الكذب والادِّعاء باستعادة الحقوق عن طريق المؤتمرات والمفاوضات. وكان من أشهر هؤلاء الشعراء إبراهيم طوقان، وعرار، وعبد الرحيم محمود، وغيرهم، وتناول الشعراء في أشعارهم عدداً من القضايا والمضامين، وهي:

الأرض، فقد تناولها الشعراء في أشعارهم، حيثُ وصفوا المدن والقرى من طبيعتها، وجغرافيتها، وجمالياتها، وعلاقتهم بها، وشعورهم نحوها، ومحبتهم إليها في محاولة ترسيخ الهوية الوطنية. ومقاومة تهويد هذه الأماكن، وحمل الناس على الانتماء للأرض، ومقاومة محاولات الاتجار بها، وكانت الشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي من أبرز الشعراء الذين شغلتهم وطنية الأرض، حيث أكَّدت أنَّ دماء الشهداء والتَّضحيات تطهِّر الأرض وتجعلها ثمينة ومقدَّسةً.

أمَّا المقاومة، فقد عمل الشعراء على مقاومة المستعمر بالكلمة والسلاح، واتخذت المقاومة أشكالاً أخرى من مثل العمل على توعية الناس بالمخططات الاستعمارية، وكشف الوعود الكاذبة، ومن أبرز هؤلاء الشعراء إبرهيم طوقان، وعبد الرحيم محمود، وعرار.

وفي تناول الشعراء لقضية البطولة والشهادة، نلمس تصميم الشعراء على الوقوف في خندق الشعب، وتمجيد تضحياتهم، وإثارة عواطفهم الدينية لتقديم المزيد من مواقف البطولة لحماية الأرض والإنسان.

أمَّا قضية الاستلاب، فقد عبَّر عنها الشعراء كاشفين شراسة المستعمر، وخططه الدقيقة في القضاء على روح المقاومة الشعبية؛ لهذا اتخذ الاستلاب أشكالاً عدّة، من استلاب طبيعي إلى استلاب ثقافي، واستلاب معنوي.

أمَّا المثقف والسلطة، فقد عانى الشعراء بوصفهم مثقفين من قسوة المرحلة، وهيمنة سلطة الاستعمار، خاصة أنَّ المثقفين لم يعتزلوا عن المجتمع، وكانوا متابعين لكل جزئية تحدث على مستوى العالم، ولا يُضيِّعون فرصة للمشاركة في أيِّ محفلٍ يتعلق بالهموم والحقوق الوطنية، لهذا سعى المستعمر نحو تصفيتهم وتسكيتهم، والتخلُّص منهم بكل السبل، عن طريق القتل والتعذيب والنَّفي.

ولقد مجَّد الشعراء الاستقلال والحرية، وخاصة استقلال الأردن عن الانتداب البريطاني، وثمَّنوا أهمية الاستقلال للأوطان والشعوب، ودور الهاشميين في استقلال الأردن، ومساعيهم في تحقيق المصالح العربية في العراق وبلاد الشام، ودعوا الشعب العربي إلى نجدة الفلسطينيين ومساعدتهم على نيل حريتهم، واستقلالهم، كما ساهم الشعراء الأردنيون والفلسطينيون في تمجيد الحركات التَّحرُّرية العربية.

أمَّا على مستوى التشكيل الفني، فقد امتازت قصائد الشعراء في الحقبة المذكورة بالسهولة والوضوح، والابتعاد عن الغموض، والتعقيد؛ لأنَّه يخاطب عامة الشعب، ويهدف نحو توعيتهم بقضاياهم المصيرية المتعلقة بالأرض، والمعتقد والإنسان، وكانت الصور الفنية التي استخدمها الشعراء منبثقة من البيئة المحلية، إذْ عكست طبيعتها: حيواناته، ونباتاتها، وقوة إنسانها، وأكدت على سمات الإنسان الذي يسكن هذه الأرض الذي لا يقبل الضيم، ويضحي بروحه في سبيل ما يؤمن به، واستخدم رموزاً شعرية كثيرة في الدلالة على صفات المستعمر من مثل: القردة، والأشباح، والأفاعي، والكلاب.

ولقد برزت صورة المستعمر في الشعر بوصفه مخرباً لكل القيم الأصيلة في حياة الناس، فقد سعى نحو هدم البناء الاجتماعي، ممثَّلاً في ظلم الناس، ومحاولات إفساد أكبر عدد منهم، وهدم البيوت، وإفزاع الأطفال، وإلقاء الرعب في قلوب الناس عن طريق تهجيرهم. وعمد المستعمر ثقافياً إلى نشر أفكاره المسمومة في المجتمع التي تتعارض مع قيم الناس ومعتقداتهم من مثل: استغلال النساء، وتزيين تقليد الغرب، والدعوة للخروج على منظومة القيم، والأخلاق، وبث الأحقاد والضغائن بين الناس. أما على المستوى السياسي، فقد برزت صورة المستعمر بوصفه جلاداً وغازياً، ووحشاً،

وذئباً؛ لأنه كان يعمد إلى تصفية المعارضين له بأبشع الأساليب، من قتلٍ وتعذيب، وسجن، ونفي، وغيرها من الأعمال المشينة.

وبرزت صورة المستعمر ثقافياً بوصفه مزوِّراً للحقائق، ومزيفاً للوعي، إذْ يعمد إلى تجهيل الناس وخاصة الأطفال، ويعيق استمرار عملية التعلُّم والتعليم، ويهدف إلى طمس هوية أهل البلاد الأصليين؛ بجعل لغته هي اللغة الرسمية، وتهميش اللغة الأم للشعب المُستعمر.

ولقد اتَّسمت المرحلة موضوع الدراسة بالاضطراب السياسي وكثرة الثورات، والمظاهرات في الأردن وفلسطين وما حولهما، وانعكس ذلك في الشعر في استنهاض الشعراء للهمم، وتمجيد الشهادة، وتعميق الاتصال بالأرض والتشبُّث بها، وفضح ممارسات الخونة، وسماسرة الأرض، ولقد انعكس هذا كلّه في قصائد الشعراء الَّذين مثَّلوا المرحلة خير تمثيل.

المراجع

ابن الأثير، ضياء الدِّين أبو الفتح نصر الله بن محمَّد، (1980م)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، (د.ط)، دار نهضة مصر – القاهرة.

أحمد، محمَّد أحمد موسى، (1987م)، **عبد المنعم الرِّفاعي– حياته وشعره**، دائرة الثقافة والفنون– عمَّان، ط1.

الأسد، ناصر الدِّين، (2000م)، **الحياة الأدبيّة الحديثة في فلسطين والأردن حتى سنة 1950**، ط1، دار فارس– عمَّان.

إسماعيل، عز الدين، (1958م)، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، ط1، بيروت.

أبو أصبع، صالح، (1979م)، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1.

الأفغاني، محمود عبد الحميد، (1983م)، **ديوان الأفغاني**، مطابع الدستور– عمَّان، الأردن، ط1.

إيراني، مؤيد إبراهيم، (1931م)، **الدموع**، ط1، مطبعة الجميل، حيفا.

أيوب، رشيد، (1959م)، **الأيوبيات**، دار صادر، بيروت.

بارت، رولان، (1991م)، **نقد وحقيقة**، ترجمة منذر عياش، ط1، دار الأرض– الرِّياض، السعودية.

بحر العلوم، محمَّد صالح، 1968م)، ديوان بحر العلوم، مطبعة التضامن، بغداد، ط1.

البحيري، حسن، (1946م)، **ابتسام الضحى**، ط1، (د.ن)، القاهرة.

البخاري، أبو عبدالله محمَّد بن إسماعيل، (1991م)، **صحيح البخاري**، دار الفكر للطباعة والنشر.

البستاني، وديع، (1922م)، **الديوان**، الجامعة الأمريكية، بيروت، ط1، ج1.

البستاني، وديع، (1946م)، ديوان الفلسطينيات، ط1، بيروت.

بطي، رفائيل، (1342هـ)، **الأدب العصري في العراق العربي**، ج2، قسم المنظوم، المطبعة السلفية، مصر.

بنيس، محمَّد، (1979م)، **ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقارنة بنيوية تكوينية**، دار العودة– بيروت.

البوصيري، شرف الدِّين أبو عبدالله محمَّد بن سعيد، (1955م)، **ديوان البوصيري**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مصر، ط1.

البيتجالي، إسكندر الخوري، (1927م)، **آلام وآمال**، المطبعة العصرية، القدس، ط1.

البيتجالي، إسكندر الخوري، (1927م)، **مشاهد الحياة**، مطبعة بيت المقدس– القدس، ط1، ج1.

البيتجالي، إسكندر الخوري، (1946م)، **ديوان العنقود**، مطبعة بيت المقدس، القدس.

أبو تمام، (1983م)، **الحماسة**، تحقيق: عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان، دار اللواء– الرياض.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، (1955م)، **ديوان الحماسة**، علَّق عليه وراجعه: عبد المنعم خفاجي، مصر.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (1969م)، **الحيوان**، تحقيق: عبد السَّلام محمَّد هارون، ط3، بيروت، لبنان.

جبرا، إبراهيم، "شعراء المقاومة"، **مجلة المواقف**، عدد (9).

الجرجاني، علي بن عبد العزيز، (1966م)، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، دار القلم– بيروت.

آل جندي، أدهم، (1954م)، **أعلام الأدب والفن**، مطبعة مجلة صوت سوريا، ط1.

جهاد، كاظم، (1993م)، **أدونيس منتحلاً دراسة في الاستحواذ الأدبي والارتجاليّة الترجمة يسبقها ما هو التناص**، ط2، مكتبة مدبولي– القاهرة، مصر.

الجيوسي، سلمى الخضراء، (1960م)، **العودة من النبع الحالم**، دار الآداب – بيروت، ط1.

حافظ، إبراهيم، (1937م)، **ديوان حافظ إبراهيم**، تحقيق: أمين، أحمد، والزين، أحمد، والأبياري، إبراهيم، وزارة المعارف العمومية، القاهرة، ط1.

حافظ، صبري، (1996م)، **أفق الخطاب النقدي**، ط1، دار شرقيات– القاهرة، مصر.

الحبوبي، محمود، (1948م)، **الديوان**، مطبعة دار النشر والتأليف، النجف، العراق .

حداد، نبيل يوسف صالح، (1976م)، **الحركة الشعرية في الأردن، 1921-1948م**، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم اللغة العربيّة وآدابها.

الحسني، عبد الرزاق، (1938م)، **العراق في دوري الاحتلال والانتداب**، مطبعة العرفان، دمشق، ط1.

الحسين، عبدالله، (1989م)، **مذكراتي**، الأهلية للنشر والتوزيع- عمَّان، ط1.

حمزة، محمَّد فوزي، (2009م)، **الشوقيات**، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1.

الحوماني، محمَّد علي، (1927م)، **ديوان الحوماني**، مطبعة العرفان، صيدا، ط1.

الخطيب، أحمد، (1994م)، **مرايا الضرير**، عمَّان.

الخطيب، فؤاد، (1959م)، **ديوان ثورة العرب**، ط1، دار المعارف، القاهرة.

داود، أنس، (1975م)، **الأسطورة في الشعر العربي الحديث**، دار الجيل للطباعة- القاهرة.

الدباغ، إبراهيم، (1937م)، **الطليعة**، مطبعة حجازي، القاهرة، ط1.

درويش، محمود، (1984م)، **محاولة رقم 7**، دار العودة، بيروت- لبنان، ط6.

ابن العثمانية، ط1، حيدر أباد.

المتنبي، أبو الطيب، (1997م)، **ديوان أبي الطيب المتنبي**، شرح أبو البقاء العكبري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

الرازي، محمَّد بن بكر، (2001م)، **مختار الصحاح**، ط2، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، لبنان.

الربابعة، موسى، (2000م)، **التناص في نماذج من الشعر العربي الحديث**، ط1، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعيّة والنشر والتوزيع.

رشاد رشدي، (1971م)، **النقد والنقد الأدبي**، ط1، دار العودة، بيروت.

رشيد، هارون هاشم، (1950م)، **الديوان**، مع الغرباء، ط1، دار القدس، بيروت.

الرصافي، معروف، (1959م)، **ديوان الرصافي**، ط1، المكتبة التجارية الكبرى،القاهرة، مصر.

الرِّفاعي، عبد المنعم، (1979م)، **المسافر**، ط1، الدار المتحدة للنشر- بيروت.

الزّبيدي، محمَّد بن محمَّد بن عبد الرازق الحسني، (1979م)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، ط1، مطبعة الكويت.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (1980م)، **ديوان الزركلي الأعمال الشعرية الكاملة**، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الزِّركلي، خير الدَّين، (1925م)، **عامان في عمَّان**، (مذكرات عامين في عاصمة شرق الأردن)، المطبعة العربية بمصر، نشر يوسف توما البستاني.

زقطان، خليل، (1953م)، **ديوان صوت الجياع**، دار الأيتام الإسلامية، القدس، ط1.

الزَّمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، (1979م)، **أساس البلاغة**، دار صادر– بيروت، لبنان.

السبول، تيسير، (1998م)، **الأعمال الكاملة**، ط1، دار أزمنة، عمان.

السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين، (1966م)، **شعر الأخطل**، دار الفكر– بيروت.

السوافيري، كامل، (1973م)، **الاتجاهات الفنيّة في الشِّعر الفلسطيني المعاصر**، ط1، مكتبة الأنجلو مصرية– القاهرة.

شاويش، حسين ومحمد، (1995م)، **حول الحب والاستلاب**، دار الكنوز الأدبية– بيروت، لبنان، ط1.

شطناوي، لقمان، (2006م)، **الرَّمز في الشِّعر الأردني الحديث**، ط1، مطبعة الروزنا– إربد.

الشلبي، محمود، (1984م)، **عبد الرَّحيم شاعراً ومناضلاً**، مطبعة الخالدي، عمان، ط1.

شوقي، أحمد، (2006م)، **الشوقيات**، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

الصفدي، محي الدين الحاج عيسى، (1947م)، **مصرع كليب**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1.

صيام، زكريا عبد الرَّحمن، (1979م)، **حياة الشِّعر الفلسطيني (من أوائل القرن الحالي حتى نكبة عام 1948م)**، (مخطوطة).

طبانة، بدوي، (1969م)، **السَّرقات الأدبيّة**، ط1، مكتبة الأنجلو– مصرية– القاهرة.

طرفة بن العبد، (1991م)، **ديوان طرفة**، تحقيق: الزوزني، القاضي الحسين بن أحمد، دار مكتبة الحياة، بيروت– لبنان.

الطريفي، يوسف عطا، (2008م)، **محمَّد مهدي الجواهري– حياته وشعره**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمَّان، ط1.

طوقان، إبراهيم عبد الفتاح، (1975م)، **الأعمال الكاملة**، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار القدس، بيروت.

طوقان، إبراهيم عبدالفتاح، (1955م)، **الديوان**، دار الشرق الجديد– بيروت.

طوقان، فدوى عبد الفتاح، (1952م)، **الديوان– وحدي مع الأيام**، مكتبة مصر، القاهرة، ط1.

ظبيان، تيسير، (1967م)، **الملك عبدالله كما عرفته**، ط1، المطبعة الوطنية، عمان.

عبد الحفيظ، عبد السَّلام، (1978م)، **نقد الشِّعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلويّ**، ط1، دار الفكر العربي– القاهرة، مصر.

عبد الناصر، شوقي، (د.ت)، **بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود**، ط3، دار الفكر، عمان.

عجينة، محمد، (1994م)، **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، دار الفارابي، بيروت– لبنان.**

عرار، مصطفى وهبي، (2007م)، **عشيات وادي اليابس**، تحقيق: زياد الزعبي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، عمان، ط1.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله، (1952م)، **الصناعتين**، تحقيق: علي محمَّد البجاوي، ومحمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية– القاهرة.

عطوان، محمَّد، (1998)، **الاتجاهات الوطنيّة في الشِّعر الفلسطيني المعاصر**، دار الآفاق الجديدة– بيروت، ط1.

العودات، يعقوب، (1996م)، "من مقالة للبدوي الملثم حول الشاعر"، **مجلة الأديب**، السنة الخامسة.

العودات، يعقوب، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، (1976م)، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ط1).
غالي، شكري، (1970م)، **أدب المقاومة**، دار المعارف، القاهرة، ط1.
الغلاييني، مصطفى، (1925م)، **ديوان الغلاييني**، ط1، المطبعة العباسية، حيفا.
فتوح، أحمد محمَّد، (1978م)، **الرَّمز والرَّمزيّة في الشِّعر العربي المعاصر**، ط2، دار المعارف– القاهرة.
الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (1984م)، **العين**، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دائرة الشؤون الثقافيّة– بغداد، العراق.
فريز، حسني، (1986م)، **هياكل الحب**، ط1، مطبعة الشرق ومكتبتها– عمَّان.
أبو الفضل، الوليد، (1934م)، **الأنفاس الملتهبة**، ط2، مطبعة الوفاء، بيروت.
قاسم، أسد محمد، (د.ت)، **أعاصير في الأردن**، ط1، دار الفكر، عمان.
القاضي، محمَّد، (1982م)، **الأرض في شعر المقاومة الفلسطينية**، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1.
القاضي، محمَّد، (1982م)، **الأرض في شعر المقاومة الفلسطينيّة**، الدار العربية للكتاب– تونس، ط1.
القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**.
القوال، أنطوان، (2004م)، ديوان **الزهاوي**، دار الفكر العربي، بيروت.
القيرواني، ابن رشيد، (1963م)، **العمدة**، ط2، تحقيق: محيي الدِّين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر.
الكبيسي، عمران حضير، (1982م)، **لغة الشِّعر العراقي المعاصر**، ط1، وكالة المطبوعات.
الكرمي، عبدالكريم، (1978م)، **ديوان أبو سُلمى عبد الكريم الكرمي**، ط1، دار العودة، بيروت.
الكندي، امرؤ القيس، (1969م)، **الديوان**، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار المعارف– مصر.

الكيالي، عبدالرحمن، (1973م)، **الشِّعر الفلسطيني في نكبة فلسطين**، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر– بيروت، ط1).

لؤلؤة، عبد الواحد، (1994م)، "التناص في الشعر العربي المعاصر"، **مجلة الأقلام**، العدد (10).

مجلة النفائس العصرية، السنة الثالثة، 1911م، ص23.

محمود، حسني، (2005م)، **شعر المقاومة الفلسطينيّة دوره وواقعه في الأرض المحتلة من1948–1967م**، ط1، الوكالة العربيّة للنَّشر التَّوزيع، عمَّان.

محمود، عبد الرَّحيم، (2009م)، **الأعمال الكاملة**، تحقيق: عز الدين المناصرة، دار جرير، ط1، عمَّان.

ابن معصوم، السيد علي صدر الدين المدني المعروف بابن معصوم، **سلافة العصر في محاسن الشعراء لكل مصر**، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة.

المغيض، تركي أحمد الرجا، (1979م)، **الحركة الشعرية في بلاط الملك عبدالله، 1921–1948م**، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة القديس يوسف، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، بيروت– لبنان.

المغيض، تركي، (1991م)، "التناص في معارضات البارودي"، **مجلة أبحاث اليرموك**– الأردن، المجلد (9)، العدد (**2**).

مفتاح، محمَّد، (1985م)، **تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)**، ط4، المركز الثقافي العربي– بيروت، لبنان.

المقدسي، أنيس الخوري، (1973م)، **الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث**، ط2، دار العلم للملايين، بيروت.

الملائكة، نازك، (1971م)، **ديوان نازك الملائكة**، المجلد الثاني، دار العودة– بيروت، ط1.

الملائكة، نازك، (1984م)، **قضايا الشعر المعاصر**، ط4، دار العلم للملايين– بيروت.

المناصرة، عز الدين، (1985م)، **علم التناص المقارن**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

المنصور، زهير أحمد، (د.ت)، ظاهرة التكرار في شعر أبي القاسم الشابي، دراسة أسلوبية، **مجلة أم القرى**، مجلد 3، العدد 21، ص165.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين، (ت630 هـ/ 1232م)، **لسان العرب**، المجلد الثاني، دار لسان العرب، بيروت.

ناصف، مصطفى، (1958م)، **الصورة الأدبية**، ط1، مكتبة قصر بالقاهرة.

النجار، زغلول، (2005م)، **المؤامرة**، ط5، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة– مصر.

النشاشيبي، محمَّد إسعاف، (1924م)، **الديوان**، مطبعة بيت المقدس، القدس.

نصرة، خالد، (1955م)، **أغاني الفجر**، ط1، مكتبة الحرية، عمَّان.

الهاشمي، علوي، (1998م)، **ظاهرة التعالق النصي في الشعر السعودي**، ط1، مؤسسة اليمامة– السعودية.

الهنداوي، ذوقان، (1975م)، **القضية الفلسطينية**، ط1، المطبعة الاقتصادية، عمان.

الياسوعي، الأب صبحي حموي، (1993م)، **العهد القديم لزماننا الحاضر**، ط1، منشورات دار المشرق، بيروت.

ياغي، عبد الرَّحمن، (1969م)، **حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة**، المكتب التجاري للطباعة والنشر– بيروت، ط1.

اليعقوبي، سليم، (1948م)، **النظرات السبع**، مطبعة الجمل، القاهرة.

المعلومات الشخصية

الاسم: فالح رافع فالح الهواري
الكلية: الآداب
التخصص: أدب
العنوان: ذيبان– مأدبا
التلفون: 0779515297
البريد الإلكتروني: faleh11_1987@yahoo.com